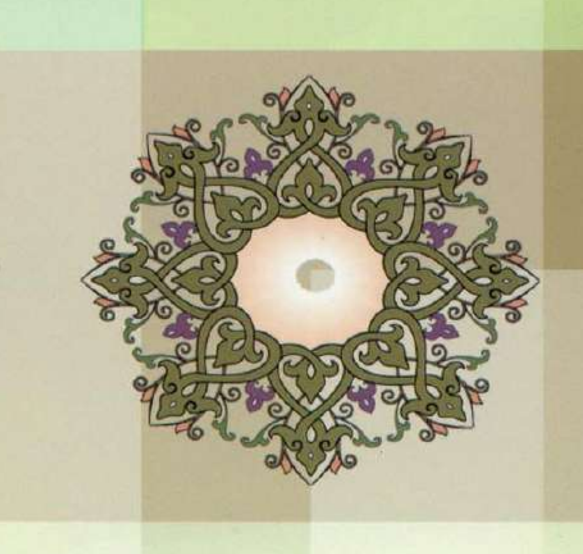
الفلسفة التربوية

علم - حلم - حكمة



خليفة عبد الله سالم الريسي أبوزايد

دار الخليج للصحافة والطباعة والنشر


mohamed khatab

الفلسفة التربوية

علم - حلم - حكمة

خليفة عبدالله سالم الريسي أبوزايد

معلم لغة عربية وتربية إسلامية

الفلسفة التربوية

علم - حلم - حكمة

الطبعة الأولى : 2022

دار الخليج

للصحافة والطباعة والنشر

رقم الإيداع الدولي

ISPN : 978 - 9948 - 19 - 337 - 1

بموافقة المجلس الوطني للإعلام

MC-01-01-2438094

الإهداء

إلى روح من مهّد لشعبه وأمته دروب العلم والمعرفة والحضارة المتجددة

سيدي المغفور له بإذن اللّه تعالى

الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ـ رحمه اللّه ـ

وإلى أنجاله الميامين ـ حفظهم اللّه.

وإلى كل من كانوا وما زالوا سنداً وعوناً لي: زوجاتي وأبنائي.

وأخص بوافر الشكر والتقدير والامتنان حكام دولة الإمارات العربية المتحدة

على ما يبذلونه من جهد لرعاية المواطن وإسعاده.

أقدم لكم كتابي الأول الذي جاء نتاج دمج ما بين علم ومعرفة وخبرات

ومهارات حياتية واجتماعية وإنسانية وتربوية...إلخ.

مقدمة :

الحمد لله الواحد القهّار، العليم الحكيم، الذي له العزة والجبروت، وبيده الملك والملكوت، وله الأسماء الحسنى والنعوت، هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم:

قال تعالى (وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً). صدق الله العظيم.

أنشأ الأرض نسماً، واستعمرنا فيها أجيالاً وأمماً، ويسّر لنا فيها أرزاقاً وقسماً.

ومن هذا المنطلق يتوجب على البشر أن يكدّوا لطلب العلم والمنفعة والعلوم الدينية والدنيوية واكتساب الخبرات والمعارف والفلسفات في كل مجالات وفروع الحياة.

ولأن التربية فنٌّ تاريخيّ من الفنون التي تداولتها الأمم والأجيال، وتتسابق به العصور والعلماء، وبحسب ما نستخلص من آراء وأفكار مفكريها ومنظّريها أنها عمليات توجيه لنمو الناشئ، وتؤدي لنا شأن البشرية كيف تقلبت بها الأحوال، واتسعت الآراء وكثر المنطق وعمَّرت الأرض، وقدمت هذه التربية تعليل الكائنات ومبادئها بشكل دقيق، وتعليم كيفيات الوقائع وأسبابها العميقة.

لذا نتحدث عن جهود العلماء في النمو الجسدي والعقلي والاجتماعي والخلقي والجمالي والعاطفي، لأنهم جسّدوا المثل الأعلى للوجود الإنساني، وتحقيق وعي الإنسان لذاته ووجوده في هذا العالم، بحيث يُرجع جميع آرائه وأفكاره إلى منطلقات وأفكار واضحة ومثالية، فيرفض الأفكار والآراء غير الصحيحة وغير المقبولة لديهم ولدى جميع الناس.

وقد عبّر العلماء عن منهجهم الفلسفي بموجب قواعد يقينية تصل بالإنسان العارف إلى أعماق المعارف الصحيحة من دون عناء.

الفلسفة بصيغة عامة هي أسلوب منهجي بكل ما هو موجود، تسعى إلى معرفة الأشياء، فالفيلسوف هو الذي يبدأ بسؤال، وينتهي بعلامة استفهام، وبين هذا وذاك يقترح الأجوبة الممكنة ويبررها وينتقد غيرها ويعلل ذلك بطرق مُبرهَن عليها.

أما التربية فهي مجموع العمليات التي يستطيع بها المجتمع أن ينقل معارفه وأهدافه المكتسبة ليحافظ على بقائه، ونعني في نفس الوقت: التجدد المستمر لهذا التراث وللأفراد الذين يستعملونه فهي عملية نموٍّ ليس لها هدف إلا المزيد من النمو.

وثمة علاقة قوية بين الفلسفة والتربية؛ حيث اهتم الكثير من الفلاسفة خلال العصور الوسطى والحديثة والقديمة بدراسة الفلسفة في بداية حياتهم، ثم يكملون دراستهم في فلسفة التربية، لتمثل الفلسفة المجهود المُفسِّر للقضايا النظرية والفكرية، بينما التربية هي البيئة العلمية التي تترجم القضايا إلى عدة مهارات وعادات واتجاهات.

هدفنا من هذا الكتاب أن نبيّن معنى التربية وعلومها وأسسها التي كان معلمنا ومثالنا الأول فيها هو الرسول الأعظم محمد (صلّى الله عليه وسلّم) والتي تناولت كافة مجالات التربية الجسمية، والعقلية، والوجدانية، لأن التربية تختص في مجال الفلسفة عموماً، ولأنها الجانب العملي والتطبيقي لما تمثله الفلسفة من أبعاد ونظريات، توطِّد من خلالها الصلة بين هذين الجانبين، فالفلسفة من دون تربية هي ترف فكري، والتربية من دون فلسفة نشاط لا مستقبل له.

بعد ذلك تم تناول هذه الفلسفة من وجهة نظر الخلفاء الراشدين ـ رضي اللّه عنهم، وبعض علماء الأمة الإسلامية والأمة في العصر الإسلامي الأول ثم المتأخر، أيضاً تم تناول الإشعاع الحضاري لبعض المناطق الإسلامية متمثلة بجوامعها الكبيرة، ذات النطاقات الواسعة والشاملة التي أخذت مكان الجامعات في ذلك الوقت لما كانت تقوم به من أبحاث وتعاليم ودروس.

وعن علم التربية قديماً عند اليونان والرومان، فهناك الذين يرون أنها تطبيق منهج ونظرة الفلسفة على التربية، بسبب دورها في تحديد الطريق الخاص بعملية التربية والمساهمة في تعديلها ونقلها لمواكبة الصراعات والمشكلات الثقافية، وصولاً إلى العلماء المسلمين وانتهاءً بأوروبا وعلماء التربية فيها بين العصرين المتوسط والحديث، وكذلك القليل من البلدان العربية.

لا ننكر أن المعلومات الموجودة ضمن هذه الموضوعات كثيفة ومتشعبة، بذلنا جهدنا لأن نحيط بمعظمها، ونرجو من اللّه أن نكون وصلنا إلى غايتنا فيه.

واللّه من وراء القصد.

المحتويات

الفصل الأول

الفلسفة التربوية منذ بداية الإسلام:

يعدّ القرآن الكريم المصدر الأول للفلسفة التربوية الإسلامية، حيث دعا إلى استخدام العقل والحكمة، وناقش الأفكار التي كانت موجودة من بداية الكون وصولاً إلى طبيعة الإنسان، ومنها إلى الغاية وهدف وجود الإنسان بشكل رئيسي، حيث دعا القرآن الكريم للتفكير والتأمل بكل ما يحيط بنا من ظواهر كونية، وهدف ذلك هو معرفة الوجود المادي الذي حولنا، وصولاً إلى الحقيقة التي تستشعر الوجود غير المادي واللا متناهي للذات الإلهية. لذلك قدّم القرآن الكريم الكثير من الأمور التي تبحث في طبيعة النفس البشرية بكل معتقداتها وأهدافها التي تسمو إلى توحيد الخالق عزّ وجلّ، مما أدى إلى انتشار التفكير الفلسفي والبحث العميق في قضايا الفلسفة.

نشأت الفلسفة الإسلامية كفلسفة مستقلة بذاتها وليس كما يظن البعض أنها مستوحاة من الفلسفة اليونانية بعد التعريب، بل كانت تتطور من خلال ممارسة الرسول محمد ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ومن بعده الصحابة والخلفاء الراشدون. فهي فلسفة لها طابعها الخاص ولها مشاكلها، حيث إنها تهتم بالفرد والمجتمع، وهي تدرس صلة اللّه عزّ وجلّ بمخلوقاته، كما أنها تحاول أن تجد التوافق بين العلم والدين.

لقد حاول الفلاسفة المسلمون إدخال الدين بالعلم، وكان فلاسفة الإسلام يرون أنه لا يوجد خلاف بين الشريعة والحقيقة، بين الدين والفلسفة، وقد حاول العلماء مثل ابن سينا وابن رشد إيجاد العلاقة بينهما، وقد احتاج العمل إلى الكثير من الجهد والوقت المتواصل والتراكمي، وأَخْذ العِبر من حياة الرسول الكريم ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وممارساته في المجتمع

الإسلامي الناشئ، ومعالجته لمختلف القضايا الحياتية والفكرية التي كانت تعترضه. فقد وصل العلماء المسلمون إلى فلسفه خاصة تجمع بين الدين والفلسفة بمفهومها التقليدي، بالإضافة للمذاهب الفلسفية اليونانية وغيرها من الفلسفات الأخرى.

الباب الأول

المعلم الأول محمد - صلّى اللّه عليه وسلّم - :

يعتبر الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ معلم التربية الإسلامية الأول، كانت أولى مهماته التي أُرسل من أجلها هي التربية والتعليم.

قال تعالى: (كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا، ويزكّيكم ويعلّمكم الكتاب والحكمة، ويعلّمكم ما لم تكونوا تعلمون)[1].

والحكمة كانت تعني عند الأقدمين الفلسفة، أو البحث في حقيقة الوجود والغاية منه، وعنت عند المسلمين، بالإضافة إلى ذلك، الوصول لتوحيد اللّه عزّ وجلّ.

كان رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يعلم الصحابة القرآن الكريم، ويعلمهم الدعاء وكل ما يخص أمور الدين. في صحيح البخاري، عن جابر قال (كان رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يعلمنا الاستخارة كما يعلمنا السورة من القرآن)، كما كان يعلم أصحابه والصبيان والنساء أمور دينهم. قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ (إنما بعثت معلماً)[2].

وقال أيضاً (علّموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً)[3].

كان من ميزات العصر الإسلامي محاربة الجهل ومحو الأمية، وتعليم الكتابة والقراءة، وبدأ الرسول الكريم ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ بأن قال على كل شخص يعرف القراءة والكتابة أن يعلم عشرة من أصحابه ومن

---

1 سورة البقرة، الآية 151.
2 التمهيد/ ابن عبد البر/ج5/ص118.
3 عن ابي هريرة (ر) ان رسول الله (ص) قال علموا أولادكم الصلاة إذا بلغوا سبعاً، واضربوهم عليها إذا بلغوا عشراً، وفرقوا بينهم في المضاجع (أخرجه الألباني في صحيحه (صحيح الجامع).

يتعلم يعلّم عشرة آخرين[4]. حتى انتشر الإسلام وانتشر المعلمون في كل البلاد الإسلامية، وتعلم الناس القراءة والكتابة وأساسيات الدين. وكان المعلم يأخذ مكانته على حسب ما يعلم، لهذا كان معلمو الدين من أهم المعلمين وأرفعهم مكانة. ولم يكن التعليم محصوراً في فئة محددة، بل كان أمراً شائعاً بين المسلمين. ولم يكن للمعلم في البداية منهج محدد أو تأهيل معيّن ليصبح معلماً، بل كان عملاً لأي شخص لديه مؤهل لذلك، وقد بدأ المسلمون المفكرون في القرن الرابع الهجري كتابة ملاحظاتهم عن التربية والتعليم، ويضعون الإرشادات والنصائح للمسلمين ويستقون معلوماتهم من صحبة رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وكيفية معالجته لمختلف الأمور الحياتية. وقد بدأ ذلك كرسالة واجبة على المسلم المؤهل دون النظر إلى أي مردود مادي لذلك، وبعدها أصبحت مع تطور الدولة الإسلامية وظيفة لها مرتب يدفع من بيت مال المسلمين، أي أصبح المجتمع هو من يتحمل مسؤولية تعليم طالبي العلم الذي أصبح واجباً على كل فرد.

وعندما بدأت الفتوحات الإسلامية بالانتشار ودخل الناس في الإسلام من كل البلدان، بدأوا بوضع قوانين وأنظمة لتنهى الناس عن الخطأ في تفسير كتاب الله.

في النصف الأول من القرن الأول الهجري بدأت كتابة الأحاديث النبوية وتفسير القرآن، وبعدها بدأت حركة الترجمة ومزج العلوم الأخرى في العلوم الإسلامية، ونشأت الحركة الفكرية مع بداية الدولة الأموية، ومع تطور العلوم في فروع كثيرة، لا سيما في التفسير والاجتهاد.

---

4 التربية في عهد الرسول (ص) نشأتها وتطورها، د. حامد سالم عايض الحربي، رابطة العالم الإسلامي، العدد 168 عام 1419.

هكذا كانت التربية في عهد الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ حيث كانت التربية الأخلاقية في المقام الأول ومن بعدها المعرفة. وكانت المصادر الأساسية للمعرفة هي القرآن الكريم وسيرة رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قولاً وفعلاً، وكانت الغاية فهم المعاني والتدبر بها، قال السيوطي (إن الرجل من الصحابة كان يحفظ من القرآن عشر آيات ثم لا يتجاوزها حتى يفهم معناها ويؤدي ما طلب فيها)[5].

- أساليب رسول اللّه ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ مع التلاميذ:

أولاً ـ يستقبل المتعلم بالترحاب:

إن استقبال المتعلم بالترحاب يعطي الشعور بالألفة والأنس، فأحياناً من يأتي إلى مكان جديد يشعر بالقلق والتوتر، فإذا استُقبل بشكل جميل ولطيف سيشعر بالراحة والأمان، وهذا ما أثبته علم التربية الحديث، حيث تفتتح المدرسة باستقبال الطلاب الجدد ضمن حفل تعرض فيه فقرات فنية وأناشيد تضفي البهجة على هذه المناسبة، ويشعر التلميذ براحة في الجو الجديد. عن ابن عباس ـ رضي اللّه عنه ـ قال: (إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم قال من القوم أو من الوفد قالوا ربيع من ربيعة قال مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى)[6].

ثانياً ـ النظر بوجه المتعلم:

فإذا سأله شخص ما سؤالاً يجيب وهو ينظر في وجه المتكلم، وهذا يعطيه إحساساً بالاهتمام والاحترام ويكون جوابه مؤدباً من السنة.

---

5 قال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: " كنا نحفظ العشر آيات فلا ننتقل إلى ما بعدها حتى نعمل بهن".

6 الراوي: عبدالله بن عباس | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح النسائي.
الصفحة أو الرقم: 5708 | خلاصة حكم المحدث: صحيح.
التخريج: أخرجه البخاري (523)، ومسلم (17) باختلاف يسير، والنسائي (5692) واللفظ له.

ثالثاً ـ يعلم بلطف:

كان إن أخطأ شخص ما أمام الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لا يقابل بغضب أو تأنيب، وإنما يقابله بالتوجيه الصحيح والنصح، وهذا إن دل على شيء يدل على أخلاق النبي الكريم، حيث إنه يجب على المعلم أن يراعي المتعلم، فإن غضب المعلم على التلميذ سبب له النفور من العلم، وخاصة إذا كان المتعلمون من الأطفال، فهم بحاجة إلى حنان وعطف أكثر من غيرهم. إن رفق المعلم بالتلميذ يجعله يحب ما يتعلم والعكس صحيح.

رابعا ـ يعلم في الوقت المناسب:

كان الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ لا يكثر من النصائح لأن كثرتها تسبب الملل، وكان ينوع دائماً بأحاديثه ويختار الموضوع المناسب في الوقت المناسب، ويرى أن التنوع في الأحاديث يزيد من الاشتياق للحديث. فكل مرة كان يعطي قصة مختلفة ونصيحة مختلفة، وكان حذراً ألا يعطي مجموعة من النصائح والحكم في الوقت ذاته. عن أبي بن وائل قال: (كان عبد الله يذكّر الناس في كل خميس فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، قال: أما أنه يمنع من ذلك أني أكره من أن أملكم، وإني أتخولكم بالموعظة)[7].

كما كان النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يخولنا مخافة السآمة علينا.

---

7 الراوي: عبد الله بن مسعود | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري.
الصفحة أو الرقم: 70 | خلاصة حكم المحدث: [صحيح].

خامساً ـ يغتنم الفرص في التعليم:

كان رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ متى جاءته فرصة يعلم أصحابه شيئاً جديداً، كان يغتنمها فوراً عن جرير ـ رضي اللّه عنه ـ قال:(كنا عند النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ننظر إلى القمر ليلاً، يعني البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم اقرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب)[8].

سادساً ـ مناداتهم بأسمائهم:

كان النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ إذا تحدث مع تلاميذه وأصحابه نادى الشخص باسمه، هذا يزيد من الألفة بين المعلم والمتعلم، ويجعله أكثر رغبة في التعلم، كما أنه يزيد من اهتمام وانتباه المتعلم.

سابعاً ـ يختبر المتعلم:

إن المعلم يسأل المتعلم لاختباره، وفي السؤال يتبين ما يعرف المتعلم من العلم والفقه، ويجب أن يكون السؤال المطروح له هدف محدد يعرف عند الإجابة عن السؤال، ويجرى تصويب الإجابة وتقديم الجواب الصحيح بالشكل الأمثل من قبل المعلم، وتعزيز المتعلم إذا كانت الإجابة صحيحة، والشكر على المحاولة إذا كانت خاطئة. ويجب ألا يكون السؤال صعباً جداً لأن الهدف هو التعلم وليس التحدي.

---

8 متفق عليه في العقيدة الواسطية.

ثامناً ـ يمدح المتعلم:

إن مدح المتعلم على الجواب الصحيح بوجهه له منفعة كبيرة، حيث تشجعه على تحصيل المزيد، وهذا لا ينقص من قيمة المعلم في شيء وإنما ينشط تلاميذه ويحفزهم لتقديم الأفضل.

تاسعاً ـ يعلم في أي مكان:

كان الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يجيب عن أي سؤال يوجه له وفي أي مكان، فإن التربية والتعليم ليست مخصصة للتقديم في مكان محدد. التعليم يمكن أن يكون في أي موقف أو موقع، وكان الرسول الكريم ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قدوة للتعليم في كافة الأمور الحياتية من خلال تصرفه أو الحلول التي يقدمها للمشاكل التي تواجه الأفراد في الحياة العامة، أو حتى تواجه الأمة.

وكان التعليم وارداً في المسجد أو السوق أو المدرسة أو في أي مكان كان.

عاشراً ـ يراعي الفروق الفردية:

فعلى المعلم أن يراعي الفروق الفردية بين المتعلمين، فمنهم من يتعلم بالتحفيز، ومنهم من يتعلم بعد تبسيط المعلومة، وكل شخص له طريقة محددة يتعلم منها. ولنا قدوة في الرسول الكريم من هذه الناحية، حيث كان يراعي قدرات من يعلمهم، فيبسط للأطفال، ويعظ الكبار بما يناسبهم.

أحد عشر ـ لا يتلفظ بألفاظ فاحشة:

إن الكلام السيئ ليس من أخلاق الإسلام، المعلم قدوة للتلاميذ فيجب ألا يقول كلاماً سيئاً يسيء للمعلم والعلم الذي يقدمه، فإن أخطأ التلميذ يجب تصحيح الخطأ دون شتم أو تقريع. الطريقة السيئة تنفر الطالب من العلم.

اثنا عشر ـ قوله يشبه فعله:

إن المعلم هو القدوة للتلاميذ فإنهم يقلدونه بما يفعل وبما يقول ويقلدون أخلاقه، إذا فعل الطالب تصرفاً صالحاً قال معلمي علمني، كما أن بعض الطلاب يقلدون معلميهم أكثر من أهاليهم، لهذا يجب على المعلم أن يطابق فعله قوله.

كان رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يعلم الناس بالقدوة، فكان أحسن قدوة للصحابة وللناس أجمع.

ثلاث عشر ـ يتفقد غائبهم ويتواضع لهم:

حيث إن التواضع من الأخلاق المحببة في الإسلام، كان الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ يجلس مع الفقراء ويسمع من الصحابة القرآن. إذا كان المعلم متواضعاً أصبح من السهل والمريح للطالب أن يسأل معلمه، أما إذا كان متكبراً لم يعرف عن طلابه شيئاً ولن يحقق الأهداف التربوية المطلوبة. وكان النبي عادلاً في توزيع المهمات والمعاملة والدرجات ولا يميز بين قريب له وغريب.

أساليب التعليم:

إن التعليم بطريقة واحدة يسبب الملل والسأم، أما التنوع فيجعل من التعليم جميلاً ومحبباً، حيث كان رسول اللّه ينوع أساليب تعليمه لأصحابه، ومن أساليبه القصة وضرب المثل والترغيب والترهيب والإشارة والرسم والتكرار والاستفهام والنقاش المنطقي والعقلاني، كذلك يعطي بديلاً عن الأمور الممنوعة، ويتحدث بهدوء ووضوح.

أسلوب النبي التربوي مع النساء:

إن المرأة هي المخلوق الضعيف، لذلك كان رسول الله حريصاً على التعامل معهن بطريقة خاصة. حيث خصص وقتاً لتعليمهن وحدد مكاناً بعيداً عن الرجال يعلمهن فيه، وكان حريصاً على عدم الخلوة والستر أثناء الدرس، وكان الكلام معهن في حدود شرع الله، فإذا جاءه سؤال خاص من امرأة أجابه دون زيادة أو نقصان.

ومن أروع الأمثلة التي تضرب في أسلوب الرسول في تعليم النساء، هو أسلوبه مع زوجته عائشة التي كان يسألها في أغلب أموره، ويجيب عن أسئلتها كلها، يحل لها المشاكل، ويعلمها أمور الدنيا والدين.

معاملة النبي للأطفال[9]:

يعلم النبي أن الطفل يحتاج إلى طريقة خاصة بالتعامل، وأسلوب تربوي مدروس، أساسه الصبر وسعة الصدر، وقد صاغ منهاجاً خاصاً للتعامل مع الطفل نظراً لأهمية هذه المرحلة، فكانت ناجحة ومميزة وخرّجت علماء عباقرة.

المنهاج التربوي مع الأطفال:

i. **اللطف والبساطة في التعامل مع الأطفال:**

إن الأطفال يرتاحون مع الإنسان البسيط في معاملتهم ويعيش معهم وكأنه من عمرهم، ويبتعدون عن الشخص الغاضب. عامل الرسول هذه الفئة العمرية كما يحبون، وكان يصحح تصرفاتهم بلطف ولين.

---

9 معاملة النبي للأطفال ـ عبد العزيز مصطفى الشامي ـ رابطة العالم الإسلامي، سلسلة سراج المنسر، العدد 6.

عن أبي هريرة ـ رضي اللّه عنه ـ قال: (كنا نصلي مع رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ العشاء فإذا سجد وثب الحسن والحسين على ظهره فإذا رفع رأسه أخذهما بيده من خلفه أخذاً رقيقاً، ووضعهما على الأرض فإذا عاد عادا حتى إذا قضى صلاته اقعدهما على فخذه)[10].

إن الطفل لا يمكن أن يدرك الواجب والحقوق والمبادئ والقيم ومعانيها، لذلك يجب أن يتعلم شيئاً فشيئاً عبر حياته، ومن الخطأ التعامل معه وكأنه كالكبار، وأن يتعامل معه على أنه يعرف الأصول والقواعد.

ii. **تقدير الطفل واحترامه:**

كان النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ حريصاً عند مقابلته مع الأطفال أن يحترم ذواتهم ويعلمهم بأسهل الأساليب يوصل المعلومة بأفضل طريقه ولا يحب تعنيفهم.

تحدث أحد الأطفال عن موقف حصل له مع الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وهو عبد اللّه بن عامر قال: (دعتني أمي ورسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ قاعد في بيتنا فقالت: ها تعال أعطيك فقال ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: ما أردت أن تعطيه، قالت أعطيه تمراً فقال لها: أما إنك لو لم تعطه شيئاً لكتبت عليك كذبة)[11].

فإن النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ كان يحذّر من أن يكذب على الأولاد ويحذّر من الاستهانة بمشاعرهم، وكان الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ إذا رأى على الطفل تصرفاً خاطئاً وجب تعديل التصرف بلطف دون صوت

---

10 ورواه أيضاً أبو نعيم في ترجمة أبي بكر بن عياش من حلية الأولياء: ج 8، ص، 305 قال:
حدثنا القاضي أبو أحمد إملاءً، حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن سلم، حدثنا الحسين بن رزيق الكوفي، حدثنا أبو بكر ابن عياش، عن عاصم.

11 رواه أبو داوود (4993) وحسنه الألباني.

عالٍ أو تأنيب، يقول عمر بن أبي سلمى: (كنت غلاماً في حجر رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ وكانت يدي تطيش في الصفحة فعلّمه رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في رفق كيف يأكل، فقال له يا غلام سمّ اللّه وكل بيمينك وكل مما يليك)[12].

كان يربي الأطفال عن طريق تقليده ومحاكاة تصرفاته ويعلمها، ويعلمهم معنى الرجولة والمروءة منذ الطفولة.

iii. **الحفاظ على حقوق الطفل في الأسرة والمجتمع:**

اهتم نبي اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ بحقوق المواليد في النسب إلى عائلة معروفة وبوجود وثائق وشهود، ويكون الزواج صحيحاً وينهى عن الزواج غير الشرعي، لحماية الأطفال من الضياع في مستقبلهم، وأكد على ضرورة طهارة المجتمع من الفساد الأخلاقي واختلاط الأنساب، وأكد أيضاً على حقوق الطفل بأن يسمى اسماً جميلاً محموداً لا يُستهزأ به، وله الحق في أن يتربى في بيئة حسنة وجيدة وأسرة ذات إيمان قوي، وحقه أن يحفظ من الاعتداء الجنسي الحسي واللفظي والنفسي، كذلك أكد على حقوق الطفل في الوراثة والوصية للطفل اليتيم والاهتمام بتربيته وحقوقه في أن يكون بأمان.

12 متفق عليه.

الصحابة والتعليم لنشر الدين الجديد:

إن الصحابة هم من حملة الشريعة الأتقياء الشرفاء الأبرار. من صفاتهم القلوب السليمة وألسنتهم الفصيحة وأخلاقهم الرفيعة. لولاهم ما وصل إلينا الدين كاملاً، وبفضلهم وصل كأنه نزل اليوم. إنهم أفضل الناس لأنهم هم الذين نشروا الإيمان، وأخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور العلم. لم يعرف التاريخ رجالاً بعد الصحابة كرّم اللّه وجوههم أعظم وأفضل منهم. هم الذين دفعوا أنفسهم وأموالهم وهجروا بلادهم وأهلهم في سبيل نشر الدين الجديد، واشتركوا في كل المعارك التي قام بها الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أو فرضت عليه، وكانت سيوفهم دائماً في خدمة اللّه ورسوله ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ.

وهم الذين اختارهم اللّه ليكونوا برفقة النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ هم أصحابه الذين كانوا شاهدين على الوحي والتنزيل، وعرفوا التفسير والتأويل، وهم الذين أخرجوا الناس من عبادة الأصنام إلى عبادة اللّه. أسقطوا عروش الكفر وانتشر عدل الإسلام.

الصحابة هم الذين شرح اللّه صدورهم وأنزل في نفوسهم السكينة، وبشّرهم بالجنة قال تعالى (يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان). إنهم الذين اختارهم اللّه ليكونوا الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، يطيعون اللّه ورسوله وهم خير الكاتبين.

قال اللّه تعالى في مدحهم ومن أصدق شهادة من اللّه (محمد رسول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركّعاً سجّداً يبتغون

فضلاً من اللّه ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود)[13].

فليحفظ المؤمن قدر أصحاب النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ ويحذر من الاستماع إلى من يشوه سيرة الصحابة، فهم أصحاب النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في دار الحق، ومن أحبهم أحببناه، ومن أبغضهم أبغضناه.

وكانت فكرة الصحابة عن تربية المجتمع وأفراده عن طريق المواعظ والخطب التي يلقونها على مسامع الناس، يلخصون بها ما يجب أن يكون عليه العامة من تقربهم للّه عن طريق صقل أخلاقهم؛ وتربيتهم على القيم الإسلامية من وحي القرآن الكريم، وما حفظوه وشهدوه من أخلاق وممارسات الرسول الكريم.

من مواعظ الصديق (رضي اللّه عنه):

إن خليفة رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ عبد اللّه بن أبي قحافة واسمه عثمان بن عامر القرشي، تيمي ولد بمكة، وكان من سادات قريش ومن أغنيائها، وقد لقب عالم القرشي لأنه كان على علم بأنساب وأخبار القبائل، كان يحرم على نفسه شرب الخمر، وبعد الإسلام كان له مواقف كثيرة شارك في الحروب وتحمل الشدائد ودفع المال لذلك، ومن فضائله أنه كان له 142 حديثاً، هو أول صحابي جمع القرآن في اللوحين توفي في جمادى الآخرة 13 هجري. كانت خلافته سنتين ومئة يوم. كانت مواعظه المنقولة عن النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ متنوعة حسب المناسبات ومن مواعظه: خطب أبو بكر ـ رضي اللّه عنه ـ فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قال: (إنها ستفتح لكم الشام فتأتون أرضاً رفيعة، حيث تتمتعون فيها من الخبز والزيت وستبنى بكم وبها مساجد فإياكم أن يعلم اللّه عزّ وجلّ أن ما تؤتون تلهيكم وإنما هي بنيت للذكر)[14].

---

13 الفتح، 29.

14 الزهد لـ (أحمد بن حنبل ص93).

فهنا يبين الصديق ﴿ في موعظته ألا يهتموا بالحياة الدنيا وينسوا ذكر الله، وألا تكون النعم الموجودة لهم وإنما ذكر الله وحده.

وكل مواعظ الصديق كانت تؤكد ألا يغفل عن ذكر الله وعدم الابتعاد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الخطأ الكبير إذا تركوها أو قصّروا بها، وقال في خطبته :(اعلموا أن أكيس الكيّس التقوى، وأن أحمق الحمق الفجور، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق أيها الناس إنما أنا متبع ولست بمبتدع فإن احسنت فأعينوني وان زغت فقوموني)[15].

وختم بدعاء كان يدعو به ـ رضي الله عنه ـ حيث قال:(اللهم إني أسألك الذي هو خير لنا في عاقبة الخير، اللهم اجعل آخر ما تعطينا من الخير رضوانك والدرجات العليا من جنان النعيم).

15 (الطبقات الكبرى) "3-113".

من مواعظ الفاروق عمر (رضي اللّه عنه):

إن الكتابة والتحدث عن سيرة الفاروق تحتاج إلى مجلدات.

هو أبو حفص بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي التقى مع رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في كعب أسلم سنة ستة وكان عمره 26 عاماً، وقد عزّ الإسلام بإسلامه هاجر علنياً، وحارب في معركتي بدر وأُحد.

هو أول الصحابة الذين لقبوا بـ(أمير المؤمنين) وأول من كتب تاريخ المسلمين، جمع الناس في صلاة التراويح، وتم فتح الشام والعراق ومصر والجزائر في عهده.

بقي في الخلافة لمدة عشر سنوات. وللفاروق مواعظ وحكم كثيرة، نذكر القليل منها:

قال في خطبة: (لا تعترض في ما لا يعنيك، واعتزل عدوك، واحتفظ من خليلك إلا الأمين، فإن الأمين من القوم لا يعادله شيء، ولا تصحب الفاجر فيعلمك من فجوره، ولا تفش إليه سرّك، واستشر في أمرك الذين يخشون اللّه)[16].

ومن مواعظه أيضاً: (ويل لديان الأرض من ديان السماء يوم يلقونه إلا من أمَّ العدل، وقضى بالحق، ولا يقضي بهواه ولا لقرابة ولا لرغبة ولا لرهبة، وجعل كتاب اللّه مرآته بين عينيه)[17]، ومعنى هذا أن الفاروق يتحدث عن أهمية العدل فهو كان مضرباً للمثل بعدله.

ونختم مع بعض أدعية الفاروق ـ رضي اللّه عنه ـ كان يقول (اللهم عافنا واعفُ عنا وكذلك قال: اللهم اجعل عملي كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد منه شيئاً).

16 الزهد لابي داوود، ص109.

17 الزهد لأحمد بن حنبل، ص103.

مواعظ ذي النورين (رضي اللّٰه عنه):

إنه عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي، ولد بمكة وكان من الرجال الذين اعتز الإسلام بإسلامهم. أخذ الخلافة بعد عمر بن الخطاب سنة 23 هجرية، وتم فتح أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان، وتم جمع القرآن بعهده كانت له مواقف كثيرة وبليغة.

أول موعظة مهمة تعبّر لنا عن حياة عثمان ـ رضي اللّه عنه ـ قوله: (لو طهرت قلوبكم ما شبعت من كلام اللّه عزّ وجلّ)[18].

ويقصد أن أصعب الأمراض هو مرض القلوب والبعد عن القرآن، وتصبح قريبة من الحسد والحقد وغيرهما من الصفات التي سببها البعد عن القرآن.

ويرى أن القلب إذا امتلأ بشيء زاد فيه، وإذا امتلأ بالأمراض ضعف وابتعد عن القرآن، أما إذا اقترب من القرآن فعالجه وشفاه من كل الأمراض.

قال تعالى: (وننزّل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين)[19].

وقال في خطبته في آخر حياته: (إن اللّه أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ولم يعطكموها لتركنوا إليها، إن الدنيا تفنى، وإن الآخرة تبقى، ولا تبطرنكم الفانية ولا تشغلكم عن الباقية، وآثروا ما يبقى على ما يفنى، فإن الدنيا منقطعة، وإن المصير إلى اللّه، اتقوا اللّه فإن تقواه جنة من بأسه، ووسيلة من عنده، واحذروا من اللّه الغير والزموا جماعتكم لا تصير أحزاباً)[20].

إن ما ذكره أمير المؤمنين عثمان بن عفان هو موقف تعليمي بامتياز، إشارته

---

18 الزهد لأحمد بن حنبل، ص 106.

19 الإسراء، الآية 82.

20 (البداية والنهاية "7-41").

أن نتقي اللّه في قولنا وفعلنا، وأن نكون صادقين مع اللّه وليس فقط مع الناس. إن الدنيا فانية والآخرة باقية مرجعنا إلى اللّه، لذلك يجب أن نذكر الدنيا ولا ننسى الآخرة.

من مواعظ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب:

إنه علي بن أبي طالب واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. أمير المؤمنين أبو الحسن القرشي الهاشمي. وقد أسلم وهو صبي وهو أول من أسلم من الصبيان هو الخليفة الراشد الرابع، ابن عم النبي وصهره.

إن مواعظ أمير المؤمنين كثيرة، وتحتاج إلى مجلدات لكتابتها، سنذكر منها القليل:

قال: (العلم خير من المال)[21]. هنا قدم لنا مقارنة بين المال والعلم، حيث إن المال لا يبقى على حاله فهو ينقص أو يزيد بينما العلم يزيد ويزدهر بالانكباب عليه والاستزادة منه. العلم يحرسك بينما المال أنت من تحرسه، والجميل بالمقارنة هو تحكيم العقل والمنطق للعاطفة.

وقال أيضاً: (حدّث الناس بما يعرفون أتحبون أن يُكذَّب اللّه ورسوله؟)[22].

والمعنى هو أنه ليس اي علم نستطيع أن نلقي به على الناس دون مراعاة عدم قدرتهم على فهم ما يتلقون. ويعلل أمير المؤمنين ذلك بقوله أتحبون أن يكذَّب اللّه ورسوله ـ صلّى اللّه عليه وسلّم؟ ـ أي أن الشخص إذا سمع ولم يفهم المقصود يستغرب ويبتعد عن اللّه. ويشير أمير المؤمنين إلى أن الذين يعظون الناس يجب أن تكون مواعظهم مناسبة لدى الناس، وتكون مفهومة وتعطى من

21 تاريخ دمشق لابن عسكر "252-50".
22 صحيح البخاري (1-37).

خلال القصص الواضحة والسهلة، ومن القرآن الكريم والسنة النبوية. فإن القرآن والسنة النبوية فيها نصوص واضحة تكفي وتغني عن أي مصدر آخر.

من مواعظه أيضاً من (لانت كلمته وجبت محبته)[23].

أي أن الموعظة تعطينا دليلاً واضحاً لماذا نحب المعلم اللطيف الذي يكون كلامه قريباً من القلب، حيث إن اللطيف والبعيد عن الكلام الفاسد له أثر كبير في القلوب، ويمكن الاستمتاع بحديثه دون الشعور بالارتباك أو الانزعاج. ربما يحتاج إلى الحزم والشده في بعض الأمور، ولكنها هي الشذوذ وليست القاعدة.

وكذلك فإن المقربين مثل الوالدين والزوجة والأطفال لهم الحق في الكلام الطيب الحنون.

قال تعالى: (وقولوا للناس حسناً)[24].

هذا بعض من مواعظ امير المؤمنين ومن مواعظه أيضاً (ولا يستحي إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم). وكذلك قال في الأمر نفسه (ينبغي للعالم أن يألف في ما أشكل عليه قول لا أدري)[25]، يقصد هنا أنه إذا كنت لا تعلم جواب السؤال فليس من مشكلة أن تقول لا أدري أو لا أعلم وليس الأمر مخجلاً فهو أفضل من أن تعطيه جواباً خاطئاً. نستنتج من ذلك طبعاً أن الصحابة كانوا خير الناس لنشر الإسلام ونشر تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية. ومن بعدهم بدأ علماء التربية بالظهور والاقتباس منهم ومن الفلسفات اليونانية الأخرى. ولكن أهم المصادر الإسلامية لعلم التربية كان القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

23 (العقد الفريد 2-138).
24 (البقرة، 83).
25 (جامع بيان العلم وفضله، 2-838).

علماء التربية في العصر الإسلامي الأول:

الكندي:

هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، من قبيلة كندة، يعود نسبه إلى يعرب بن قحطان أحد سلاطين اليمن في الجاهلية. ولد في الكوفة، وكان والده أميراً عليها في زمن المهدي والهادي والرشيد، عاش في القرن الثالث الهجري الموافق التاسع الميلادي، كان عالماً في عدد كبير من مجالات العلوم، كتب في الفلسفة، الرياضيات، الهندسة، والفلك، وكان له معرفة بعلوم الإغريق والفرس.

احتذى الكندي في مؤلفاته حذو أرسطو، وكان أكثر فيلسوف أخذ من فلسفة أرسطو.

إن مؤلفات الكندي بلغ عددها 238 رسالة في جميع أنواع العلوم؛ فلسفة وعلم السياسة والأخلاق والفلك والجغرافيا ونظام الكون. وأهل الحقبة التي عاش فيها الكندي هم الذين لقبوه باسم فيلسوف العرب أو فيلسوف الإسلام.

الكندي هو أول مسلم عربي اشتغل بالفلسفة، ومن هنا تأتي أهمية الفترة التي عاش فيها، حيث كان اهتمامه كبيراً بحاجة الناس ومتطلباتها في جميع مراحل حياته، وتأثر بالفكر التربوي لدى المجتمع الذي كان يعيش فيه، لذلك من الضروري أن نتطرق للمؤثرات التي شكلت الفكر التربوي عند الكندي.

ومؤلفاته كانت غنية وكثيفة، وشملت كتاباته كل الموضوعات فلسفة، تربية، تصوف، فلك ورياضيات ... إلخ.

دمج الكندي الكثير من وجوه الفلسفة في الرياضيات والهندسة لتحقيق التفاعل التربوي بين الفرد والبيئة التي يعيش فيها بهدف الاستفادة منه في التربية العربية وربطها بالأصالة، كانت له نظرته التربوية التي تربط التاريخ بالتربية.

ويرى أنه من الواجب أن يتعلم كل جيل من الأجيال السابقة بهدف نقل المعرفة عبر الزمن وحماية الثقافة من الضياع؛ وهذه الطريقة هي تعميق المعرفة وتراكمها، وهذا يؤدي إلى التجديد والتطور.

كانت الفلسفة التربوية عند الكندي تتمحور حول تنمية الفرد من ناحية إنسانية أو ناحية أخرى هي كفرد في جماعة، ويرى أن أهداف التعليم هي تحديد قدرة الإنسان على التفكير والوصول إلى فهم الأساسيات والمبادئ الأخلاقية التي يجب أن يتصف بها الإنسان. كان له أسلوبه الشخصي في الفكر التربوي. شكّل مقياساً ثابتاً في أغلب مؤلفاته التي شملت عدداً كبيراً من المعالم التربوية من الطبيعيات إلى الإلهيات، وعلوم الدين والمنطق والرياضيات والاجتماع والفلك والموسيقى، هذا يؤكد لنا أنه مؤلفاته شملت كل العلوم.

آراء الكندي التربوية:

اهتم الكندي في جميع جوانب حياة الإنسان، حيث قال إنه من الواجب تربيته من طفولته وتهذيبه وتعليمه الأخلاق والسلوك الحسن بالترغيب والترهيب. ويرى أن بين الفلسفة والتربية رابطاً قوياً، فكل فيلسوف له نظرية تربوية، وكل تربوي له نظرة فلسفية إنسانية معرفية وأخلاقية، لذلك أعطى اهتماماً كبيراً بتربية العقل والجسد، مما يحقق للإنسان الكمال. ذلك جزء من فلسفته في الإنسان والمعرفة والأخلاق، وهي نظرة جمعت بين وجهة نظر إسلامية وأخرى فلسفية كانت سائدة في عصره.

معرفة الكندي بالثقافة الإسلامية جعلته قادراً على صياغة فلسفته الإنسانية، كذلك كانت آراء الكندي التربوية تؤكد على ضرورة تعليم الإنسان التأدب بآداب القرآن والسنة لينال المكانة الحسنة في المجتمع، لأن الإنسان يرتفع قدره في مجتمعه بالعلم، والعلم ينمّي القدرات العقلية له ويجلب له منفعة مادية.

إن هدف التربية عند الكندي هو خلق مواطن صالح جيد عقلياً وخلقياً، وتعليم هذا المواطن أي عمل إن كان نظرياً أو عقلياً أو عملياً يستخدمه في بناء مجتمعه. إن العلم مرتبط بما يحتاج إليه الإنسان وما ينفعه، في الإسلام يقول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (اللهم علمني ما ينفعني، وانفعني بما علمتني وزدني علماً). ومن ميزات التربية الإسلامية هي خلق علاقة وثيقة بين الجانب النظري والجانب العملي، الذي يجب أن يستفيد المتعلم مما تعلمه ويطبقه في حياته وتصرفاته.

قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (كل علم وبال على صاحبه إلا من عمل به).

إن الفكر التربوي عند الكندي لا يختلف عن الفلاسفة العرب الذين جاءوا بعده، لأن اغلب الفلاسفة أخذوا من أفكاره مثل الفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون. أسس الكندي منهجاً علمياً حقق الغايات التي يسعى إليها في كل زمان ومكان من خلال العناصر الرئيسية التالية:

i. العلم والحصول عليه لتحقيق الإنسان غاياته وأهدافه.

ii. معرفة طبائع الأشياء.

iii. الربط بين النتائج والأسباب لتحقيق الهدف الفكري التربوي.

لم ينته بناء الوعي والإدراك الذي حققه علماء الفلسفة المسلمون، ولا ننسى أن الحضارة أصبحت بفضل تراكم خلافتهم وأفكارهم، فلا يمكن لحضارة أن تبدأ من الصفر فكل ذكاء حضاري هو عبارة عن تراكم الأفكار بإضافة إلى آخرين استفادوا من الجهل والعلم الذي قدمه السابقون ثم الاستمرار في نفس المسيرة.

الفلسفة التربوية عند الفارابي:

هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان الفارابي الملقب بأبي نصر، العالم والفيلسوف الإسلامي. ولد عام 874 ميلادي/ 264 للهجرة، كان شديد الذكاء زاهداً في الدنيا لقب بالمعلم الثاني، وهو مؤسس المدرسة الفارابية.

كان مهتماً بعدد كبير من العلوم، مثل الفلسفة والسياسة والمنطق والموسيقى، تأثر الفارابي بأرسطو. سئل الفارابي: من أعلم أنت ام أرسطو فقال: (لو أدركته لكنت أكبر تلاميذه)[26].

وقد حقق هذا فعلاً، حيث كان أفضل تلاميذ المعلم الأول، وهذا السبب أعطاه لقب المعلم الثاني[27]. توفي عام 950 ميلادي عن عمر يناهز 80 عاماً.

حياته:

كانت حياته زاخرة بالعلم، حيث اهتم بدراسة العديد من العلوم الفلسفية كالأدب والفلسفة واللغات. درس الفارابي الفلسفة والطب والمنطق والعلوم الإنسانية، وأكمل دراسته في الطب والرياضيات. كان يفضل حياة العزلة والوحدة ليتفرغ للدراسة والتأمل والتفكير وألّف معظم كتبه في بغداد.

---

26 ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق نزار رضا، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 606.

27 نجد ذلك في الصفحة 288 من الموسوعة الفلسفية المختصرة، التي ترجمها كل من فؤاد كامل وجلال العشري وآخرون، ونشرت بدار القلم في بيروت.

فلسفته:

تعتبر النصوص الفلسفية للفارابي من أهم المصادر الفلسفية الأولى، والتي عرّفت الفلسفة لغوياً واصطلاحاً، ابتداءً من نشأنها وانتهاءً بظهورها في العالم الإسلامي.

نجد براعة الفارابي وخبرته من خلال دراسته للفلسفة. اهتم بدراسة وشرح جميع أنواع الفلسفة اليونانية التي وصلت للعالم الإسلامي، وكانت وجهه نظره أن الفلسفة تتواجد في المكان الذي توجد فيه حضارة، وأن الفلسفة ليست من أصل يوناني وإنما أصلها الحضارات الشرقية القديمة.

تدور أفكار الفارابي في النظرية الفكرية حول التربية الاجتماعية والعقلية والأخلاقية، وقد ظهر اهتمامه فيها عندما كان في بغداد، كانت آنذاك الحلقات العلمية مفتوحة لكل طالب علم، في المساجد والمدارس والكتاتيب.

كان التعليم في المساجد محدداً بتعليم القرآن والحديث وعلوم الدين، بينما كانت المدارس تعلم العلوم والرياضيات والطب والكيمياء والموسيقى. لهذا ظهر العلم في بغداد والكوفة. اهتمت بغداد بدراسة العلوم العقلية والمنطقية، منها الفلسفة وعلم الكلام والأخلاق، وكانت الترجمة الطريق الأول لظهور الفلسفة التربوية والتعليم في بغداد. واعتبر الفارابي من روادها. قدم نظرياته في الفلسفة الهادفة لبناء الإنسان والمجتمع، وربطه بين العلم والدين والفلسفة، معبّراً عنها بالمعرفة العقلية.

كتب الفارابي الكثير من مواضيع الفلسفة والمعرفة، تحدث فيها عن العقل والوجود والأخلاق. اهتم بدراسة الفكر التربوي بشكل كبير، فقد أكد أهمية هذه الدراسة في تطوير الإنسان والمجتمع.

لا يختلف رأي الفارابي عن رأي الكندي في المعرفة، حيث يرى أن الأشياء المادية إذا دخلت العقل وفهمها أصبحت معقولات لها وجود في العقل، وهذا معناه أن المعرفة الحسية لا تتحقق إلا إذا انتقلت إلى العقل، وأن الفعل الإنساني في رأيه له ثلاث مراحل:

i. يكون عقل الطفل للتفكير وبعدها ينتقل للفعل بعد إدراك الأشياء بالحواس.

ii. ينتقل إلى مرحلة فهم الأشياء المادية بالحواس بمساعده العقل الفاعل.

iii. يستوعب فيها العقل الإنساني المعنى العام المعقول الذي هو فوق الحس، والذي يكون قبل الاستيعاب، ويحدث الاستيعاب نفسه.

يرى الفارابي أن الفلسفة المعرفية لها تأثير في الجانب التربوي الأخلاقي والفكري للإنسان. وهو يفصل بين النظرية والتطبيق، ويغلّب المعرفة العقلية على الفعل، ويعلل بأن الحكم في موضوع ما بأنه خير أو شر هو العقل.

لا تحصل المعرفة في الإنسان عند الشعور بالمحسوسات، بل يحتاج إلى تدخل نفسي متعدد ومتعاقب للتخلص من الشوائب العالقة بالحس لتصل إلى مرتبة التجريد الخالصة.

وفي التربية العقلية يقول الفارابي: إن الفهم أحسن من الحفظ، لأن الحفظ يكون فعله بالألفاظ، وهذا من جزئيات الإنسان، أما الفهم فيكون فعله بالمعاني والكلمات والقوانين، وهذه أمور محددة ومنتهية.

كتب عن التربية الأخلاقية في كتابه "فصول منوعة"، تحدث عن العادات وقوتها واعتبر أن الفضيلة والرذيلة ليستا من الصفات الأساسية الفطرية للإنسان؛ وإنما هي عادات يكتسبها الإنسان من حياته وبيئته. وهو على استعداد فطري لاكتساب أي عادة إن لم يوجد رادع خارجي.

الرقي الحضاري والتقدم العلمي في بغداد كان له دور كبير في إنضاج موهبة وأفكار الفارابي، وقد استفاد من التطور الفكري في بغداد وطوعه لدراساته العامة وبما يخص الجوانب النظرية والتطبيقية في خصوص التربية والتعليم بشكل خاص وعام. شارك في الروح الثقافية، وساهم بشكل مميز في تعميق الفكر التربوي والفلسفة، وذلك بتأليفه كتاب "المدينة الفاضلة" الذي بدأ بها في بغداد ونقلها إلى الشام، وكتب فصولها في مصر متأثراً بالمدرسة الفكرية لتلك المدينة. وقد حل المشكلة المعقدة التي كان أبرز ما فيها تحقيق العدالة في ضوء المناهج التربوية العقلية التي تستند إلى أسس متينة من الاستيعاب المعرفي، لذلك كان اهتمامه بشكل كبير في مجال التربية العقلية ومن بعدها التربية الأخلاقية.

الفلسفة التربوية عند القرطبي:

هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، ولد في قرطبة عام 368 هجري الموافق 978 ميلادي. تتلمذ عند علماء قرطبة، درس الفقه والحديث والعلوم العربية والتاريخ، أحب العلم والثقافة الإسلامية لهذا أعطاها اهتماماً كبيراً ودرس قضايا عصره، فدمج بين الأصالة والمعاصرة[28].

المبدأ التربوي عند القرطبي:

قال القرطبي بضرورة التعليم ومنع إخفاء العلم.

قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه)[29].

---

28 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ج-13، دار صادر، بيروت.

29 (آل عمران، آية 187).

وقال ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: (من سئل علماً علمه، فكتمه جاء يوم القيامة ملجماً بلجام من نار)[30].

وهذا هو المبدأ التربوي الذي كان يعمل به في الدين الإسلامي في عصور النهضة.

الآراء التربوية عند القرطبي:

i. معنى العلم: إن العلم بمكانة عالية بنظر القرطبي فهو من منزلة النبوة والوحي، ويقصد بالعلم العلوم الدينية والمدنية.

ii. أهداف العلم الوصول للعبادة الخالصة لله عزّ وجلّ، وطاعته وإرضائه.

iii. المعلم والتلميذ: اهتم بأخلاق وصفات كل من المعلم والتلميذ التي يجب أن يتصفا بها.

1- **صفات المعلم:**

ان يكون متواضعاً وهادئاً، عادلاً ووقوراً، رؤوفاً بتلاميذه، يهتم بتنمية شخصيتهم ولا يكون قاسياً معهم، يعطي دروسه بأساليب مختلفة ويراعي مستويات طلابه.

2- **صفات التلميذ:**

أ ـ أن يكون هدفه الأول من علمه هو إرضاء الله عزّ وجلّ.

ب ـ أن يجتهد في طلب العلم.

ج ـ أن يسأل في الوقت المناسب.

د ـ أن يسأل ويناقش بأدب دون حدة أو غضب.

هـ ـ احترام المعلم وتقديره.

و ـ أن يكون متفرغاً ليتابع تعليمه.

---

30 رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، وابن حيان في صحيحه.

iv. منهاجه:

قسم القرطبي العلوم إلى قسمين:

1. علم البديهيات أي الأمور المسلّم بها التي لا تحتاج إلى دراسة أو أدلة.
2. والعلوم النظرية أو المكتسبة، وهي العلوم التي تحتاج إلى أدلة وبراهين ونظريات[31].

v. الإنفاق في سبيل العلم: يرى القرطبي أنه من الضروري الإنفاق في سبيل العلم، وخصوصاً في ما يتعلق برواتب المعلمين، والإنفاق على المتعلمين.

وتلخيصاً لذلك نجد أن العلماء بحثوا في ثلاثة فروع أساسية للفلسفة:

أولاً: البحث في حقيقة وطبيعة الوجود.

ثانياً: نظرية المعرفة أي دراسة طبيعة الخطأ والصح والحدود التي يقف عندها العلم الإنساني.

ثالثاً: علم ما وراء الطبيعة وهو علم جمع العلوم الإنسانية ويعني البحث عن الوجود والمعرفة والقيم. وتنقسم القيم إلى قسمين هما: الأخلاق والفلسفة الأخلاقية، وهي ما يطلق عليه المُثل العليا. هي المقياس الذي يقاس به السلوك الإنساني وكل ما يتعلق في علم الفلسفة والجمال والفن.

---

31 ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، بيروت.

رأي الفلسفة التربوية الإسلامية في طبيعة الوجود:

الحقيقتان الأساسيتان لتكوين الوجود هما (الفكر والمادة)، لا يمكن الفصل بينهما لأنهما على علاقة وثيقة متوازنة لا غالب بينهما. وقد أكدت الآيات الكريمة أن التفكير هو الحقيقة التي تميز الإنسان عن باقي المخلوقات، حيث إن المادة وحدها دون الفكر لا فائدة منها في جميع أشكالها ومجالاتها. وتعد المادة معيار الفكر وتحدد صدقه من كذبه. تقول الآية (والشمس وضحاها، والقمر إذا تلاها، والنهار إذا جلّاها. ونفس وما سواها)[32].

إن العلاقة بين الفكر والمادة تربوياً يجب أن تتواجد في المناهج الدراسية في مراحل التعليم الفكري المادي، بمعنى آخر المنهاج النظري والتطبيقي المقترن بالعمل.

قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (إنما يزهد الرجل في علم ما لم يعلم قلة انتفاع بما قد علم)[33].

قال القرطبي في جامع بيان العلم وفضله: إن عالماً من المسلمين قال (أول العلم النية، ثم الاستماع، ثم الفهم، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر).

ونرى أن المادة والفكر مجتمعان في رسالة كتبها عمر بن الخطاب ـ (رضي اللّه عنه) ـ يقول فيها: (أما بعد علّموا أولادكم السباحة والفروسية ورووهم ما سار من المثل بعض الشعر)[34].

---

32 سورة الشمس، الآيات 7-3-2-1.

33 الراوي: جابر بن عبد الله | المحدث: الألباني | المصدر: ضعيف الجامع الصفحة أو الرقم: 2011.

34 أخرجه ابن منده في المعرفة واللفظ له.

رأي الفلسفة التربوية في طبيعة المعرفة وتطبيقاتها التربوية:

طبيعة المعرفة تتكون من شرطين أساسيين:

i. الحسي القادم من العالم الخارجي إلى العقل.

ii. قدرة العقل في تحويل هذا الأثر الحسي إلى معانٍ ومفاهيم أساسية عامة.

المعرفة هي القدرة على فهم العلاقات بين الأشياء والأحداث والمعاني التي تحدد مهامها حياة الإنسان المتغيرة.

يرى الكندي أن الطبيعة الإنسانية هي نفس وجسد، وأن النفس هي الروح الخالدة، أما الجسد فهو الفاني، والروح موجودة بالجسد من أجل أن تدلها على عالم الفضيلة، ثم إن الجسد يعطي الطبيعة الإنسانية طبع الشر وهو إله الغضب والشهوة، أما الروح فتعطي الطبيعة الإنسانية الطبع الخيّر. كما يقول الكندي الروح هي التي تتصرف بعقلانية وتضع حدود الجسد المتمردة.

وهذا معناه أن التربية تنقسم إلى قسمين: الأول تهذيب الجسد وتوقف الشر في الإنسان. والثاني رعاية الجانب الخيّر في الإنسان.

أما ابن سينا فيرى أن الإنسان خلق على الفطرة لا يخلق شريراً أو خيّراً إنما تظهر حسب البيئة التي تربى بها.

ويقول أيضاً ابن سينا عن الأخلاق: فيها ما هو الجميل وما هو قبيح وهي صفات مكتسبة للإنسان أي أنه يمكنه أن يغير طبعه وأخلاقه عن طريق

التطبيع الاجتماعي التربوي ويتغير حسب الظروف التي يعيش بها.

أما الفكر التربوي الإسلامي فيرى أن هناك فروقاً فردية في الطبيعة الإنسانية، قال تعالى: (لا نكلّف نفساً إلا وسعها)[35].

وقال تعالى: (لا يكلّف الله نفساً إلا ما آتاها)[36].

رأي الفكر التربوي الإسلامي في القيم:

القيم هي القوانين والأنظمة التي تنص عليها مجموعة ما وتحدد الأعمال والأفعال والنشاطات، ويصبح الالتزام بها ضرورياً، وأي شذوذ عن هذه القاعدة يعتبر انحرافاً عن المجموعة، وعن أهدافها وقيمها.

هناك رأيان متناقضان عن معنى القيم وطبيعتها:

الأول: أن القيم موضوع مطلق، حيث قال أفلاطون إنها ثابتة لا تتغير ولا تتبدل باختلاف البشر والظروف.

أما الرأي الثاني فيقول: إن القيم ليست ثابتة وتتغير حسب ظروف المجتمع، ويمكن تعديل العادات والاتجاهات والسلوك. ويقول لا يوجد خير كامل ولا شر كامل كل موقف له التصرف الذي يناسبه، ولهذا دعا هذا الرأي إلى دراسة الطبيعة النفسية والاجتماعية للإنسان كفرد أو كجماعة.

إن الفكر التربوي يستمد القيم من واقع الحياة والتراث الاجتماعي، وإن القيم هي التي تنظم حياة الفرد مع نفسه ومع مجتمعه مثل الطهارة والنظافة والاهتمام بجسده وتحمّل المسؤولية والاهتمام بالجماعة والشعور بالانتماء لها.

---

35 الأنعام، 152.

36 الطلاق، 7.

اهتم الإسلام بإزالة القيم السيئة التي جاءت من المجتمعات الأخرى وعززت القيم المستمدة من الشريعة الإسلامية، هذا ما يتوجب على المؤسسات التعليمية أن تقدمه وتعلمه من قيم هادفة.

وهكذا نرى أن القيم الإنسانية السامية في كل المجتمعات هي التي هذبت الفرد والمجتمع، وبنت الإنسان روحاً وجسداً فكرياً ومادياً.

الفصل الثاني

الفلسفة التربوية في الإسلام المتأخر:

إن حجر الأساس في التربية الإسلامية هو قضاء العمر في سبيل العلم. ولم يقتصر الإسلام على التعليم الديني فقط، بل شمل التعليم بكل أشكاله، حيث اهتم بالعلوم الأدبية والعلمية، وغايته بذلك كانت تطوير المجتمع الإسلامي وإعلاء شأنه.

يبدو هذا ظاهراً لنا في القرآن الكريم وأحاديث النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ، حيث قال: (طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة)، وأيضاً قوله (اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد). ولم يفرق في التعليم بين ذكر وأنثى.

وعن علي بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه قال أشعاراً عن العلم:

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم   على الهدى لمن استهدى أدلاء

فعش بالعلم تعش حيّاً به أبداً   الناس موتى وأهل العلم أحياءُ[37]

وما زال هناك الكثير من الشواهد والأمثال والحكم التي تظهر أهمية العلم والمعرفة وأهمية التربية في الإسلام، وكذلك الكثير من الأشعار في البلاد الإسلامية.

هذه الشواهد واضحة وضوح الشمس في الكتب العربية التي تتحدث عن التربية والتعليم، وجميعها تستمد قوانينها وقواعدها من القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة. يظهر ذلك في كتب ومؤلفات العلماء المسلمين الذين درسوا تطور الشخصية والطبع البشري في جميع مراحلها، وكذلك تربية الطفل والتعليم المتطور. وقد تركوا من القرن الثامن حتى القرن

---

37 (الحلبي، 1967م).

السادس عشر كتباً ومصنفات ودراسات عربيِّة إسلامية تهتم بالدراسات التربوية والتعليمية وكتب الجغرافيا. إن آراء العلماء وأفكارهم ودراساتهم تركت أثراً كبيراً في ما يسمى التراث الإسلامي التربوي في العصر العباسي.

في البلدان العربية الإسلامية ينظر إلى عملية التعلم والتعليم وكافة وسائلها بأنها مرتبطة بالتربية الدينية، وذلك في مدارسنا وجامعاتنا أو أي مؤسسة تعليمية أخرى، وجعل عملية التعلم والتعليم في خدمة الفرد والمجتمع بشكل عام. ونرى أن مبادئ وأساسيات التعليم والتربية وعمليات تدريسها تعتمد على أسس الدين الإسلامي، وقد حدث أن قال "بلوم"[38] إنه صاحب نظرية "إتقان التعليم"، لكن الحقيقة هي أن هذا الادّعاء غير صحيح، فقد تحدث القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن هذا الإتقان منذ ظهور الإسلام. قال تعالى (صنع الله الذي أتقن كل شيء)[39]، وقال نبي الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ عن الإتقان في العمل: (إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

وهذا دليل واضح على أن إتقان التعليم أو إتقان العمل هما عمليتان مرتبطتان بالشريعة الإسلامية قبل أن يتحدث عنهما المفكرون الغربيون بآلاف السنين.

ومن وجهة نظر الإسلام فإن التعليم والتعلم مرتبط برابط قوي بالتربية الإسلامية، وهي تتميز بالتوازن والواقعية والتفكير المنطقي العقلاني. إن الإسلام يهتم بتعليم الأخلاق والقيم أولاً، ويعلم ما فيه منفعة للإنسان في الدنيا والآخرة.

---

38 هو بنجامين بلوم، عالم نفسي وتربوي أمريكي، قام بوضع تصنيف للأهداف التربوية، ومؤسس نظرية إتقان التعليم، ولد 21 فبراير 1913/ في بنسلفانيا وتوفي في 13 سبتمبر 1999 عن عمر يناهز 86 سنة.

39 النمل، 88.

تقول الآية الكريمة: (قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قِيَماً ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين* قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين)[40].

وهذا يدل على أن التعليم يجب أن يبدأ من منطلق ديني وأخلاقي، وأن يربى الفرد أحسن تربية تعود عليه وعلى المجتمع والبشرية بالفائدة، أي أن الإنسان يجب أن يتعلم علماً ينفع به إسلامه، ويبني فيه آخرته، يعلم ويتعلم ما يرضي الله عزّ وجلّ، في فعله وقوله، قال تعالى: (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتّبعوه ولا تتبعوا السّبل فتفرّق بكم عن سبيله ذلكم وصّاكم به لعلكم تتقون)[41].

ويؤكد على نقطة مهمة وهي عدم كتمان العلم، قال تعالى: (وإذْ أخذ الله ميثاق الذين أُوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً)[42].

إن التعليم يحتاج لإنسان صادق وأمين، يعمل بأخلاقه وحسن تربيته، لهذا كان العلماء المسلمون يتمتعون بحب العلم، والدافع الدائم، والبحث في العلم وفروعه وزاد حبهم له وتعميقهم به مرضاةً لله قال تعالى: (وقل ربِّ زدني علماً)[43].

وقال تعالى للتشجيع على العلم والاستعجال عليه: (وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً)[44].

---

40 الأنعام، 161- 163.
41 الأنعام، 153.
42 آل عمران، 187.
43 طه، 114.
44 الإسراء، 85.

وضّح القرآن الكريم أن العلم لله وحده، وأن سر العلوم بيد الله عزّ وجلّ، لذلك إذا أراد الإنسان علماً فليذهب إلى الخبير به، ويمكن القول إن العلم النافع والعملية التعليمية التربوية المفيدة، تعود بالنفع والخير للبشرية كافةً.

والإسلام يرى أن على الفرد أن يتناول جوانب العلم الذي يفيد، وأن يأخذ من كل علم مقداراً يسيراً، كما ذكرنا سابقاً عن العلماء المسلمين الذين قالوا: إن الإنسان ليس له ما يكفي من العمر لأن يكون ضليعاً بكل العلوم، لذلك يجب أن يختص بعلم محدد يتعمق وينجح فيه، ويتميز بما ينفعه وينفع دينه. على الإنسان أن يتعلم من كل علم القليل، ومن ثم يدرس علماً محدداً يختص به، ويجب أن يتصف العلم والتعليم بالتوازن، وهي سمة من سمات التوجيه الإسلامي. فلا بد أن يتحقق التوازن بين العلم والتعليم وبين الهدف الذي يسعى لتحقيقه، وأن تكون لعملية العلم والتعليم خطوات وأهداف ثابتة لا يُبتعد عنها.

إن تحقيق الهدف التربوي التعليمي هو الذي يصل بالمتعلم إلى مستوى عالٍ من التعليم، ويوصله إلى مرحله الإتقان، والمشاركة في العملية التربوية بين المعلم والمتعلم للوصول للأهداف التربوية المطلوبة.

وكذلك يمكن القول في العملية التعليمية إنه يجب على الفرد ألا يبالغ ويخرج عن المألوف بالتعليم، فإن العلم هو تجديد وتغيير في الفكر والسلوك والرقي الأخلاقي والسمو بها عن الأذى، ويجد في علمه ما ينفعه في الدنيا والآخرة.

تطوير التعليم والمناهج في الإسلام المتأخر:

لم يتفق فلاسفة الإسلام على منهج محدد للدراسة في المراحل المدرسية، ولكن تم الاقتباس والاستفادة من الفلاسفة القدامى والحديثين المسلمين للتوصل للمنهج الأنسب، وأهم ما يميز المنهاج الإسلامي التربوي أنه يعتمد في نظامه التعليمي على التربية الإسلامية التي اعتمدت على القرآن الكريم والسنه النبوية.

تم تقسيم المناهج إلى قسمين:

- **المنهاج الأول:** ويتضمن دراسة القرآن الكريم، ومبادئ أساسيات الدين والكتابة والقراءة والشعر والنحو. ويمكن أن يخرج عن المألوف، ودراسة بعض العلوم والتربية الأخلاقية، وذلك وفق ما قاله ابن جوزي وابن مسكويه والغزالي في مؤلفاتهم[45].

- **المنهاج المتعدد:** وهو تعدد المناهج. وفي هذا القسم أصبحت مجالات الدراسة المختلفة، ويدرّس حسب منهاج المدرسة العلوم والرياضيات والفيزياء.... إلخ.

إلا أن المواد الدينية تبقى داخل المنهاج وتنقسم إلى قسمين هما:

- **علم ديني أدبي:** كتب عنه الخوارزمي في كتابه مفاتيح العلوم[46]، ويتلخص بعلم الفقه والكلام والكتابة والعروض، وممكن أن يدرس الحساب لأهميته في معرفه التقويم والميراث.

---

45 عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، ص 202.

46 عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، ص 202، 204.

- **علم علمي أدبي**: كذلك كتب عنه الخوارزمي في كتابه السابق وينقسم إلى قسمين:

– العلوم الطبيعية: تشمل الطب والصيدلة والمعادن والكيمياء.

– العلوم الرياضية: وتشمل الرياضيات في فروعها، والفيزياء والفلك والفلسفة.

المنهاج التربوي الإسلامي:

وأهم ما يميز المنهاج التربوي الإسلامي هو اعتماده على القرآن الكريم والشريعة والفلاسفة العلماء المسلمين، وهو يتميز عن غيره من المناهج بما يلي:

1. شامل وموحد.
2. من أولوياته التربية الأخلاقية.
3. الاهتمام بالناحية الروحية.
4. يحقق التوازن بين مجالات الحياة وحاجاتها.
5. الاهتمام بالقيم الخلقية والجمالية، وتزكيه النفس بالإيمان.
6. بناء شخصية الفرد الإيجابية.
7. بناء مجتمع متكامل عن طريق بناء أفراد اجتماعيين.
8. اتّباع طريقة الاعتماد على العقل والمنطق في التفسير والبحث والتفكير المنهجي.
9. التعليم في أي مكان (مدرسة، مسجد، بيت) ... إلخ.
10. الاهتمام بالتربية الإنسانية للفرد.

11. التأكيد على ضرورة الاستمرارية والالتزام بالتعليم.

12. المساواة في إعطاء الفرص في التعليم.

13. التغيير المستمر والتجديد ليتناسب مع التطور والمتغيرات الموجودة في العصر الحالي، وما يتناسب مع المستقبل.

اهتم أيضاً المنهاج التربوي في فلسفته التربوية بالتأكيد على ضرورة إيجاد الإنسان الذي يؤمن بأن العلم وتحقيق أهدافه مرجعه الوحيد هو النجاح في الحياة والآخرة. وكذلك الاهتمام بالمعرفة الدينية والإنسانية والحياتية، ومحاولة التوازن بين العلوم الدنيوية والسماوية، ويحقق الهدف الحقيقي في الحياة. وهي فلسفة تربط بين التراث والتجديد، بين العلم والأخلاق، وتقوم على التربية الصالحة وتراعي الأسس الفكرية والروحية، وهي فلسفه تقرّب الإنسان من خالقها.

الوسائل التعليمية التي ذكرت في القرآن الكريم:

ذُكر في القرآن الكريم الكثير من الوسائل التعليمية، رأى الفلاسفة أنها تستخدم في عمليه التعلم والتعليم، ومن هذه الوسائل القلم، الكتابة، القراءة، الذاكرة، اللغة، الرسالة، اللعب، الهدايا، الخبر[47].

كذلك كان النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يستخدم وسائل تعليمية متعددة، واستخدمت في ما بعد، لتساعد المتعلم على الحفظ والتركيز والتعلم والتذكر، واستخدام وسائل سمعية وبصرية. ومن الوسائل التي استخدمها النبي الإشارة، واستخدم العصا والحصى، والرسم، والهدايا، والشعر، وسنشرح القليل منها بما يتناسب مع موضوعنا:

---

47 الأساليب التربوية والوسائل التعليمية في القرآن الكريم، أبو شريخ (155-177).

الكتاب: ذكرت كلمة كتاب في القرآن الكريم 240 مرةَ، فهو من أهم الوسائل في المراحل التعليمية كافةً، قال تعالى: (إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون)[48].

كذلك استعان الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ بأصحابه لكتابة القرآن الكريم والرسالة التي هي من أساسيات الدين والدنيا لتصل إلى الناس، ومن الكتّاب الذين كتبوا للرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ: الخلفاء الراشدون الأربعة، وزيد بن ثابت ـ رضي الله عنهم ـ كذلك كتبوا الأحاديث النبوية[49].

الذاكرة: هي التذكير أي الحفظ ومنع النسيان[50] والتذكّر والدراسة والحفظ عند طلب ما فات[51] قال تعالى: (فذكّر إن نفعت الذكرى)[52].

إن الحفظ والتكرار والتذكّر من أهم الطرق المتبعة للتعليم وتنشيط الذهن والذاكرة.

الرسالة: هي كتابة الحقائق والوقائع ونقلها للتواصل بين الناس.

الشعر: كان النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ يلجأ للشعر كوسيلة من الوسائل التربوية لأنها تعتبر وسيلة مميزة للاتصال والتعليم. وقديماً قيل: الشعر ديوان العرب.

اللعب: إنه الأسلوب الذي اتّبعه رسول الله مع الأطفال فهو ينشّط الذهن والقدرة على الاستيعاب والإدراك ويخفف من التوتر، ويمزج المتعة بالتعلم.

ذكرنا القليل من وسائل التعليم لأننا ذكرنا في فصل سابق (الفصل الأول)

---

48 الواقعة، 77 ـ 78.

49 الرسول المعلم، وأساليبه في التعليم، أبو غدة 65.

50 مختار الصحاح.

51 العين للفراهيدي (1 ـ437 ـ 438)

52 الأعلى، 9.

أساليب النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، لذلك اختصرنها في الوسائل المتبعة في القرآن والسنة.

محتوى التعليم وأنواعه:

من المكونات الأساسية في عمليه التعليم المحتوى التعليمي، وهذا المحتوى يتضمن كل ما يدرسه التلاميذ، دراسة معرفية مهارية، انفعالية.

- **أولاً**: الدراسة المعرفية: هي كل ما يتعلق باكتساب المعلومات مثل تذكّر تاريخ، أو نسج قصة من خياله، وكل ما يتعلق باللفظ والكتابة. وهذا معناه ان يأخذ المتعلم كفايته من المعلومات والمعرفة (معلومات مقروءة أو قصص أو جمل أو كلمات، ممكن أن تكون كتاباً كاملاً في النهاية يطلق عليها معلومة).

- **ثانياً**: المهارة: وهي أي مهنة أو حرفة يتعلمها الطلاب وتتم ممارستها بشكل صحيح ومتقن، أو أي مهارة يدوية يقال عنها مهنة أو اكتسب مهنة. مثل تركيب دارة كهربائية، أو القيام بتجربة فيزيائية أو كيميائية، وكذلك إذا كانت مهارة جسدية كالرياضة، ومن شروطها النجاح والإتقان.

ولكن في الوطن العربي أو الدول الإسلامية غالباً ليس لدينا محتوى مهارة، نحن نعتمد على محتوى المعلومات فقط. وهذا ما أنتج جيلاً ليس لديه مهنة أو حرفة واعتمد على الاستيراد من الخارج. وهنا نؤكد على أننا نحتاج إلى هذه المهارة في عالمنا العربي والإسلامي.

- **ثالثاً**: المحتوى السلوكي أو الأخلاقي: هو الدافع والميول الإيجابية. ويعرف بأنه التعليم من خلال التحكم بالمشاعر ونشر القيم الأخلاقية وإثارة المشاعر الإيجابية، مثل أن يسمع بيتاً أو قصيدة شعرية ويتخيل

المتعلم الموقف فيحفظه، أو أن يستمع إلى خطاب يحرك مشاعره الانفعالية فيربط المعلومات بالعواطف فيذكره.

من الضروري أن تتكامل عناصر المحتوى التعليمية لنصل للهدف المطلوب، وتتكامل العمليات العقلية المعرفية والمهارية، الانفعالية الوجدانية عند التلاميذ.

يجب أن نؤكد على احتياج البلاد العربية الإسلامية للمحتوى المهاري، حيث إننا اعتمدنا بشكل كبير على المحتوى المعرفي (على أهميته)، ولكننا نحتاج إلى المهارة، نحن نهتم بالمهارة العقلية الفكرية، ولكنها بحاجة كبيرة لتنمية العقلية الحركية المهارية لبناء مجتمعنا الذي أصبح متأخراً، وهذا ما لا ينفع الإنسان في دينه ودنياه.

ميزات محتوى المنهج التربوي الإسلامي:

1. يعتمد على القرآن الكريم في ثوابته وسماته وعلى السنة الشريفة.
2. يراعي المحتوى تسلسل الأهداف وتكامل المعرفة، وعمقها بين المناهج المختلفة.
3. تتصف المعايير بأنها تتناسب مع العصر وتناسب حقول المعرفة.
4. يتميز محتوى المنهاج التربوي الإسلامي بأنه متوازن ومرن وقابل للتغيير والتعديل.
5. إن محتوى المنهاج الإسلامي يبنى وفق حقائق علمية ومنطقية.
6. ترتبط المعرفة مع موادها وتتكامل مع بعضها حسياً وعقلياً وروحياً.
7. يعتقد أن بناء الإنسان والمجتمع يحتاج إلى خبرة ومتابعة.
8. يهتم المحتوى باستعداد المتعلمين والفروق الفردية بينهم.
9. يؤكد المنهاج التربوي الإسلامي على الرجوع إلى التراث العربي في اختيار المحتوى.

تنفيذ المحتوى في نظر المنهاج التربوي الإسلامي[53]:

يمنح المنهاج التربوي الإسلامي في العمليات التعليمية دوراً متعاوناً ومتشاركاً بين الإدارة والأفراد في تنفيذ المحتوى، ويمنح أدواراً متشاركة ومتفاعلة بين الجهات المسؤولة من المدير والمعلم والتلاميذ والمؤسسات التعليمية كافة، وتتبع المؤسسات التعليمية التي تنتهج الفكر التربوي الإسلامي طريقة التربية الإيجابية، حيث تهتم بتأمين البيئة التعليمية المناسبة القائمة على التشارك والاحترام المتبادل بين الكادر التعليمي والفني في الوسائل التعليمية، التي تساعد على تنمية فكر الطالب وتحثه على البحث العلمي.

إن المعلم بالنسبة للمنهاج التربوي الإسلامي مقدس وذو مكانة سامية[54]، ويعتبر هو المسؤول الأول عن تنفيذ المنهاج والمحتوى، وهو المرشد والناصح والقدوة.

كما أنه يعطي الأولوية لقوانين التعامل بين المعلمين والمتعلمين وضبط سلوكياتهم، ويشترط أن يستخدم المعلم الأساليب والطرق التعليمية المناسبة حسب الظروف البيئية الاجتماعية والثقافية التي يعيشها المتعلم، كما أنه يستخدم كل ما هو ضروري للوصول للهدف الأول وهو إنشاء إنسان صالح للمجتمع والحياة. ومن الأدوات المهمة في المنهاج التربوي التي تشجع على العلم هي الأسرة والأصدقاء والمسابقات، وكل ما يحقق هدفاً واحداً هو القيم والأخلاق.

يبحث المنهاج التربوي الإسلامي دائماً وبشكل مستمر عن نقاط الضعف الموجودة فيه لتعزيزها وتقويتها وتحسينها وجعلها متكاملة متجدده للتغييرات العصرية[55] دون الخروج عن الهدف الحقيقي وهو الهدف الديني.

---

53 مرعي، توفيق، والحيلة، محمد (2008) المناهج التربوية الحديثة ومفاهيمها وعناصرها وأسسها وعملياتها، ط6 عمان دار المسيرة.

54 مرجان، إسحاق – (1984) مفهوم المنهاج التربوي، رسالة المعلم، وزارة التربية.

55 سعاد جودت إبراهيم وعبد الله (2016) المنهج الإسلامي المعاصر ط8، عمان، دار الفكر.

المعلم في الإسلام:

مع التطور الذي حدث في الثورة التكنولوجية وتطور الوسائل التعليمية واختلاف وتنوع الأساليب والطرق المتبعة في التعليم، والكم الهائل من المعلومات والاكتشافات العلمية، وادّعاء انتهاء عصر المعلم، بدأنا نشعر بأن مفهوم العلم يتغير، وأن أولادنا يتقلبون في مراحل ومستويات مختلفة، رغم تجهيز الكثير من الطاقات والأساليب للتعليم، إذ إننا نشعر بأن العلم يفقد معناه، ويفقد أهميته، وأن المتعلم فاقد لأهمية البركة وجمال العلم، وروحانيته، وقد أصبح علماً بلا روح، وهذه كانت مسؤولية المعلمين الذين للأسف أصبح عملهم عبارة عن وظيفة آلية لها راتبها الشهري، وأصبح أداؤه للعلم مظاهر وشكليات خالية من المعنى، وضاعت الكثير من القيم والأهداف التربوية، وكانت النتيجة ضياع العلم والمتعلمين.

لذلك لا بد لنا من الرجوع الحقيقي والصادق للمناهج التي حققت السمو والشموخ للأمة، لحضارتها في ما مضى، وهو المنهاج الذي أرسل النبي من أجله وتأسست عليه الدولة الإسلامية الأولى، وهي الأمة التي قيل عنها (خير أمة أخرجت للناس)[56].

وهذا البحث محاولة للعودة إلى المنهج الصحيح الذي يعيد للمعلم روح المهنة، ضمن حدود القيم التي وضعها الإسلام والأخلاقيات والقواعد التي نص عليها، تلك الأمة التي أثمرت أعظم العلماء المسلمين.

رسالة المعلم الأولى كانت رسالة الرسول ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ، وهي رسالة العلم والإيمان، (وقل ربِّ زدني علماً)[57].

---

56 آل عمران، 110.
57 طه، 114.

العلم هو وسيلة للتقرب من اللّه عزّ وجلّ، قال تعالى (إنما يخشى اللّهَ من عبادِهِ العلماءُ)[58].

إن عمل المعلم الحقيقي يختلف عن عمل الموظف، فالرسالة التي يحملها المعلم بقلبه وعقله ومشاعره وينقلها للتلاميذ هي التي تميز هذا العمل، وله أهمية كبيرة لما فيه من روح المعلم والتربية التي أخذها التلميذ، فهي ستكوّن شخصيته ومستقبله، وبذلك سيحمل نفس الرسالة، أما غير ذلك فهو موظف عادي، أضاع العلم والتربية وضاعت الأمة.

كان النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أول معلم حمل الرسالة الحقيقية، وكان القرآن الكريم والسنة هي المنهج المتبع، وهذا ما يميز أمة الإسلام في وجودها ورسالتها، قال تعالى (كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون باللّه)[59].

وقد تميز المسلم في تكوينه وأخلاقه وسلوكياته وعلاقاته، إن كان معلماً أو لا وهو يحمل الإسلام في قلبه وعقله وأخلاقه وتصرفاته ومنهج حياته، وأن يتعامل مع المسلمين وغير المسلمين بهدى مبادئه وقيمه.

قال عمر بن الخطاب ـ رضي اللّه عنه ـ (نحن قوم أعزنا اللّه بالإسلام ومهما ابتغينا بغيره أذلنا اللّه). ويجب على هذه الأمة أن تعود للمنهج والرسالة التي جاء بها الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ في جميع شؤونها وتصوراتها وخططها.

العلماء هم حملة الرسالة ومبلّغوها، هم ورثة الأنبياء، وعلماء هذه الأمة مهمتهم الأولى ورسالتهم أن يربّوا الإنسان على الإسلام. إن التربية إذا سارت

---

58 فاطر، 28.

59 آل عمران، 100.

بدون أهداف واضحة أحدثت شرخاً بين الأمة وعقيدتها. إن وظيفة المعلم هي نقل المعرفة وتدريسها وتعميق العلم وأهدافه في قلوب وعقول التلاميذ.

صفات المعلم ومؤهلاته التربوية:

التربية علم وفن وقيم وأخلاق، فالتربية قضية تحتاج للدقة، فإن سلك المعلم الطريق الخاطئ انعكس ذلك كنتائج سلبية سيئة. فكم من معلم أبعد التلميذ عن العلم والتعليم وسّبب انحراف وضياع تلاميذه بسبب أسلوبه الخاطئ، وكم من معلم أدى واجبه بأحسن صورة فعمّق حب العلم في قلوب وعقول تلاميذه، هذا مختصر لما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

يجب على المعلم أن يكون مختصاً بالعلم الذي سيدرسه، وملمّاً بجوانبه ومسائله، إن هذا أمر لا يحتاج لشرح وتذكير، قال تعالى: عن النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ (وعلّمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل اللّه عليك عظيماً)[60].

إن اللّه عزّ وجلّ علّم النبي قبل أن تكون مهنته التعليم والتربية، وبعدها جاءت مهمة النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ، قال تعالى: (ويعلّمهم الكتاب والحكمة)[61]، وهذا دليل على أنه يجب أن يدرس تخصص المعلم في علمه، وبعدها يقدم ما تعلم.

يجب على المعلم أن يميز بين تعليم الإنسان العلوم الدنيوية والتعليم الديني:

الأول يحتاج إلى بذل الجهد والتعب، ويحتاج للتدرج في كسب العلم، والأخذ بالأسباب للنجاح به، ويحتاج الفكر والتفكير والحواس: السمع والبصر. وهو لا يزيد عن كونه تثقيفاً للعقل المادي، أي هو علم ظاهري يقف عند حدود الدنيا فقط، تقول الآية الكريمة (يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون)[62].

---

60 النساء، 113.
61 الجمعة، 2.
62 الروم، 7.

أما الثاني التعليم الديني: فهو يبدأ بالقلب وإيقاظ المشاعر وحب الله ويرتبط بثقافة العقل، وكلما تعمق في تثقيف العقل ازداد القلب يقظة واستجابة للحق، ويكون التعليم الديني أو الرباني واضحاً في سمو النفس وتهذيبها، وتجميل دوافعها وشهواتها.

- **الطريقة أو الأسلوب:** هو الفن الذي يجب على المعلم اتّباعه لنقل المعلومات لطلابه ليفهموها ويستوعبوها، يجب أن تكون الطرق والوسائل متعددة ليصل للنجاح في مهمته ويعطي الثمار المرجوة. وقد ذكرت في القرآن والسنة وجئنا على ذكرها سابقاً. فكم من معلم متميز باختصاصه، لكنه لم يتخذ الطريقة الصحيحة لنقل تلك المعلومة لطلابه فأبعدها عن عقولهم، وضاع التعب والجهد ولم يستوعب التلاميذ الهدف من الدرس، وكم من معلم له طريقة ناجحة أوصل بها المعلومة ورسخت الفكرة في عقول طلابه، ولكن للأسف معلومة خاطئة وهو غير متمكن من اختصاصه، لذلك لا بد من التأكد من أن يكون المعلم ملمّاً باختصاصه ولديه أسلوب وطريقة مؤثرة وناجحة.

- **الموهبة:** هناك معلمون لديهم موهبة فطرية وهبهم إياها الله عزّ وجلّ أهّلهم للتعليم بإبداع، ويلاقون نجاحاً باهراً في مهنتهم، ويوصلون الرسالة بأحسن صورة.

هناك فرق كبير بين معلم أحب مهنته وقدم لها موهبته وإبداعه، وبين معلم أخذ المهنة وظيفة لن يجد سواها وينفذها بتذمر وتأفف.

- **الأخلاق:** إنها أهم صفة يجب أن يتصف بها المعلم، فلا يجوز أن يحمل معلم مثل هذه الرسالة وينقلها لتلاميذه دون أن يتمتع بأخلاق فاضلة وصفات حميدة، قال تعالى (ولو كنت فظّاً غليظ القلب لانفضوا من حولك

فاعفُ عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين)[63].

حديثنا كان عن صفات المعلم ومؤهلاته التربوية التي له صله بأخلاقه وسنعرضها بإيجاز.

صفات المعلم:

أولاً: أن يكون قدوة حسنة لتلاميذه في فعله وقوله وسلوكه، ويجب على المعلم أن يتمثل الرسول - صلّى الله عليه وسلّم - قبل أن يطلب من تلاميذه أن يتمثلوا به.

ثانياً: أن يتعلم المعلم كيفية غرس الحب في نفوس طلابه، وأن يشعرهم باهتمامه، ويتابعهم ويوجّه من يقصر منهم، كذلك يمكن أن يعاقب مقصرهم. إن فرض ذلك الأمر بما تمليه عليه الحكمة. يجب أن يكون الحب موجوداً بين المعلم وتلاميذه ليسعد الطلاب ويتفاعلوا معه ويجتهدوا في العلم والبحث لأن الحب سبب الاجتهاد قبل التوجيه. وهذا ما دل عليه النبي - صلّى الله عليه وسلّم - في توجيهاته، ففي الحديث الصحيح (أخذ رسول الله بيد معاذ بن جبل - رضي الله عنه - وقال له يا معاذ، والله إني أحبك، وأوصيك يا معاذ لا تذعن في دبر كل صلاة أن تقول اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[64].

لا ننسى أن يتعامل المعلم مع تلاميذه في البساطة والتواضع ويقربهم منه أكثر، وهذا له أثر نفسي كبير في غرس حب العلم في أنفسهم ومسارعتهم للتعلم والطاعة.

ثالثاً: التقرب من الطلاب ومعرفة حالاتهم النفسية والاجتماعية وما

---

63 آل عمران، 159.

64 رواه أبو داوود والنسائي بإسناد صحيح كما ورد في الأذكار للإمام النووي 96.

يواجهونه من أزمات ومحاولة حلها وتسهيل الصعوبات. وهذه من مسؤوليات المرشد النفسي في عصرنا الحالي، ولكنه في الحقيقة هو عمل المعلم المربي، وقد تم إسنادها للمرشد بسبب المتاعب الموجودة على عاتق المعلم، وترك هذا المجال ليختص به شخص معين يتحمل مسؤولية هذا العمل ويكون مختصاً به. وهذا لا ينفي أنه في النهاية هو عمل مشترك بين جميع القائمين على العملية التربوية.

توجد لدى بعض المعلمين القدرة، حيث يتمتعون بدقة الملاحظة فيراقبون حركات التلاميذ وتصرفاتهم ومواقفهم ويرصدون المواقف المتكررة ويفهمونها ويكشفون أسبابها، وهم يحاولون علاج هذه التصرفات، والبعض الآخر من المعلمين يكون عملهم عبارة عن وظيفة يقدمون لطلابهم المادة المختصين بها ويقومون بعملهم الروتيني، ولا يرون شيئاً من مواقف طلابهم، وهذا الأمر يسبب نتائج غير حميدة. فقد يقوم المعلم بظلم أحد طلابه لسوء فهم الموقف ولأنه لم يكن ملمّاً بجانب كبير من حياته.

رابعاً: مؤهلات المعلم وصفاته التربوية أن يهتم بالطالب قدر استطاعته ويحرص عليه، وهذه صفة من صفات الرسول الكريم، وقد سجلها القرآن الكريم قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)[65].

خامساً: المتابعة والتوجيه المستمر والتدقيق والصبر إذ إن عملية التربية مستمرة ومتغيره لأن النفس البشرية متغيرة دائماً ومتقلبة ولها مطالب متعددة واهتمامات متنوعة. إن التوجيه يحتاج إلى متابعه الحالة المتغيرة المتجددة التي تحتاج إلى التجديد في التوجيه، وهذا التجديد يحتاج إلى متابعة من جديد.

---

65 التوبة، 128.

سادساً: ملاحظة الفروق الفردية بين التلاميذ والتعامل معهم على أساسها ومراعاتهم في التعليم والتربية والمتابعة والرعاية. وقد دل القرآن الكريم على الفروق الفردية في عده مناسبات منها، قوله تعالى: (ليسوا سواء)[66].

سابعاً: أن يكون المعلم ذا حكمة وصبر في شخصيته وسلوكه ومواقفه.

في النهاية؛ إن العمل التربوي والتعليمي يحتاج إلى حكمة وصبر، وإن لم يحقق المعلم هذه الصفات لم يكن على قدر المسؤولية.

إن التلاميذ الذين هم بناة المستقبل الذين إن لم يتأهلوا بشكل صحيح لبناء مستقبلهم، عاد هذا بالوبال على المجتمع كافة.

صفات المتعلم:

أن يكون مخلصاً للعلم الذي يدرسه وللمعلم الذي أعطاه هذا العلم، ويحترم دينه وبلده بهذا العلم. إن هذه الصفة تدفع المعلم نحو تقديم كل ما لديه من خبرات من أجل تلاميذه.

---

66 آل عمران، 113.

الباب الثاني

(ابن سحنون، 202هـ-256هـ):

الفقيه والقاضي العربي محمد بن سحنون القيرواني، صنف أول عالم إسلامي كدليل علمي، ولقب القيرواني نسبة لمسقط رأسه، ومدينة القيروان تقع في الوسط الشمالي في تونس وتعد أشهر المدن الإسلامية، كانت في زمانه مركزاً للاقتصاد والإدارة والثقافة في المغرب الإسلامي.

ألف ابن سحنون كتاب (أدب المعلمين) وهو من أهم الكتب في التربية وما زال مرجعاً لكل معلم في التربية والتعليم رغم أنه قد مضى عليه حوالي ألف عام.

وهو كتاب يحكي عن مشكلات كانت منذ القرن التاسع وما زالت موجودة حتى يومنا هذا، فيعطينا فكرة عن النظرية التربوية وتطوير المناهج في الإسلام.

أول أربعة فصول من كتاب أدب المعلمين عبارة عن أحاديث نبوية في فضل القرآن، في تعاليمه ودروسه وفي أهمية المعاملة الحسنة بين الأستاذ وتلاميذه.

أما باقي الفصول وهي ستة فكانت عبارة عن أسئلة وأجوبة سألها ابن سحنون لوالده سحنون، وهو من كبار فقهاء المالكية (المالكي هو اتّباع أحد المذاهب السنية الأربعة ونسبة إلى الفقيه المدني مالك بن أنس (716 - 796) وهو مذهب مهتم بعمل أهل المدينة، أما باقي المذاهب فهي الشافعي والحنفي والحنبلي).

ويعلّم ابن سحنون معلمي المرحلة الابتدائية بقواعد وتعليمات تتعلق بمسألة

المناهج والامتحانات، ونصائح تتعلق بعدة مواضيع كتعيين الأساتذة ورواتبهم وتنظيم القواعد التعليمية، وطريقة تعامل الأساتذة مع الطلاب في المدرسة والإشراف الجيد عليهم، وهو ما يشبه مناهج المدارس الابتدائية الإسلامية في القرون الوسطى (تشمل الأطفال بعمر الست والسبع سنوات).

ويهتم أيضاً بتعليم المواضيع الواجب تعلمها مثل حفظ القرآن وتعليم تلاوته، وتعليم الفرائض وتعليم القراءة والكتابة والحساب، كذلك تعليم الأخلاق التي فرضها الله ودراسة اللغة العربية وقواعدها والنحو والتاريخ وتعليم الكتابة وفن الخط، ويذكر ابن سحنون اقتباسات تبين أهمية حفظ القرآن الكريم وتعليمه في المدارس.

ويؤكد ابن سحنون على عدة موضوعات في كتابه، أنه من الضروري أن يكون الأساتذة لهم صفة حب العمل وحب التعامل مع الطفولة، وهو يقتبس شواهد من الأحاديث النبوية ويقول إن العقاب الجسدي كان للتأديب في الإسلام ويؤكد أنها يجب ألاّ تكون عقوبة تسبب الأذى في مرحلة الطفولة للتلاميذ.

أما من الناحية العلمية فنصح ابن سحنون بأن الأساتذة يجب أن يقوموا بتشجيع طلابهم على الدراسة بشكل فردي وجماعي، وأن يدرّسوا مسائل صعبة لتنشيط الذهن مثل أسلوب التعليل والاستنتاج مقارنة بالحفظ في أساليب التعلم.

آراء ابن سحنون التربوية

أولاً: البدء بتعليم القرآن الكريم:

رأى ابن سحنون أن القرآن الكريم هو أساس العلوم ومنبعها، ولهذا بدأ به في كتابه معتمداً في ذلك على الأحاديث النبوية الشريفة، عن عثمان بن عفان - رضي اللّه عنه - أن رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم - قال: (أفضلكم من تعلّم القرآن وعلّمه)[67]. وفي رواية ثانية عن علي بن أبي طالب - رضي اللّه عنه - عن رسول اللّه - صلّى اللّه عليه وسلّم - قال: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه)[68].

كتب ابن سحنون الكثير من الأمور التي تتعلق بتعلم وتعليم القرآن، لكنه لم يعط تفاصيل عن الطريقة التي يجب أن يتم بها تعليم القرآن، ولا عن عمر المتعلم، وهذا يدل على أن نظرية ابن سحنون توافق ما كان منتشراً في زمانه، أن يكون القرآن أول ما يتعلمه الطالب.

وهذا دليل أيضاً على أن النظام التربوي الإسلامي ينطلق من الواقع، لأن ابن سحنون ألّف رسالته بعد أن مارس وظيفة التعليم، وكان ضليعاً بها، وهذا دليل على أن المسلمين اهتموا بالعلم. ولا ننسى أن الكتاتيب وجدت من بداية الإسلام وهي الأماكن التي يجمعون الأولاد فيها لتعليم القرآن الكريم.

ثانياً: المواد الدراسية التي يجب تعليمها:

لم يكتب ابن سحنون طريقة خاصة بالتعليم، ولكن يمكن استنتاج ذلك من خلال مؤلفاته، حيث يوضح ابن سحنون في ثنايا رسالته أنه يجب على المعلم أن يعلم الطلاب المواد الآتية:

---

67 صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.
68 صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، ج 27.

1. الفقه: قال ابن سحنون عن ابيه: يجب أن يتعلم الوضوء والصلاة لأنها من أساسيات الدين، ويعلمهم القراءة والتكبير، وكل ما يخص الإسلام، ويعلمهم الدعاء ليتقربوا به إلى الله وليعرفوا عظمه الخالق وجلاله، ويكبروا على ذلك[69]، يجب أن يتعلم النحو، الشعر، الخط، الخطابة، الحساب، اللغة العربية والغربية، يجب أن يعلمهم إعراب القرآن وقراءته وترتيله ويعلمهم من الشعر ما يناسبهم ويبتعد عن الشعر الفاحش من شعر العرب وهذا ليس ضرورياً[70].

2. الخطابة: وقال في الخطابة ممكن أن يعلمهم الخطاب إذا أرادوا، ويمكن أن يعلم الألحان، لكن ليس تلحين القرآن، لأن هذا محرم، ومنع تعليم الغناء منعا باتاً[71].

يجب ألا ينتقل لإعطاء درس جديد قبل أن يتأكد من أنهم حفظوا الدرس السابق، ويختبرهم بامتحان ليعرف من خلاله إذا كان يستطيع الانتقال للدرس التالي، وقال ابن سحنون إنه يجوز أن يختبر بعضهم بعضاً لأن هذا مفيد لهم ويختبر المعلم إملائيتهم، ويتأكد من أنهم حفظوا سور القرآن كتابةً وإعراباً وإملاءً ثم ينتقل للتي تليها.

المعلم في نظر ابن سحنون:

على المعلم أن يكون صاحب مسؤولية ويؤدي الأمانة، وهي تعليم الطلاب التعليم الحقيقي، لذلك يجب أن يقوم بما يلي:

أولاً: يجب أن يعلمهم وهو ينظر إليهم، ويتفقد أحوالهم، ويمكن أن يحفظ ولد ما القرآن ويحفّظه لرفاقه ويعلمهم.

---

69 آداب المعلمين، ابن سحنون، ص 362.
70 المصدر السابق، ص 360.
71 آداب المعلمين، ابن سحنون، ص 360.

ثانياً: لا يجوز للمعلم ترك طلابه لأداء واجب الصلاة، صلاة الجنائز أو المرضى إلا للضرورة، قال الثوري: (ليس بعض الفرائض أفضل من طلب العلم).

ثالثاً: الانتباه لقواعد القراءة والخط، يجب أن يعلمهم إعراب القرآن والشكل وحسن الخط والقراءة الجيدة، ويعلمهم التجويد والترتيل.

رابعاً: عدم تفضيل مصلحته الشخصية على مصلحه تلاميذه.

خامساً: يجب أن يكون هناك وقت مخصص للامتحان، على المعلم أن يجري اختباراً لطلابه وأن يراجع لهم القرآن في يوم محدد في الأسبوع، فعندما يقوم المعلم بامتحان الحفظ والكتابة يعرف نقاط الضعف عند تلاميذه ويقويها.

سادساً: عدم استخدام الضرب، لا يجوز أن يضرب التلميذ على رأسه أو وجهه، ولا يحق له منعه من طعامه أو شرابه.

سابعاً: لا يجوز أن يطلب المعلم من تلاميذه تنفيذ أموره الخاصة.

ثامناً: التأكد من أن الطالب حفظ سورة من القرآن قبل الانتقال إلى السورة الثانية، حفظاً مع إعرابها وكتابتها، وتعليم التلاميذ على أهمية الصلاة، يجب أن يعلم الطلاب الصلاة عندما يبلغون عمر سبع سنوات ويعلمهم الوضوء والصلاة لأنها من أساسيات دينهم. يجب على المعلم أن يعلّم الطلاب الدرس كاملاً دون ترك أي جزء منه. ويجب أن تكون مدرسة الفتيان منفصلة عن مدرسة الفتيات حتى لا تكون مفسدة لهم، ويجب أن تتعلم الفتيات على يد معلمة وليس معلماً.

العلاقة بين المعلم والطلاب عند ابن سحنون:

هناك قواعد محددة وضوابط تحكم هذه العلاقة منها:

- **الثواب والعقاب**: رأى ابن سحنون أنه يحق للمعلم ضرب تلميذه إذا كان ذلك ضرورياً بشرط ألا يتجاوز الثلاثة، ولا يضرب وجهه أو رأسه بتاتاً. قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (أدب الصبي ثلاث درر، فما زاد عليه قوصص به يوم القيامة، فما زاد عنه إلى العشرين يضرب يوم القيامة)[72].

وقال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ أيضاً: (لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع)[73].

يؤكد ابن سحنون على أن يكون الرفق منطقاً ثابتاً من ثوابت التربية والتعليم، بشكل خاص. ويرى أن على المعلم أن يؤدب المتعلمين إذا رأى أذى من بعضهم لبعض. المعلم ليس قاضياً يقضي بينهم إذا كان الضرر كبيراً، ويحتاج إلى قضاء، ويجب أن يكون التدخل من الجهات المسؤولة عن ذلك وليس المعلم[74].

- **التفرغ لأداء مهمة التعليم**: يرى ابن سحنون أنه من الضروري التزام المعلم بعمله، وأن يتمه على أحسن وجه، ويتضح لنا من هذا الكلام أن التزام المعلم أمر ضروري للقيام بواجبه، وهذا ما تحرص عليه الدول التي تهتم بالعلم.

- **تحديد أيام العطلة**: قال ابن سحنون إنه يمكن أن تكون عطلة عيد

---

72 . انظر الطبقات لأبي العرب، ص 156، وتهذيب الكمال لابن معين 16 – 316 وهو حديث مقطوع.

73 رواه أحمد والترمذي واللفظ له ج 1951.

74 المعلم مربٍّ وليس قاضياً يحكم بين المتنازعين.

الفطر ثلاثة أيام، أما عيد الأضحى فثلاثة أو أربعة أيام ولا بأس أن تصبح خمسة أيام، أما العطلة الأسبوعية من مساء يوم الخميس إلى صباح يوم السبت.

- **العدل**: يركز ابن سحنون على ضرورة العدل بين الطلاب الأغنياء والفقراء، عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ (أيما مؤدب ولّي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية، فقيرهم مع غنيهم، وغنيهم مع فقيرهم حشره يوم القيامة مع الخائنين)[75].

- **معرفة الأهل بما يفعله المعلم**: دعا ابن سحنون إلى ضرورة التعاون بين المعلم والأهل لإنجاح التعليم، حيث قال إنه يجب على المعلم إخبار الأهل عن غياب أبنائهم وإخبارهم عن أحوال أولادهم في المدرسة.

إن ما جاء في كتاب ابن سحنون يمثل المنهاج القويم لكل من جاء بعده من العلماء المسلمين الذين اهتموا بنفس الموضوع لأنه استشهد بآيات من القرآن الكريم والأحاديث من السنة النبوية.

المنهاج وطرق التعليم:

في زمن ابن سحنون كان التعليم يقوم على أساس تعليم القرآن الكريم وتحفيظه وكتابته، يضاف إليه بعض المواد المتنوعة، وهذا ما جعل ابن سحنون يميز بين المواد التي يجب أن يعلمها المعلم وبين المواد التي يعلمها تطوعاً.

إن القرآن الكريم هو أول المواد التعليمية التي يجب أن يعلمها للطلاب ويعلمهم الحفظ والتلاوة والإعراب والوضوء والصلاة وفرائضها وسننها

75 ضعفه النسائي وابن معين – والذهبي في الضعفاء (228-1)

وكل أحكامها ويعلمهم الأخلاق وينصحهم ويوجههم ويرعاهم، ويقول ابن سحنون يمكن للمعلم أن يسمح للطلاب بأن ينصح بعضهم بعضاً ويؤدبوا بعضهم بعضاً، وهذا الأمر لم يذكره أحد قبل ابن سحنون.

ويرى ابن سحنون أن النمو الاجتماعي للطالب ضروري، يجب أن يتعلم الطفل كيف يعيش مع الآخرين، وكيف يتعلم المعايير الاجتماعية من خلال تعامله مع الآخرين، وهي علاقات مهمة لتعليم الطفل معايير السلوك وخبرات حياتية متنوعة، أما باقي المواد التي تكون اختيارية فهي تعود لرغبة الأبوين مثل قواعد اللغة العربية والكتابة والخط والخطابة والحساب والرياضة.

القيم التربوية لرسالة ابن سحنون (آداب المعلمين):

لا تزال حتى يومنا هذا تتضارب الآراء وتتعدد حول رسالة ابن سحنون، وهذا ليس غريباً لتعدد القضايا والمواضيع التربوية التعليمية التي تكلم عنها.

مَن المسؤول عن تعليم الفتيان والطلاب والمراهقين الأهل أم المعلم والمجتمع؟ ما هي واجبات المجتمع وهل على الأهل أن يساهموا في ذلك؟ ما هي واجبات المعلم تجاه طلابه من ناحية التعليم؟ وما هي حقوق وواجبات المتعلم وأهله، ومن يحدد مستقبل الطلاب؟

والمناهج والقوانين الدراسية والمقرر الدراسي؟ ما وظيفته في بناء الجيل الجديد ومدى تناسبه مع الأهداف والغايات التربوية؟ الهدف والغاية التربوية التعليمية التي يجب أن يحققها الطالب؟ الثواب والعقاب التربوي المناسب؟ كل هذا كان مذكوراً في رسالة ابن سحنون.

الخلاصة :

وضع ابن سحنون هذه الرسالة ليوضح للمعلمين والأهالي أحكام التعليم، ويرد على الأسئلة التي كانت تؤرق الناس في هذا الأمر الاجتماعي الهام، وأخذ أجوبته من القرآن الكريم والسنة النبوية، وأجوبته كانت حلولاً لكثير من الأمور التي سئل عنها.

لقد انفرد ابن سحنون بأفكاره في رسالته التي يمكن اختصارها بما يلي:

- يمكن تعليم القرآن الكريم وغيره براتب متعاقد عليه، لحماية حقوق الأطراف القائمين على العملية التربوية التعليمية.
- يجب أن يكون الراتب يحقق شروط الحياة الكريمة للمعلم.
- مراعاة كفاءته المبذولة في تعليم الطلاب.
- شمولية المنهاج التعليمي الإسلامي لمادة الدين وهو القرآن وعلوم الدين، وكذلك مواد أدبية تتضمن اللغة والأدب العربي، ومواد علمية تتضمن مواد مثل الرياضيات والفيزياء ومواد بدنية للاهتمام بالحياة الصحية.
- ضرورة تعليم الطلاب بعضهم بعضاً للأخلاق، وإعطاء فرصة التفاعل الاجتماعي للأطفال في المؤسسة التعليمية.

الباب الثالث

الجاحظ (776-868):

إن كتاب المعلمين لأديب المعتزلة ابن عثمان الجاحظ قد كان كتاباً مختلفاً اختلافاً كبيراً عن كتاب ابن سحنون (المعتزلة من أهم وأقدم المدارس الكلامية وأخذت الدعم من الدولة العباسية "750-1258" في أيام المأمون والمعتصم والواثق، واشتهرت بأن العقل والجدل من أساسيات العقيدة).

الجاحظ هو من أصول حبشية من مواليد العراق، البصرة تحديداً، وهي مدينة متنوعة ثقافياً وفكرياً، وهذا ما أغنى أفكاره وكتاباته.

الفكر التربوي عند الجاحظ:

من قرأ مؤلفات الجاحظ يتعجب من ثقافته الواسعة، ويتعجب من أساليبه العلمية التي خططها بنفسه، والمنهاج والكتابة، وتنوع ثقافته ومعارفه، مما جعله مرجعاً للعرب[76].

هو يجعل أي موضوع يدرسه سهلاً من خلال تحديده وتعريفه بهدف الشرح والإيضاح. وهو معلم توفر له العلم فكان ماهراً في مهنته، في الذهاب باتجاه طلاب العلم[77]، من هنا سندرس الفكر التربوي عند الجاحظ، من خلال رسائله وآرائه في أهمية العلم والتعليم، وصفات المعلم والأدب والأخلاق ويمكن تحديدها في المجالات التالية:

---

76 الجاحظ ريادة البحث العلمي/ عادل محمد علي / بحث في مجلة المورد، العدد الرابع / 1978، ص 25.

77 الجاحظ وعلم اللغة / إبراهيم السامرائي، بحث في المصدر السابق، ص 11.

المعلم:

لقد كان المعلم من أهم ما كتب عنه الجاحظ، ومحوراً أساسياً في الأدب والأخلاق، وقد شرح وبيّن أهمية المعلمين التي تنعكس على أهمية أوضاعهم أو نظرة الناس لهم، وتحدّث عن الدور الرئيسي في التربية والتعليم، ونقل الثقافة إلى الأجيال.

فألف رسالته التي يقول فيها: إن الأدب يعني الأخلاق، كما يبين أن نقل العلم إلى الأجيال يجب أن يكون بواسطة معلم مؤدب وخلوق[78]. يقول الجاحظ: إن أكثر العلماء الجهابذة كانوا معلمين، وكذلك إن جميع العلوم انتقلت إلى الأجيال عن طريق المعلمين في الرياضيات والفرائض واللغة والنحو والشعر والفلك، والصناعات الحرفية والألعاب الرياضية.

أسلوب التعليم:

لقد اعتمد أسلوب حياة غير معقد ولا ضاغط ولا مموه، لهذا كانت كتاباته واقعية، يحكي الواقع دون تزييف أو تحفظ، يذكر السيئات كما يذكر الحسنات بكل جرأة وصراحة، ورأيه في هذا الأدب يمثل الواقع، وهو حال الحياة في كل ظروفها وحالتها، ولا يجوز أن يكون أسلوب التعليم عبارة عن تلقين وحفظ، بل يجب أن يعلم القدرة على الاستنتاج والتفكير لدى الطلبة، لأن الحفظ يلغي العقل ويلغي الاستنتاج والاستمرارية، أما الاستنتاج فيؤدي للإبداع والتفنن. إن الحفظ يختلف عن الاستنتاج ويتفقان في شيء واحد، وكلاهما يحتاج إلى فراغ القلب وشهوة الى المعرفة. والحفظ يلزمه شيئان هما المكان والوقت، فالمكان الهادئ أفضل من المكان المزدحم، ووقت الأسحار أفضل من باقي أوقات النهار والليل.

---

78 رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية، ص 5.

ويعلم الجاحظ معلم اللغة العربية الطريقة المثالية في تدريس القراءة والكتابة، حيث يقول يجب الاكتفاء في تعليم ماده النحو على القدر الذي يوصله إلى اللفظ الصحيح بعيداً عن الألفاظ الفاحشة، ويعلم القراءة الصحيحة والإنشاد الجيد والاهتمام بالفصاحة والكتابة والابتعاد عن الكلمات المعقدة والألفاظ الغريبة الجزلة، والاهتمام بالمعاني أكثر من الكلمات، ويجب أن ينتبه المعلم إلى مستوى الطالب ويعلمه حسب فهمه وقدرته على استيعاب المادة المتعلَّمة.

المنهاج:

اعتمد المنهاج العلمي والتطبيقي في دراساته وغايته الوصول إلى الحقائق والمعلومات معتمداً على الملاحظة والمعاينة، وقد خطّ الجاحظ لنفسه نهجاً علمياً محدداً في مجال العلوم العامة، يبسط الموضوع الذي يدرّسه ويعرّفه بهدف شرحه وإيضاحه فيبدأ بهذا الشكل (إن كان يدرّس عن الكائنات وماهيتها يقسمها إلى ثلاثة أقسام: متفقة، مختلفة، متضادة، ثم يقوم بتقسيمها أكثر في التفصيل والدقة، فيقسم الكائنات الحية إلى قسمين حيوانات ونباتات ثم يجزئ الحيوان الى أربعة أجزاء (يمشي يطير يسبح ينسلخ) ويحاول أن يجزئها إلى أربعه أجزاء أكثر دقة)

حب المعرفة والعلم:

الكتاب هو أهم وأفضل وسيلة للعلم والمعرفة ووصفه بأنه يحمل كنوز العلم، فهو يعلّم الناس الأخلاق والعلوم والمعلومات، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح، يقول الجاحظ إن قراءة الكتاب أفضل من الكلام الشفهي، لأن الكلام الشفهي يسبب الجدال والخصام، كما أن الكتاب يمكن أن يقرأ في أي مكان وزمان، قال (أعلم أن قراءة الكتب أفضل من إرشادهم أو رؤيتهم

لأن كثرة التلاقي تسبب التظالم وتشدد الحميّة، وعند اللقاء والتواجه يذهب الحب ويغلب العناد ويصير التراجع صعباً والرجوع من الخضوع، فجميع ذلك يحدث ويظهر الاختلاف، وإذا كانت القلوب على هذه الصفات ابتعدت عن المعرفة وعميت عن الأدلة)[79].

التربية الجسدية:

يرى الجاحظ أن قوانين الإنسان تتحارب وهما العقل والشهوة، ولا تكون له الحرية إلا إذا كانت لديه القدرة والقوة. وهذا يحتاج إلى شروط وهي: الصحة الجسدية، واعتدال المزاج، والمعرفة المطلوبة.

ويرى الجاحظ أن العقل مرتبط في العلم، وأن الروح مرتبطة بالجسد ارتباطاً وثيقاً حيث قال: العلم حياة العقل، والعقل حياة الروح، والروح حياة الجسد، فإن حكمة الحكم الماء وجميع الغذاء، الذي إذا زاد عن الحاجة أصبح ضرراً، كذلك العلم يجري مجراه ويذهب مذهبه[80].

التربية العقلية:

كان عندما يأخذ موضوعاً يأخذه بالاتجاه العلمي في أسلوبه وتفكيره، وطريقة البحث وحذّر من الانحراف في دراسة الموضوعات والحكم على الأمور وحجّم الجاحظ حرية الاتجاه العقلي لأن العقل بالنسبة له مثل أي غريزة بالجسم لا تخضع بالضرورة للإرادة والمعرفة وتتم بالطبع والغرائز لا بالإرادة، في التركيز في المواضيع وعمل العقل خارج نطاق الإرادة، ويرى أن العقل يسيطر على اللسان، لهذا فقيمة الإنسان عند الجاحظ في عقله ولسانه.

---

79 رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية، ص 250.

80 رسائل الجاحظ / الرسائل الأدبية، ص 252.

التربية الخلقية:

لقد لاحظ الجاحظ طبائع النفس البشرية التي منبعها الأخلاق، حيث قال (الأخلاق طباع) ورأى أن سلوكيات الإنسان لها طابعان الرغبة والرهبة، وقد ذكر أن خلق الإنسان ولغته وعواطفه تتأثر بالبيئة التي يعيش فيها، وهذا ما يفسر اختلاف الناس عن بعضهم فيقول لو اختاروا كلهم شيئاً واحداً لوقع التحارب والتغالب، فاللّه سبحانه وتعالى أراد أن يجعل الاختلاف سبباً للاتفاق[81].

رتب الجاحظ القيم الأخلاقية ضمن مجموعات وفق قواعد ليوضح ما هو صالح ويوضح نتائجه ويوضح ما هو سيئ ويوضح نتائجه، وهذا ما يمكن أن يكون مادة التربية الأخلاقية. وقال إن المنفعة توجب المحبة، والمضرة توجب البغضاء، والمضادة توجب العداوة، وخلاف الهوى الكره والحقد.

التربية الجمالية:

وضح الجاحظ رأيه بالجمال والفن فقال: إن المبدأ العام ليتمتع الإنسان هو الاستمتاع بالجمال الذي حدده في المرآة، أو في الطبيعة والفنون المتعددة، ومنها الغناء. أما رأيه في الحب فله عدة أوجه: حب المال، والمعرفة، والمراتب العالية، المرأة. وحدد للحب ثلاثة مستويات: الحب، الهوى، العشق[82].

المرأة:

إن الجاحظ من الفلاسفة الذين أنصفوا المرأة، وأكد على منحها الحرية وإعطائها حقوقها، وكان يحقر من يحتقر المرأة ويمنعها عن حقوقها، وحث الجاحظ على أهمية الزواج والإنجاب واستشهد على ذلك بالأحاديث النبوية التي تحث على الزواج.

قال النبي ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم)[83].

---

81 رسائل الجاحظ/ الرسائل الكلامية، ص 137.

82 رسائل الجاحظ / الرسائل الكلامية، ص 77-78.

83 رسائل الجاحظ/ الرسائل الأدبية، ص 231.

الوطن:

أكد الجاحظ أن حب الوطن متأصل في الإنسان، فالإنسان يحب المكان الذي يعيش فيه ويدافع عنه ويرى أن العرب أمة واحدة، وأرض واحدة ولغة واحدة.

الخلاصة:

إن كتاب (المعلمين) للجاحظ يهتم بدراسة مسائلِ التعليم للطلاب المتقدمين من ناحية أدبية وفلسفية، وكانت رسالته هذه دفاعاً عن الأساتذة ومديحاً لهم.

وكتب عن أهميتهم وصنَّفهم من العالمين، وأنهم يجدّون ويعانون مشاقّ كبيرة في تعليم تلاميذهم، لذلك يجب أن يعرف الأهالي مستوى أولادهم قبل لوم المعلم.

ويلفت الجاحظ النظر إلى أهمية عمل المعلم وتأثيره الكبير في الكتابة وتدوين الحضارة، ويقول إن العلماء والمفكرين يرون أن الحفظ يلغي العقل، ولكن من وجهة نظر الجاحظ في كتابه (المعلمون) أن الاستمرار في الحفظ يلغي الاستنتاج والاستمرار بالاستنتاج يلغي الحفظ، لذلك يجب عدم إهمال أي منهما فإن الحفظ يكمل عمل الاستنتاج وبالعكس.

ويقول أيضاً إنه يجب على التلاميذ أن يتعلموا الكتابة والحساب ومعرفة الفرائض، واللغة العربية والنحو، كما يجب أن يتعلموا المناقشة والفروسية والموسيقى والشطرنج.

وفي ما يتعلق بالتربية والتعليم نصح المعلمين بمراعاة القدرات الذهنية المختلفة للطلاب، لذلك يتوجب عليهم أن يتعاملوا مع الطلاب بطريقة يستطيعون استيعابها، وكذلك يجب أن يعاملوهم بمحبة ولطف حتى يسهل عليهم تعليم المادة الدراسية، ويختم كتابه بأهمية تعليم الأخلاق وأنه من الواجب على الأساتذة العناية بالطلاب لأنهم يستحقون هذا الاعتناء.

الباب الرابع

ابن سينا (980 - 1037):

ولد بالقرب من بخاري بمدينة أوزبكستان، هو فيلسوف وطبيب مسلم وعالم يعمل بالطبيعة والإدارة، اشتهر باسم أقيسينا في بلاد المغرب وعاش في المشرق الإسلامي، حيث قضى أغلب أيامه في إيران (مدن أصفهان وهمدان)، وكانت اللغة الأم التي اعتمدها هي اللغة الفارسية، إلا أنه قام بتصنيف الأعمال المهمة باللغة العربية التي كانت اللغة المعتمدة في العلوم والثقافة في عهد الحضارة الإسلامية منذ القرون الوسطى، ويرى ابن سينا أن العالم يقف على دعامتين أولاهما الفلسفة اليونانية، والثانية القرآن الكريم والإسلام، وكان إبداع ابن سينا في تبني المبادئ الفلسفية اليونانية، ودمجها في دراسة الطبيعة الفلسفية.

يرى ابن سينا أن عملية التعلم تبدأ من الحواس الخمس، وهي الحواس التي تميز البشر عن الحيوان، وهي السمع والبصر والتذوق واللمس والشم.

كما أن للبشر قدرتين عقليتين (النظرية والعملية)، حيث إن عمل العقل العملي هو التحكم بحركات الجسد بينما يقوم العقل النظري بالتحكم بالعملية الفكرية داخل النفس.

إن العقل النظري يعمل على أربع عمليات يتميز بها البشر وهي بالترتيب:

1. قدرة العقل على اكتساب المعرفة.
2. قدرة العقل على استخدام ما اكتسبه من معرفة.
3. القدرة على تنشيط العقل لفهم الأفكار الأكثر تعقيداً.
4. القدرة على ربط المعرفة بالعلم.

والعقل المستفيد من المعرفة التي اكتُسبت هو العقل المتحكم بالعقل النظري، وهدف العلم هو القدرة على استخدام هذه المعرفة، وهذه الدراسة مفيدة في ما يتعلق بتعليم الأطفال، وخاصة نوع الأنشطة الذي يتضمن اشتراك الأطفال في التجارب الحسية، لأنها تقوم بتحفيزهم للتعرف إلى الأشياء.

يرى ابن سينا أن مراعاة ميزات العقل البشري أمر ضروري في تعليم الأطفال. ويقول أيضاً إن الطريقة التي يتطور بها الطفل تؤثر في تعليمه، ويؤكد على أهمية الاستقرار العاطفي لأنه يحمي النمو الذهني والجسدي للطفل، وكان يوصي بأن يتعلم الأطفال في المدارس عندما تكون أبدانهم وأذهانهم مستعدة لذلك، وذلك من عمر الست سنوات، ومن شروط التعليم الأساسية أن تكون الحالة الذهنية والجسدية متجانستين.

ولذلك يؤكد ابن سينا أن ينتبه الأساتذة إلى قدرات التلاميذ الطبيعية، وعليهم تسهيل الطريق إلى المعرفة، وذلك بجعل التعليم متمتعاً ومتحفزاً، وهي من أنجح الطرق في رأي ابن سينا.

وفي كتابه السياسة (قارن بالفصل المعنون "في سياسة الرجل وولده" من كتاب السياسة منسوب لابن سينا والمنشور في التراث الإسلامي في خمس مخطوطات، تحقيق هشام نشابة، بيروت، دار العلم للملايين 1988م).

ويقول إنه عند البدء بالدراسة في المدرسة الابتدائية يجب أن تراعى مسألتان في المنهاج وهما:

الأولى: يجب قراءة وتحفيظ القرآن وكتابته ويشير إلى أنه من الضروري أن يقوم الأساتذة بتعليم القراءة والكتابة في آنٍ معاً.

ويشرح أن السبب وراء تعليم النصوص الدينية هو تعليم التلاميذ من الصغر

كل ما يحتاجون إليه من بلاغة وفهم الأشياء، كما أن قراءة القرآن تزيد من الطاقة الذهنية للتلاميذ، فهو أفضل مصدر لتعليم الأطفال الأخلاق والأفعال الحميدة، وهذا ما يزيد من احتمال أن يكونوا فتياناً فاعلين في مجتمعاتهم.

أما المسألة الثانية:

فإن ابن سينا يرى أن تعلّم الشعر مهم جداً منذ الصغر لأنه يساعد على تعلم الكلام الفصيح ويزيد من مرونة أفكارهم ويوسع مخيلتهم ويعلمهم الأدب وحب العلم ويقوي ذاكرة الأطفال، ويجعلهم مستعدين لتعلم أشياء أكثر تعقيداً.

ويؤكد ابن سينا على ضرورة وجود الطفل في بيئة ذات أخلاق حميدة لأنها تحفزه إلى التعلم والاجتهاد، ويجب أن يكون الأساتذة ذوي أخلاق عالية ليعلموا الأولاد عليها ويكونوا ذوي مروءة ونزاهة ونظافة.

والخلاصة: نستدل من دراستنا على أن العلماء المسلمين الذين اهتموا بالتربية والتعليم كانوا مدركين لأهمية التعليم في المجتمع الإسلامي المتطور بين القرنين التاسع والثاني عشر، وتبين هذا من خلال المناقشة لبعض الأمور التربوية التي تنتمي إلى مسائله الأساسية وعن المرونة في التحليلات المنطقية. وقد أبدع العلماء في وجود النظرية القابلة للتطبيق في المجالات التربوية، وكانت لهذه النظريات لها أهمية كبيرة في تاريخ الثقافة الإسلامية.

الخصائص التربوية والنفسية للطفل:

أساس نظرية ابن سينا في بناء الإنسان هي تربيه الطفل. أدرك ابن سينا قبل علماء النفس والتربية الحديثين أهمية الطفولة الأولى في تربيه الطفل، وضرورة الاهتمام بصحته النفسية والعقلية، من أجل المستقبل، وتحدث عن كل ما يخص الطفل من لحظه الولادة من الرضاعة والفطام والنظافة والاهتمام بأخلاقه، وإبعاد كل خطر عنه، حتى نموه كذلك اهتم بالنمو الجسدي والحركي للطفل.

وهو يرى أن الإنسان جسد وروح ويسعى لهدف محدد هو بناء الطفل الناجح ذي أخلاق ووجدان يحملها معه في جميع مراحل حياته، لقد اهتم ابن سينا بدراسة ومعاينة وتحليل صفات مرحلة الطفولة، وكانت آراؤه تبنى على أساس المراقبة والحدس، واستمد القوانين من القرآن الكريم والسنة النبوية لتشكيل هذه الآراء.

يقول ابن سينا: إن العلاقة بين الأهل والطفل هي العلاقة الأولى الأكثر أهمية، فالوالدان يعلمان الطفل الثقة بالنفس وعدم الثقة، ويعلمانه حب الحياة أو النفور منها، ومن التصرفات التي لها أثر جميل في الطفل ونمو شخصيته هي المدح عندما يتصرف بشكل صحيح، وتنمية حب الاستطلاع، والبقاء وقت جيد معهم، وهذا يتطلب من الأهل المزيد من الصبر والعطف والقدرة على معرفة ما سيواجههم.

يرى أن الحب والعطف هما أسلوبا التربية الصحيحة اللذان يؤديان إلى العلاقة الوثيقة بين الأهل وأولادهم ومع البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها، وهذا عن طريق إكرام الطفل بما يلي:

1. عدم سب الطفل او وصفه بأوصاف سيئة، قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : (سباب المسلم فسوق).
2. منع ضرب الطفل على وجهه، وكذلك منع ضربه إلا لذنب كبير.
3. يجب على الأهل أن يكونوا قدوة جيدة لأولادهم.
4. احترام مشاعر الطفل.
5. أن تهتم الأم بأولادها، ولا تعتمد على الخدم في تربيتهم، وأن يتربوا على محبة الأهل وطاعتهم، وليس على اختلاف في الآراء، معهم بسبب تربية الخدم.

هذا ما أشار الإسلام إليه في ضرورة توعية الآباء لأبنائهم بعد الاستعانة بالله وأخذ السبل المتعددة للوصول للهدف الأسمى من التربية وهو بناء إنسان صالح يتقي الله ويعمل ما ينفعه وينفع دينه ووطنه وآخرته.

الفلسفة التربوية عند ابن رشد:

هو أبو الوليد بن أحمد بن محمد بن رشد ولد في قرطبة في بيت معروف عنه حب العلم والفقه والقضاء. كان أبوه قاضي المالكية، وكان جده من أهل العلم والفقه وله مباحث في الفلسفة، درس ابن رشد عدداً كبيراً من العلوم المعروفة في عصره على يد أساتذة كبار، أكمل دراسته في الفقه والطب، كان شغوفاً بالفنون والأدب والشعر العربي في الجاهلية والإسلام، التقى ابن رشد كبار العلماء في عصره مثل (ابن طفيل، وابن ماجه، وأبي بكر بن العربي)، سافر ابن رشد قبل عمر الثلاثين إلى مراكش وكان مقرباً من الأمراء، كان حسن الطبع متواضعاً، وله رأي ذكي قوي النفس، حتى صار مضرب الأمثال، وهذا ما سبب وجود أعداء كثر له ودسوا له الدسائس، حتى حصلت له محنة استمرت عاماً كاملاً، وبعدها ظهرت الحقيقة، ووضحت براءة ابن رشد، توفي بعدها بعام ودفن في قرطبة.

درس ابن رشد دراسة تخصص في العلوم الدينية والفلسفية وألف منها كلها تأليفاً مجتهداً، وهذا ما لم يقم به باقي الفلاسفة الإسلاميين كالكندي والفارابي وابن سينا وابن طفيل.

منهج ابن رشد التربوي:

يسأل ابن رشد كيف نربي الحكمة والشجاعة والعدالة والعفة، وغيرها من الفضائل في نفوس الأطفال؟ كيف نحافظ على ما ربيناهم عليه من فضائل؟ وكيف نزيل الرذائل من النفوس الشريرة؟ ونبدلها بالتربية الحسنة وتربيه الضمير الاخلاقي؟

- **زرع الفضيلة:** يجب زرع الحكمة والعدالة والعفاف والشجاعة والقوه وغير ذلك من الفضائل في نفوس الأولاد، ومن بعدها علينا الحفاظ عليها والابتعاد عن الرذيلة وإزالة النفس الشريرة. إن هذه العملية أساسها التربية الأخلاقية والضمير، لذلك ينصح ابن رشد بما يلي:

أولاً ـ النظر والتمعن في الشرط الذي إذا تبين وجوده في فضيلة واحدة من تلك الفضائل أصبح عندنا ركيزة للعمل عليها وترسيخها، مثلاً: ما تعريف الشجاعة المطلق؟

يقول: إن الشجاعة موجودة في النفس، لكنها تأتي بين أمرين أولهما التهور، وثانيهما الجبن، وتحت أي ظرف معين يصبح الإنسان بعدها شجاعاً، وذلك بحسب الوقت والكمية أو الحد المطلوب الذي يجب أن يكون. لكن هذا الحد يتطلب أن يرتبط بالعمل بشروط جزئية خاصة مفروضة وألا نضع أعذاراً لهذا العمل لأنه المقصود من هذا التعلم، وهو كما قال أرسطو "أن يعمل لا أن يعلم".

ثانياً ـ علينا أن ندرك ونعلم الطريقة التي يجب اتباعها لزرع هذه الفضيلة في نفس الطفل حتى يتربى عليها تدريجياً إلى أن يصبح في عمر البلوغ، وبعد أن يبلغ الطفل كماله يعرف كيف يحافظ عليها، ذلك كما يفعلون بالطب، فالذي أصابه مرض نُزيل منه هذا المرض.

ويجب أن نعلمهم أهمية الصدق وخطورة الكذب ونعلمهم أنه لا يليق بالصالحين ولا بالأمراء، وإذا كُشف وجود شخص ما يكذب فتجب معاقبته، ويجب أن يعرف الجميع بذلك.

علينا أن نعرف ما هي الفضائل التي إذا اجتمعت مع غيرها كان فعلها أكمل وأفضل.

نصائح ابن رشد:

- ينبغي أن نكون حريصين على إبعاد الأحداث عن أشعار الغزل.
- يجب أن نبعد عنهم الحزن بأي وسيلة.
- يجب عدم الإكثار من الضحك لأنه طبع غير جيد، وإذا تطبّع به الشخص صعب عليه التخلص منه.
- يجب الابتعاد عن الأحاديث المحرضة للذات والموجودة بكثرة في الشعر العربي.
- يجب أن نمنع الأحاديث التي تحدث عن كسب وجمع المال، لأن المال هو أكثر الأشياء إعاقة للأحداث، ويجب أن يحذر الفتيان من سماعها، وذلك لأن أكثر الأشياء ضرراً هي التي يتربى الفتيان عليها من طفولتهم.

منهج الدراسة عند ابن رشد ومستويات التعليم:

يرى ابن رشد أن يبدأ التعليم بدراسة المنطق، وبعدها يدرسون علم الأعداد يليها علم الهندسة، والموسيقى ثم بعدها علم البصريات ثم علم العروض (أوزان الشعر العربي) ثم علم الطبيعة، ويليها علم ما وراء الطبيعة.

مستويات التعليم:

نصح ابن رشد الأساتذة بألا يقوموا بالكتابة إلا أمام من هو أهل لها، وخاصة إذا كانت كتابة علمية. وأكد على الفروق الفردية، وتعليم الناس حسب مستوياتهم، هذا ضروري لمنع الفتنة والفوضى برأي ابن رشد.

التدرج في التعليم:

إن التدرج أمر ضروري، لذلك وضع منهاجاً مبتدئاً بعلم الأعداد والرياضيات وهما أهم علمين لأنهما يدخلان بكل العلوم الأخرى. ثم بعدها علم الهندسة والفلك والحواس، وعند تمام عمر السادسة عشرة يعلمونهم الفروسية، وفي سن العشرين يجب أن يتعلموا الفلسفة ويعلموها حتى يبلغوا عمر الثلاثين. وفي عمر الخامسة والثلاثين ممكن أن يستلموا مناصب رئاسية ذات شأن حتى عمر 50. وعند الكبر يمكن أن ينسحبوا إلى مدن السعادة، وهذا ما كان يقوله أفلاطون في سياسة المدينة الفاضلة.

الاهتمام بتعليم المرأة:

كان لابن رشد ثقة كبيرة بالمرأة لأنها أهلٌ لمشاركة الرجال في النشاطات المختلفة، ولهذا اهتم بتعليمها وتربيتها، ولها خمس مراتب، تسمع وتفهم، تحفظ ما فهمت، تعمل بما تعلمت، تعلّم ما تعلمت، وإخلاص النية لله عزّ وجلّ في طلبها للعلم، وأن تجتهد في طلب العلم[84].

ابتكر ابن رشد طريقته الخاصة في البحث العلمي أبعد فيها المشاعر، وفكر بالعقل قال في كتابه تهافت التهافت: إن الدراسة والفكر قادران على إظهار الصلة بين العلم والدين[85]. وقال إنه يجب ألا لا يوضع علم البراهين والمنطق إلا بين أهله، وإذا فعلنا غير ذلك فقد أخطأنا.

---

84 ابن رشد وأثره في الفكر التربوي 170، 180.

85 سير ملهمة من الشرق والغرب 7.

الباب السادس

ابن تيمية:

هو شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد شهاب الدين أبو المحاسن عبد الحليم بن أبي البركات عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبد الله بن تيمية الحراني ثم الدمشقي[86]. سمي أبا العباس وبعدها ابن تيمية نسبة إلى أمه تيمية، نشأ في مدينة حران بشمال سوريا[87]. وعاش فيها أول سبع سنوات وبعدها غادرها مع والديه بسبب حرب التتار إلى دمشق وأخذوا معهم كتب العلم[88].

كان والده عالماً جليلاً اشتهر في مواعظه وإرشاداته ودرس في جامعه دمشق، واستلم مشيخة دار الحديث العسكري بدمشق، وأصبح من علماء المذهب الحنبلي[89].

نشأ ابن تيمية في إطار المذهب الحنبلي، ولكن رغم ذلك استقل في تفكيره وابتعد عن التعصب وذهب باتجاه القرآن الكريم والسنة وتطبيقات العلماء الصالحين، ورفض أن يكون في مذهب محدد أو جماعة محددة، ولم يتوقف عند دراسة المذهب الحنبلي، بل درس مذاهب وفرقاً أخرى، وكتب عن نفسه (مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع أحداً قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي، ولا انتصرت لذلك ولا أذكره في كلامي ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها قلت لهم غير مرة: أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين، إن جاء بحرف واحد من أئمة القرون الثلاثة وألفاظهم بألفاظ من نقل إجماعهم من عامة الطوائف)[90].

---

86 ابن كثير، البداية والنهاية، ج 14 ص 135.
87 المصدر السابق، ج 13 ص 24.
88 محمد السيد الجلنيد، الإمام ابن تيمية وقضية التأويل، ص 13.
89 محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص 67.
90 مجموع الفتاوى ج 3/ ص 229.

وكان الهدف من هذا القول والعودة للمنابع الحقيقية والعلماء الحقيقيين دون تعصب إلى مذهب معين أو فريق معين.

الأهداف التربوية السلوكية عند ابن تيمية:

إن السلوك جزء أساسي من العملية التربوية ولا يستطيع المربي أن يبتعد عن دراسة السلوك في أي موقف من المواقف التعليمية.

يرى ابن تيمية أن السلوك يرتبط بشكل قوي بالإيمان، وأن الكتاب والسنة الشريفة، هما المقياس الذي اعتمده ابن تيمية في السلوك والإيمان، معنى هذا أن أي سلوك يتوافق مع الكتاب والسنة فهو سلوك جيد، وأي سلوك لا يتفق معهما فهو غير جيد.

يرى ابن تيمية أن السلوك يرتكز على قواعد إيمانية محددة، حتى يمكن أن يعتبر سلوكاً مقبولاً، ولهذا يرى ابن تيمية أن إصلاح الباطن يكون بإيجاد دافع إيماني داخلي يكون كالقانون على البشر، فيصبح هذا القانون مثل الرقابة التي تحدد السلوك الظاهري، وهذا يبين أن السلوك يشمل جوانب الاعتقاد. والأول باطني يمثل الإيمان والثاني الظاهري يمثل العبادات الظاهرة، فالعبادة يجب أن تكون من القلب وتوجه صاحبها نحو الأخلاق الحميدة، وتكون عبادة لا فائدة منها إذا كانت مجردة، فالصلاة شرعها الله لتعويد المؤمن الحياة الصالحة الصحيحة، فالصلاة سلوك يبعد المؤمن عن الفواحش والمنكرات والبغي.

قال تعالى: (وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون)[91].

وكذلك الزكاة سلوك يطهر النفس من الشر، قال تعالى (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[92].

---

91 سورة العنكبوت، الآية 45.

92 سورة التوبة، الآية 103.

والصيام سلوك لحفظ اللسان من الكلام السيئ، والتقوى، قال ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل فإن المرء قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم)[93].

والحج للنقاء والتوبة دون فسوق أو جدال. قال تعالى: (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج)[94].

فهذه الآيات الكريمة تؤكد أن اللّه سبحانه وتعالى لا يريد من هذه الفرائض السلوك الظاهر وإنما يريد أن يؤديها المؤمن بكل طهارة ونقاء، وهذا المعنى الحقيقي للعبادة، وهو وسيلة لتطهير الباطن، والدليل على ذلك قول الرسول ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (ثلاث إذا كن في رجل فهو المنافق الخالص إن حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، ومن كانت فيه خصلة منهن لم يزل يعني فيه خصلة من النفاق لن تزل حتى يدعها)[95].

فمعنى كلمه التوحيد يجب أن تكون صادرة من القلب وينسجم سلوك الإنسان معها في التوكل على اللّه والإخلاص والشكر والصبر والتقوى والإحسان، والصلاة والزكاة وغيرها وتخلّق الإنسان بأخلاق هذه الكلمة، من صلة الرحم والبعد عن الظلم والمعاملة الحسنة والأخلاق السامية التي تصفها هذه الكلمة في الإنسان.

يرى ابن تيمية أن الأساس الأول في بناء السلوك القوي هو العبادة الخالصة للّه تعالى، ومن خلال هذا يمكن أن نعرّف السلوك في رأي ابن تيمية بأنه:

هو العمل الهادف الذي يبنى على قواعد ثابتة، وهي العقد الحقيقية التي أساسها التوحيد في السلوك يلزمها قواعد وضوابط إيمانية تهيئ الفرد للسلوك الحميد بعد إعطائه الطاقة الإيمانية الصحيحة لهذا العمل.

---

93 الحافظ المنذري، مختصر سنن أبي داوود، ج 3، ص 240.
94 سورة البقرة، الآية 197.
95 مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج 2، ص 200.

الآراء التربوية عند ابن تيمية:

- كل طفل يولد على الفطرة الأولى أي مستعد فطرياً للإسلام فهو يولد سليماً من أي نقص أو أفكار سيئة أو تربية غير جيده، هو على الفطرة، لذلك التربية الإسلامية تنشئ تلك الفطرة وتوجهها في الاتجاه الصحيح.

- يجب مراعاة الفروق الفردية والتميز الموجود بين المتعلمين واختلاف قدراتهم على الاستيعاب والحفظ.

- السعي في طلب العلم الذي يوصل إلى اليقين، قال رسول اللّه ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ: (العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)، والإنسان هو القادر على تحديدها إذا كان قد وصل إلى اليقين أم لا.

- العمل بالعلم: يجب أن يعمل الإنسان بالعلم الذي أخذه لينفع دينه ودنياه، ويتقرب من اللّه بعلمه، والعلم النافع هو أساس الحياة الصحيحة.

- عدم إخفاء التعليم ونشره واستمراره: يجب على المسؤولين عن التعليم أن ينشروه ولا يضيعوا منه شيئاً، قال تعالى: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللّه ويلعنهم اللاعنون)[96].

- التربية والتعليم المتكاملان: لا يجوز أن يكون التعليم عبارة عن معلومات مجردة دون تطبيقها بالعمل، والعكس صحيح، ويجب الربط بين العلوم الدينية والعقلية.

---

96 سورة البقرة، الآية 159.

قسم ابن تيمية العلوم إلى قسمين:

- علوم عقلية حساب وطب وفيزياء.

- علوم دينية تحتاج إلى أدلة عقلية.

رأي ابن تيمية أن الهدف الأساسي للتربية والتعليم هو تربية الإنسان التربية الصالحة والهدف الحقيقي هو التقرب من اللّه وعبادته العبادة الصالحة، يقول: إن العبادة الحقيقية ليست فقط في الفرائض الدينية وإنما الأفعال التي يجب أن يقوم بها الإنسان في سبيل اللّه، ويرى أن التربية يجب أن تبني شخصية الإنسان عقائدياً لأن العقيدة الصالحة ومعرفة اللّه المعرفة الحقة هي أساس الإنسان، وتهتم أيضاً بإعداده لأن يكون طاهر القلب والعقل الحواس وتنشئتها، وتزويده بالمعارف التي تنفعه في الدنيا وفي آخرته، فبذلك يكون تدريب الفرد على الحياة الاجتماعية مع مجتمعه وأقربائه وزرع الصفات الحسنة والعفو والتسامح وتدريبه على كيفية التعامل مع أبناء وطنه غير المسلمين[97].

---

97 الجلال 2009، ص 197.

الباب السابع

دور المساجد في التربية والتعليم:

المسجد: هو المؤسسة الأولى التي انبثق منها نور العلم والمعرفة في الإسلام، وله خصوصية أساسية مع مجتمع المسلمين، وهو الصوت الأول الذي قام لدعوة الإسلام، وشعاع الهداية الإلهية، ففي مآذنه تعلو أصوات الدعوة إلى الإيمان والحث على العمل الصالح، وفي كنفه يدرّس الإيمان، وعلى أرضه يكون العمل الصالح.

قال تعالى: (إنما يعمر مساجد اللّه من آمن باللّه واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخشَ إلا اللّه فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين).

مكانة المساجد في الإسلام:

المسجد هو بيت اللّه فيه ذكر اسم اللّه. إن للمسجد ومكانته العريقة والعظيمة في مجتمعات المسلمين أهمية كبيرة، وقد ذكر في القرآن الكريم الثواب الكبير للقائمين على بنائه، فقد قال اللّه تعالى: (في بيوت أذن اللّه أن ترفع، ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها، بالغدو والآصال، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه، وإقام الصلاة). فقال عزّ وجلّ: (إنما يعمر مساجد اللّه من آمن باللّه واليوم الآخر).

وعن أبي هريرة - رضي اللّه عنه - قال: (أحب البلاد إلى اللّه مساجدها، وأبغض البلاد إلى اللّه أسواقها).

والمساجد ضرورية لتغيير النفس والتجرد عن ملاهي الدنيا ومتاعها، والتفريق بين المنصب والرتبة، حيث إنها تنهى عن التكبر والأنانية، وتبعد عن الشهوة والغرائز ثم تجتمع في الساحة العبادة الصادقة للّه بالصدق.

إن فريضة واحدة أو ركعة يركعها المسلمون في المساجد، والتي هي بيت اللّه كتفاً إلى كتف، تزرع في نفس المسلم حقيقة المساواة الإنسانية والواجبات المفروضة على الأخوة في الدين، والتي لا تستطيع زرعها الكتب التي تنادي بالمساواة، والتي تتكلم عن الفلسفة وعن الإنسان المثالي.

لذلك قام الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بإنشاء مجتمع إسلامي في المدينة المنورة، وحثهم على عمارة المساجد مؤكداً على أن المسجد هو المكان الأول والدعامة الأساسية لقيام المجتمع الإسلامي، حيث إذا اكتملت عمارة المسجد وجاء المسلمون إليه كان لهم ملجأ وأبعدهم عن أهواء الدنيا ومشاغلها وعن الشهوات.

أهمية المساجد وعلاقتها بالمجتمع المسلم:

إن علاقة المسجد بالمجتمع هي علاقة متينة وقوية، ولا تقف هذه العلاقة القوية على إقامة الصلاة أبداً، إنما هي مؤسسة لها شأن كبير ـ كما ذكرنا سابقاً ـ على النفوس، ولها آثار إيجابية في التهذيب، ويجب أن تكون علاقة المسجد في المجتمع وأوضاعه الاجتماعية علاقة ثابتة ومستمرة.

دور المساجد وأثرها في التربية والتوجيه:

كانت المساجد منذ بداية ظهورها في تاريخ الإسلام مؤسسة لتعليم الأطفال والكبار، والذي من خلاله تحققت أهداف التربية العملية للمسلمين كافة في الشكل العام، والناشئين والشبيبة بشكل خاص. وكان أول من حمل لواء الحق ونادى إلى المجد هم الرجال الذين خرجوا من هذه المساجد، والذين قاموا ببناء بيوت اللّه تعالى، حيث تخرّج منها العلماء والفقهاء والنبلاء ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه ـ: (كانت المساجد مجامع الأمة ومواضع الأئمة وقد أسس ـ صلّى اللّه عليه وسلّم ـ مسجده المبارك على

التقوى، فكانت فيه الصلاة والقراءة والذكر وتعليم العلم والخطب وفيه السياسة، وكان عقد الألوية والرايات، وتأمير الأمراء، وتعريف العرفاء، وفيه اجتمع المسلمون كلما حزبهم أمرٌ من أمور دينهم ودنياهم).

تتركز رسالة الإسلام الأولى نحو التربية الروحية، حيث إن للصلاة وقراءة القرآن الثواب العظيم والأجر الجزيل.

عن أبي هريره ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول ـ الله صلّى الله عليه وسلّم ـ: (صلاة الرجل في الجماعة، تُضعَّف على صلاته في بيته وفي سوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة، وحُطّ عنه بها خطيئة، فإذا صلِّ لم تزل الملائكة تصلّي عليه ما دام في مصلاه، ما لم يحدث، تقول: اللهم صلِّى عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة).

إن اعتياد المسلمين والالتزام بالجماعة والربط معهم عده مرات في اليوم الواحد، هي من الوظائف التربوية الهامة في المسجد، حيث يستطيع المسلم أن يشعر بأهمية أن يكون مع إخوانه يقومون بتأدية واجبات دينهم، هنا يكونون كأسنان المشط، حيث إنهم يقفون أمام البارئ بتساوٍ وتوحيد واتحاد، وقد أمرنا الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ بأهمية الذهاب إلى المسجد والالتزام بالجماعة.

إن المسلمين في المساجد يعرفون معنى الأخوة في الإسلام، ومعنى مجتمع الصلاة، حيث إنه مجتمع يعم فيه الحب والنقاء، فهو يقوم بتفقد الغائب ويقوم على إعانة الأخ لأخيه، ويلقى المسلم أخاه المسلم خمس مرات في اليوم الواحد في المسجد، لما في القرآن من غذاء الروح وتربيه للنفس وترتيب لها.

خطبة المسجد هي الوسيلة الأكثر فاعلية في نشر الدعوة الإسلامية، لما لها من أهمية في الإسلام، ومركز ممتاز لنشر الدعوة ووصولها إلى الناس منذ بداية الرسالة المحمدية، وإن الخطابة بشكل عام لا تزال هي الوسيلة الفعالة في نشر الأفكار ووصولها إلى مختلف الطبقات، وهي الأسرع في الفهم والأكبر تأثيراً في المجتمع الإسلامي، حيث إن مفعولها يكون مباشراً وسريعاً.

لذا يجب أن يكون الهدف من الخطبة ما يلي:

أولاً – التذكير بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر، هذه الكلمات التي تدخل إلى قلوب المسلمين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً – تثقيف المسلم وتعليمه حقائق دينه من كتاب الله وسنة نبيه، مع التشديد على سلامة العقيدة من الترهات وسلامة العبادة من البدع.

ثالثاً – تقديم الإسلام بالشكل الصحيح وإبعاده عن أي مفهوم خاطئ، ونفي الباطل منه مما يقوم بنشره خصوم الإسلام، وذلك لزعزعة الثقة بين المسلم والقرآن.

رابعاً – الربط بين خطبة المسجد والحياة الواقعية اليومية التي يعيشها المسلمون، ومعالجة الأمراض المتفشية في المجتمع، والنظر في وجوب إيجاد الحلول لهذه المشاكل، عن طريق الشريعة الإسلامية.

خامساً – العمل في المناسبات ومراعاتها، مثل شهر رمضان المبارك والحج والنوازل وغيرها، مما يثير الرغبة للمسلمين في المعرفة التي تهديهم إلى الطريق الصحيح.

سادساً – العمل على ترسيخ فكرة أُخوَّة الإسلام والوحدة، وحل المشكلات

والكثير من الأشياء التي يمكن أن تعمل على تفرقة الأمة، والعمل على ربط فكر المسلم ومشاعره وشعوره بأخيه المسلم.

سابعاً – التشجيع على فكرة الجهاد في نفس المسلم، وزرع روح الحماس فيها، ذلك من أجل حماية الإسلام ومقدساته.

ثامناً – يجب أن تكون خطبة الجمعة بعيدة عن الدعاية أو عن أخذ الثأر من شخص ما، إنما يجب أن تكون صادقة لله تعالى، وأن تبلّغ عن الدعوة للإسلام، وإعلان كلمة الحق.

قال تعالى: (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً).

بذلك نرى أن يقوم العلماء بوضع الدعاة ذوي الكفاءة العالية، كمثال لموضوعات الإسلام، وأن يكونوا ذوي تنوع وغنى بالثقافة الإسلامية، حتى تكون مكاناً لاستعانة الخطباء بها، وفي اثناء إعداد الخطبة يجب أن يعتمدوا على مصادر موثوقة من المعارف الإسلامية، حيث تكون بعيدة عن الأحاديث الضعيفة والحكايات الكاذبة والمبالغة في الشيء.

دور مكتبات المساجد في التثقيف ونشر المعرفة:

كانت بيوت الله والتي هي المساجد الملاذ الأول والمدرسة الأولى والجامعة الحقيقية العميقة الأثر في نفوس المسلمين، إضافة إلى أنه كان نادياً ثقافياً يجتمع فيه المسلمون، ويتلقون فيه الدروس والمعارف، وكانت آثاره التربوية والدراسية واسعة المجالات، رسخت في أذهانهم العلوم والمعارف، وأصبح قاعدة واسعة الفهم والإدراك، إضافة إلى القمم العلمية التي تختص في علوم الدين والدنيا.

كان المسجد هو السبيل إلى أخذ الثقافة الإسلامية العامة، إضافة إلى أنه

كانت تعقد فيه حلقات التعليم للمسلم الذي يطلب العلم في مرحلته العمرية الأولى، وفي دراساته، ففي جامع القيروان نرى أن هناك جناحين أحدهما مخصص للرجال، وآخر للنساء لأخذ العلم، وكانت المؤسسات التعليمية في ازدهار ونشاط في مختلف المجالات، حيث كان هذا الدين هو نقطة انطلاق الطاقة والقدرات العقلية التي يقوم على تنميتها الإيمان ويعمل على إرشادها.

وكان في المساجد الكبيرة والجامعة مكتبات يضع فيها العلماء كتبهم، وكان الخلفاء والمسلمون والحكام يفتخرون بجمع هذه الكتب، حيث إن أغلبية المساجد كان فيها مكتبات، بالإضافة للجوامع ودور الحكمة، وكانت هذه المكتبات مرجعاً للطلاب والعلماء الذين كانوا يقصدونها للنسخ عنها، وهذا دليل واضح على أهمية الكتب التي قدّرها المسلمون وأبدوا إعجاباً بها، واهتموا بالمكتبات وتكوينها. كان الخلفاء والأمراء يتسابقون ويتسارعون إلى شراء هذه الكتب، وفي نيسابور بنى القاضي ابن حيان بجانب المسجد داراً للعلم وخزنة للكتب، وبنى أيضاً بيوتاً يسكنها الغرباء القادمون إليها لطلب العلم، وخصص لهم مؤونة يقصدونها ويطلبون ما يحتاجون إليه.

تناقلت الروايات أن المسلمين كانوا يحرصون على طلب العلم في المساجد، حيث إنهم كانوا يجتمعون في حلقات تضم الآلاف من التلاميذ، وكان أبو الدرداء أول من عقد هذه الاجتماعات في الشام، وكان عدد طلابه ألفاً وستمئة ونيّف.

ومن الآثار الإيجابية والتربوية للمسجد:

التعارف والأخوة الإسلامية:

كان التعارف من أهم القواعد في الآداب الإسلامية، وكان من الضروريات

لمعرفة كيفية التعامل مع الآخرين، لأن الجيران بحاجة إلى بعضهم بعضاً ولا يمكنك التعامل مع الجار بدون التعارف، فكل إنسان بحاجة إلى من يجاوره ويعرفه.

قال الله تعالى: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

التثقيف الديني والفصل بين المتخاصمين:

كان رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ يجلس في المسجد، وكان أصحابه يسألونه، وكانت الفتاوى والأحكام التي يقضي بها ذات شهرة وغنى بالمعلومات الدينية، وكان يجيب عن كل أسئلة الصحابة، حيث كان الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بعد الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والخلفاء الراشدون، يقومون بوضع الفتاوى في المساجد، حيث إنها كانت دوراً للحكمة، ومحكمة للقضاء.

وسنذكر بعض الجوامع التي كان لها دور كبير في نشر المعرفة والتربية.

جامع الزيتونة:

هو المسجد الجامع بني في مدينة تونس وهو من أكبر المساجد، تأسس في أرض تملؤها الخضراوات وأشجار الزيتون لهذا سمي بهذا الاسم.

أمر بتأسيس هذا الجامع الغساني حسان بن النعمان، وانتهت أعمال بنائه في عام 698، وقام بتوسيعه في عام 704. بعد ذلك أمر الأموي عبيد الله بن الحبحاب بإكماله في عام732.

ويعتبر أول جامعة في جامع بالعالم، وأخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ أن

تأسس وتم تثبيته كمركز للدراسة. حيث اشتهر بالفقه. ومن علمائه المفسر والمحدث ابن عرفة التونسي الذي قام بإعداد الكثير من المصنفات، والمؤرخ ابن خلدون الذي ابتكر علم الاجتماع.

وصل صيت الجامع وشهرته إلى أقصى بقاع الأرض، حيث أوجز المفكر العربي شكيب أرسلان دور الزيتونة، إضافة إلى جامع الأزهر والجامع الأموي الذي كان أكبر حصن للغة العربية والشريعة الإسلامية، ومركزاً علمياً ومنارة حضارية.

مكتبة الجامع:

يحتوي الجامع على أكبر مكتبة، تأسست في القرن السابع الهجري، فيها أربعون ألف مخطوط، حيث زودت بالكتب الأكثر أهمية والأكبر قيمة، وقام المهاجرون بإهدائها الكثير من الملفات، إضافة إلى أن العلماء قاموا بتزويدها بالكتب الدينية وكتب تفسير القرآن.

جامع الأزهر:

هو الجامع الأكثر أهمية في مصر عن بقية الجوامع الأخرى، وهو معقل التاريخ في نشر الثقافة والتعليم، بني في عهد الدولة الفاطمية في مصر، بعدما قام بفتحها جوهر الصقلي سنة 969. أنشئ ليصلي به الخليفة المعز لدين الله الفاطمي، وليكون مسجداً جامعاً للمدينة حديثة النشأة (القاهرة). الراجح أنه سمي الأزهر تيمناً بفاطمة الزهراء ابنة النبي ـ صلّى الله عليه وسلّم ـ وزوجة علي بن أبي طالب ـ كرّم الله وجهه. ضمّ الجامع الأزهر مكتبة ضخمة تحوي جميع العلوم القديمة منها والحديثة، من الفكر اليوناني وفلاسفتهم حتى أيام الفاطميين. كما قام الفاطميون في ذلك العصر باستدعاء العلماء من كافة البلاد الإسلامية لنسخ كتبهم،

وعقد حلقات العلم فيه، فقصده طلاب العلم من كافة ولايات الدولة الإسلامية آنذاك، فكان منارة إشعاع حضاري للعالم قاطبة.

المسجد الأموي:

الجامع الأموي أو جامع بني أمية الكبير، بُدئ بناؤه في عام 705 ميلادي على يد الوليد بن عبد الملك، وقد استعان في بنائه بصناع هنود وفرس، كما استعان بمئة فنان من الإمبراطورية الرومانية للمشاركة بالتزيين. يتميز المسجد بسقفه وجدرانه الفسيفسائية الملونة، وبكونه أول المساجد التي ظهر فيها المحراب. كما أنه يحتوي على مدفن يعود للنبي يحيى (يوحنا المعمدان) ورأس الحسين بن علي ـ كرّم اللّه وجهه ـ

وكان المسجد الأموي منارة للعلوم على مرّ العصور الإسلامية، ابتداءً من عهد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك حتى العصر الحديث ونهاية سيطرة الدولة العثمانية على البلاد العربية، حيث شكّل مركز إشعاع حضاري لتعلم العلوم وتعليمها، فتوافد إليه العلماء وطلاب العلم من كافة أصقاع الدولة الإسلامية، نهلوا منه العلوم على اختلافها، وزودوه بما حملوا في جعبتهم من علوم. ومن العلماء الأجلاء الذين وفدوا إليه العالم ابن تيمية، حيث علّم في أروقته التي كانت تشهد حلقات علم لمختلف العلوم وخصوصاً حلقات تعليم الصبية علوم الدين والفقه وغيرها. وكان له دور كبير في شحذ همم الناس للتصدي للهجمات التي كان يشنها أعداء الأمة الإسلامية كالصليبيين والمغول عليها.

خلاصة:

إن المساجد نشأت كبيوت للصلاة والعبادة في صدر الإسلام الأول، وكانت أيضاً دوراً للاجتماع لعقد الرايات للجهاد وتأمير الأمراء وتسيير الجيوش لفتح البلاد ونشر الدين الجديد، ثم تطورت لتصبح ذات وظيفة مزدوجة، إضافة لكونها بيوت دين فهي دور لنشر العلم، وبمثابة جامعات ما زالت تؤدي دورها الديني والعلمي حتى يومنا هذا، كجامعة الجامع الأزهر.

الفصل الثالث

التربية عند قدماء اليونان:

التربية عند اليونان كانت وما زالت تحتل المرتبة الأولى في تاريخ التربية، وذلك لتميزها، (فاليونان قد أفسحوا المجال الواسع نحو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية، العلمية والفنية، وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل الإنسان إلى الحياة السعيدة الجميلة).

من أبرز اعلام الفلاسفة الذين اهتموا بالمجال التربوي ولهم منهج فلسفي في معالجة مشكلة التربية: سقراط والسفسطائيون وأفلاطون وأرسطو والرواقيون والأبيقوريون.

ومن أهم العوامل التي ساعدت على تقدم المجتمع اليوناني ورقيه في المجالات الحياتية كافة، والمجال التربوي بشكل خاص هو ما امتازت به بلاد اليونان من جو لطيف قليل التغير يبعث النشاط في الإنسان ويساعده على التفكير والإبداع والتصور، فقد حظيت اليونان بنظام تربوي متميز اتخذت فيه شكلاً منظماً كان أساساً لما سارت عليه التربية في العصور اللاحقة، وامتازت هذه التربية بكونها تربية أرستقراطية محصورة بفئة قليلة من المجتمع.

الفلسفة التربوية عند سقراط:

قام سقراط بالربط بين الفلسفة، والتربية؛ وذلك من خلال التوحيد بين الفضيلة والمعرفة، فكانت هنالك مرادفة بين نظريته المعرفية والفضيلة، بل أكد (أن الفضيلة والعلم شيء واحد يستحيل أن تعرف الخير معرفة صحيحة ما لم تعمل به، كما يستحيل أن تعمل الخير ولا تعرفه).

إذ يقول: (إن الفضيلة علم والرذيلة جهل).

فالشرُّ يأتي من جهل العقل، والخير يأتي من معرفة العقل معرفة صحيحة للفضيلة، إذ لا بد من تعليم الإنسان وتعويده على أعمال الفضيلة.

لذلك ليس من السهل تعلّم الفضيلة؛ بل يصعب تعلّمها لأنها تعتمد على عوامل عديدة منها: الوراثة والتجربة، وأثر البيئة في الإنسان. كما من الصعوبة أن تجد معلماً يعرف معنى الفضيلة بشكل جيد، فالفضيلة هي (المعرفة، وإن شئت فسمّها الحكمة، وليس غيرها من الفضائل كالشجاعة، والعفة والعدل ما هو إلاّ مظهرٌ من مظاهرها).

اقتنع سقراط بأن (العلم إنما هو العلم بالنفس من أجل تقويمها واتخذ شعاراً له كلمة قرأها في معبد دلف هي اعرف نفسك بنفسك).

كان سقراط يساعد الشباب على تربية أنفسهم بأنفسهم وعلى اغتراف كل قوتهم من معين أنفسهم.

اهتم سقراط بالتربية اهتماماً كبيراً حتى إنه وصف نفسه وكأنه مُعلم أو مصلح تربوي، إذ يقول: (إن إرادة الآلهة اوحت إليه بأن يعظ مواطنيه

ويحثهم على الصلاح وبعث فيهم مهمازاً يحفزهم فهو نورهم وهدايتهم والمحسن إليهم بتعاليمه ونصائحه يبذلها لهم ليؤدي واجباً ولا يبغي عرضاً من أعراض الدنيا).

لذلك فإن هدف التربية عنده هو أن على الإنسان (أن يغالب مزاجه الحاد ويقسو على جسمه القوي ليروضه على طاعة العقل).

ومن كلِّ ما قلناه يمكن القول إن غاية الفلسفة عند سقراط هي غاية تربوية وأخلاقية، فإنه بحث في المجال الإنساني وعُني بمشاكل الإنسان وسعى إلى مرادفة المعرفة بالفضيلة، والعكس صحيح.

ويرى سقراط أن الفلسفة والتربية وجهان لعملة واحدة، وقال إن الفلسفة هي البحث في الإنسان والبحث في أخلاقه وتقاليده وحياته الاجتماعية، بحثاً عن الخير والسعادة وليس باتباع التقاليد البالية. وكانت الغاية من دراسة الفلسفة بالنسبة لسقراط هي تعليم النفس الإنسانية وطبائعها الحق والخير، والوصول إلى مجتمع أفضل والطريقة التي يجب أن تتبع لتحقيق غاية الفلسفة هي التربية[98].

وكان سقراط ضد أفكار بعض السفسطائيين الذين كانوا يرون أن طبيعة الإنسان عبارة عن شهوة، وأن التربية عبارة عن عوائق وقوانين وضعت للتغلب على الطبيعة، وأيضاً القوانين تتغير بتغير الظروف، أما سقراط فقد رأى أن الإنسان هو عقل وروح يتسم بالإحساس، وأن القوانين الحقيقية تصدر عن العقل، وهي عبارة عن قوانين غير مكتوبة وضعتها الآلهة في داخل البشر وقلوبهم، وأن الإنسان بطبعه يحب الخير ويبعد عن الشر، واعتمد

98 عبد الرحمن بدوي: أرسطو، دار القلم، بيروت، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2. 1980. ص262.

على طريقة الحوار في تعليم طلابه والذين ترددوا على حلقاته.

واعتمد أيضاً طريقة تحفيز الأفكار عن طريق النقاش والسؤال والجواب، كذلك الانتباه المكثف إلى الألفاظ ومعاني الكلمات التي تقال في النقاش.

مميزات فلسفة سقراط التربوية:

- التدريس أمانة سماوية.
- المعرفة أساس الوحدة الاجتماعية وأساس السلوك الصحيح.
- هدف التربية معرفة الإنسان لماهيته والأخلاق الفضيلة الصالحة له بنفسه.
- المعرفة تبدأ بمعرفة النفس (اعرف نفسك بنفسك)، الاتجاه نحو سبر غور النفس البشرية.
- تنمية قدرة الفرد على التفكير حتى يصل إلى المعرفة بنفسه، وهذه المعرفة في ذاتها هي أساس السلوك الصحيح.
- معرفة الحكمة والفضيلة التي تحقق للفرد النجاح والسعادة في حياته
- (ما زالت التربية تعتبر ذلك هدفها الأسمى).
- اعتماد طريقة توليد الأفكار والمعاني من خلال المناقشة والسؤال والجواب.
- تسمية المفاهيم من خلال التساؤلات[99].

99 فتح الله خليف: محاضرات في تاريخ الفلسفة اليونانية، أرسطو، الجزء الثاني، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1979، ص90.

إيجابيات الطريقة الحوارية:

- تعين المدرس على معرفة مقدار المعلومات والحقائق عند الطلاب.
- تساعد المدرس على اكتشاف ما في أذهان التلاميذ من تساؤلات وأفكار.
- تعين المدرس على مدى فهم الطلاب للدروس السابقة.
- تعين المدرس على إقناع الطلاب بضرورة متابعة التعليم وتحصيل المعلومات.
- تعلم التلاميذ التواضع والخضوع للحق وآداب الاستماع.
- تيسر للطالب معرفة حقيقة ذاته أو نفسه.
- يتدرج بالطالب من المجهول إلى المعلوم فتعتمد على تصحيح المعلومة.

الفلسفة التربوية السفسطائية:

يُعدُّ السفسطائيون (أصحاب فلسفة إنسانية بمعنى: أنهم جعلوا الإنسان محور تفكيرهم وردوا إليه الأشياء جميعاً فهو وحده الذي يعرف، والذي ينكر، وهو وحده الذي يحكم على أفعاله خيرها وشرها، فكل شيء، إنما هو بالقياس إليه الحق ما يراه حقاً والباطل ما يراه باطلاً. والخير بالقياس إليه والشر هو الذي يحكم بأنه شر).

حمل السفسطائيون شعار أن الإنسان مقياس الأشياء، وبناءً على ذلك، تعتبر التربية والأخلاق ليست مطلقة، ولكنها نسبية فإن (لكل من المرأة والرجل والطفل والمراهق والعبد والحر، لكل منهم فضيلته الخاصة به، فكأنه ليس هنالك مفهوم عام للفضيلة فهي نسبية).

أما معنى التربية عند السفسطائيين فهو وسيلة لإصلاح الناس فهم يرون (أن القانون سواء أكان عادلاً أم غير عادل لن يصحح من أمر الناس ويجعلهم أخلاقيين، وبالتالي لن يوصلهم إلى مرتبة أعلى، والتربية مكتسبة عند السفسطائيين وليست فطرية، فإن الإنسان ليس منساقاً بطبعه إلى التجمع والعيش في مجتمع، بل إنه قد يتعاقد مع غيره من الأفراد بنظام اجتماعي معين؛ لأن حياة المجتمع تجلب للمشاركين فيها منافع أكثر من تلك التي تجلبها لهم الحياة الفردية).

نجد من خلال أفكار السفسطائيين هنالك بذور لمبادئ العقد الاجتماعي التي نادي بها فلاسفة العصر الحديث هوبز ولوك وروسو.

أما عن هدف التربية عندهم فهو الاهتمام (بالإنسان لا من حيث الناحية الجسمية، ولكن من حيث التفكير العقلي، لهذا كان المطلوب من كل من يقوم بالتربية في ذلك أن يربي المواطن على فضائل الدولة، ولكن مهمة السفسطائيين لم تكن مهمة تربية رجال الدولة جميعاً لكي يؤدي كل مواطن ما عليه، بل كان الغرض أن تكون متجهة إلى إيجاد طبقة من القادة تستطيع أن تسيِّر أمور الدولة).

إن الفضيلة عندهم هي: (قدرة الشخص على أداء وظيفته في الدولة بكفاءة ونجاح، ففضيلة الطبيب معالجة المرضى، وفضيلة الرائض تدريب الخيول، ولما كان السفسطائيون يدربون الشباب، ليجعلوا منهم مواطنين صالحين للظروف السياسية التي تحيط بهم، فهم معلمو فضيلة بهذا المعنى).

كما أكد السفسطائيون على أفضل ما يجب (أن يربى عليه الإنسان هو الخطابة، والقدرة على التأثير في الناس أي: الناحية الشكلية في الروح الإنسانية، لذا سيكون الغرض الأصلي للتربية متجهاً الى الناحية

الصورية في الرجل، فهي إذاً مبدأٌ صوري في الشخص الذي تكون فيه)[100].

أما من ناحية التعليم، فكان السفسطائيون يعلمون الشباب (الخطابة والفلك والرياضيات والشعر، وذلك إلى جانب المنطق الذي يؤهلهم لاقتحام الخصوم لا للوصول إلى الحق، فلم يكن يهمهم الدفاع عن الحق بقدر ما كانت تدفعهم الرغبة الخالصة لا للوصول إلى الحق، بل للانتصار على الخصم، مهما يكن الثمن، وذلك عن طريق الغموض الذي يعتري اللغة في أثناء الحوار، واستعمال هذا الغموض في التلاعب بالألفاظ).

وبهذا فإن للسفسطائيين الفضل الكبير في تعليم الصغار وتوجيه الناس، لذلك كانوا بحق هم أول معلمين في تاريخ اليونان يزامنهم سقراط على الرغم من الاختلاف في ما بينهما.

100 محمد ناصر: قراءات في الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ج1، ط2، 1977، ص193.

الباب الثاني

فلسفة التربية عند أفلاطون:

تأثر أفلاطون في كثير من آرائه الفلسفية والتربوية وفي طريقته العامة بآراء وطريقة أستاذه سقراط، وكان يتفق مع أستاذه بعدة أمور هي:

- جعل الفلسفة متصلة بالإنسان وشؤون المجتمع.
- ضرورة وضع قانون أخلاقي يعيد للمجتمع قوته وتماسكه.
- وضع أساس جديد للحياة الأخلاقية لا تتعارض فيه مصلحة الفرد مع مصلحة الجماعة.
- أساس الفضيلة هو المعرفة.
- الهدف الفلسفي الأساسي من التربية هو إصلاح الفرد والمجتمع والوصول إلى معرفة الخير، وذلك عن طريق تنمية هذه المعرفة وطبع النفس الإنسانية على الحق والخير والجمال.
- اتخاذ طريقة الحوار والمناقشة أساساً لكتاباته وتعليمه.

بيد أن أفلاطون قد اختلف في كثير من آرائه ونظرياته مع أستاذه سقراط، وذلك نظراً إلى أنه قد خضع لعدة مؤثرات:

- أصله ونشأته الأرستقراطية.
- الضعف الذي اعترى أثينا وفقدانها لمنزلتها السامية التي كانت تتمتع بها ما بين الولايات اليونانية الأخرى، نظراً للفوضى التي عمتها بفعل الشهوات الجامحة والرغبة في الترف.

- معاصرته للحروب طويلة المدى التي دارت رحاها بين أثينا وإسبارطة.

- هجرته وأسفاره إلى خارج اليونان.

- دراسته المذاهب الفلسفية الشرقية كالهندية والفارسية، واطّلاعه على ديانات وأساطير تلك الشعوب لا سيما الفرعونية منها.

وكل هذه العوامل أثرت في شخصية "أفلاطون" وفي فلسفته التربوية، وجعلته يختلف في كثير من آرائه عن أستاذه التي كانت أقرب إلى روح الديمقراطية والبساطة.

ولقد تجاوز أفلاطون أستاذه سقراط عندما حمل همه الأكبر رسم صورة لجمهورية فاضلة قوية ومتماسكة، وانطلق في بنائها تصوراً وكتابة بالبحث في أسباب نشوء العدالة وأسباب نشوء التعدي في الدولة، ومن ثم بحث في كيفية تربية وتعليم الحكام كموضوع محوري لدراسته.

ومن هنا كانت آراء أفلاطون التربوية انعكاساً لفلسفته السياسة الأخلاقية، كما أنه اتجه اتجاهاً مثالياً يسمى في عصرنا الاتجاه المثالي وأحياناً الطوباوي، أو المذهب المثالي المفارق، وتعني المثالية بالمفهوم الأفلاطوني: أن هناك مُثلاً أو صوراً للأشياء، وأن وجود هذه المُثل مفارق للأشياء، وتقوم المثل المفارقة في عقل إلهي، عنده صور الصور أو أعلى المُثل درجة وأسماها مرتبة.

ويعتقد أفلاطون أن الأشياء جميعاً ما هي إلا نسخ ناقصة لمُثل أزلية كاملة، وأن الطبيعة الحقة للشيء لا توجد في الظواهر التي تقدمها الحواس، بل توجد في المُثل، ولذلك فإن الطريق الوحيد لمعرفة المُثل هو طريق العقل.

الإطار الفلسفي لفلسفة أفلاطون التربوية:

هذا الإطار يتوزع على ثلاثة جوانب:

1- النظرة المثالية الأفلاطونية للإنسان:

الإنسان ذو وجود ثنائي حقيقة، وظل نفس وجسم النفس جاءت من عالم المُثل، وحلت في الجسم لتقضي حكماً بالسجن صدر عليها وبعد الموت تتحرر من الجسم وتعود مرة أخرى إلى عالم المُثل.

2- نظرة المثالية الأفلاطونية إلى المعرفة أربعة أنواع:

أ - المعرفة الحسية: موضوعها عوارض الأجسام متغيرة متبدلة ولا يمكن الركون إليها.

ب - المعرفة الظنية: مجموعة من الأحكام تتعلق بالمحسوسات من جهة ما، هي محسوسة، وهي معرفة تخمينية.

ج - المعرفة الاستدلالية: وتتعلق بمعرفة الخصائص الرياضية، وهذه المعرفة على الرغم من كون ماهياتها كلها عقلية فإنها تتحقق في المحسوسات.

د - المعرفة العقلية: معرفة الماهيات المجردة تجريداً كاملاً من المحسوسات، وهذا النوع من المعرفة هو المعرفة اليقينية بالماهيات الكاملة.

أي يمكن القول إن موقف المثالية الأفلاطونية من المعرفة يتمثل في أن الحقيقة كاملة في أفكار العقل لا في العالم الخارجي، بمعنى أن الأفكار تتقدم على المحسوسات، والأخيرة نسخة طبق الأصل عن الأفكار، والحال نفسه بالنسبة للمعاني الكلية فهي تتقدم على الجزئيات، وأن معرفة أي شيء في عالم المحسوسات يتحقق من خلال معرفة ماهيته لأن ماهية الشيء

سابقة على وجوده، وبالتالي: وجود الشيء مرهون بوجود الذات المدركة العارفة أساساً.

نظرة المثالية الأفلاطونية إلى القيم:

القيم مطلقة وغير متغيرة، فالخير والجمال والحق ليست من صنع الإنسان، بل هي حقائق ربانية مطلقة، نستمدها من طبيعة الكون وخالقه، ونتيجة لهذا تدعو المثالية إلى أن الحياة الصالحة لا تتحقق إلا في أجواء بمجتمع منظم تنظيماً عالياً، وقد قدم "أفلاطون" في هذا الصدد وصفاً لمجتمع مثالي ـ في جمهوريته ـ يكون لكل فرد فيه وظيفته المحددة سلفاً حسب الطبقة التي ينتمي إليها، وهذا النمط من المجتمع تحكمه صفوة من المجتمع هم الفلاسفة.

مفهوم أفلاطون للتربية:

التربية هي عملية تدريب أخلاقي، والمجهود الاختياري الذي يبذله الجيل القديم لنقل العادات العملية للحياة، ونقل حكمة الكبار في السن التي وصلوا إليها بتجاربهم إلى الجيل الصغير، وهي نوع من التدريب الذي يتفق تماماً مع الحياة العاقلة حينما تظهر.

أهداف التربية عند أفلاطون:

يمكن تلخيص أهداف التربية عند "افلاطون" في النقاط التالية:

- الإعلاء من شأن العقل على الأمور الحسية، وذلك من خلال تنمية الملكة العاقلة المجردة.

- رفع مكانة الشخصية، وتحقيق "كمال الذات"، وذلك عن طريق عملية التطور الروحي.

- إحاطة الطفل بالمُثل العليا الصالحة، وتعريفه بالخير الأسمى.

- بناء شخصية تشعر بولاء عالٍ للمُثل السياسية العليا للمجتمع والدولة.

- تحقيق وحدة الدولة، وذلك عن طريق هدم الروح الفردية السلبية.

أرسطو وآراؤه التربوية:

تناول أرسطو موضوع التربية في كتابه السياسة، وكذلك في كتاب الأخلاق، وكان يؤكد على أثر الدولة والحكومة في العملية التربوية، فأوضح أنّ على الحكومة أنّ تتبع طرائق لتنشئة أفراد الشعب مبنية على الفضيلة حتى يصلوا إلى السعادة.

يرى أرسطو أن نشأة الطفل تسير في ثلاث مراحل أو ثلاث مراتب، وهي: (المرتبة الأولى: جانب شكلي النشأة الجسمانية، وهي أسبق المراتب الثلاث في زمنها.

المرتبة الثانية: نشأة القوى النزوعية، أو نشأة النفس غير الناطقة.

والمرتبة الثالثة: نشأة النفس الناطقة التي هي آخر النشآت الثلاثة ظهوراً).

وعلى هذا الأساس قسّم أرسطو التربية إلى ثلاثة أقسام هي:

القسم الأول:

-التربية البدنية التي تسبق التربية الخلقية والعلمية.

أكد أرسطو على الاهتمام بنمو الجسم؛ وذلك من خلال التغذية الجيدة، كما حثّ على تعويد الأولاد على احتمال البرودة، وأن تكون ملابسهم خفيفة.

أما عن التربية الخلقية فكانت تحتل مكانة كبيرة فإن هدف أو غاية التربية

عنده الأخلاق، أو الفضيلة والفضائل (منها ماهي فكرية، ومنها ماهي خلقية: فالحكمة والفهم والعقل: فكرية والحرية والعفة: خلقية، فإننا إذا وضعنا خلق الإنسان لم نقل: إنهُ حكيم أو فهيم، إنما نقول: إنه حليم أو عفيف، وقد يمدح الحكيم بالهيئة التي له، وما كان من الصفات ممدوحاً سمّيناه: فضائل)[101].

التربية الخلقية عند أرسطو مكتسبة عند الإنسان، فالفضيلة عنده هي (استعداد مكتسب واكتسابه يكون بالإرادة؛ لأنه محمود، ولا يكون وجوداً حقيقياً للفضيلة إلاّ متى صارت عادة أي متى أنتجت، وهي المكتسبة أعمالا بسهولة مماثلة لتلك التي ينتخبها الاستعداد الفطري. فالإنسان لا يكون عادلاً حقّاً إلا إذا كان لا يعاني أي مشقة، بل يشعر على العكس بلذة حينما ينجز عملاً عادلاً. وهذه العادة، المتولدة عن الإرادة تجعلها في الوقت نفسه أشد حزماً. كل ما في الإنسان من فضائل نابع إذن من اختياره الإرادي).

وجعل وظيفة التربية أخلاقية أكثر منها علمية، فالتربية عنده هي (التي يفترض منها أن تزرع في فؤاد الطفل حب الفضيلة المدنية، والتربية التي تنجب مواطنين صالحين، هي التي تحاذر أن تنمّي وظيفة على حساب الوظائف الأُخرى والتي تعرف كيف تحافظ على التراتب الهرمي لهذه الوظائف، وعلى قيمة كل وظيفة منها).

اما ما يخص التربية العلمية فيقول أرسطو في هذا الشأن (وجوب تعلم ما كان ضرورياً من الأُمور النافعة ليس بحقيقة غامضة، ولكن ما من داعٍ موجب إلى تعلم كل الأمور النافعة).

---

101 أرسطو طاليس. الأخلاق. ترجمة إسحاق بن حنين. حققه وشرحه وقدم له د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات. الكويت. ط1. 1979. ص84.

تقسم المعارف عند أرسطو إلى أربعة هي (الأدب والعلوم ثم الرياضة والموسيقى وأضاف بعضهم التصوير كمادة خامسة. وقد علموا الأدب والتصوير لمنفعتهما في الحياة وكثرة استخدامهما. وعلم الرياضة، لأنها تهدف إلى الشجاعة. أما الموسيقى فيحار المرء في أمرها. فأكثر الناس يقبلون الآن على تلقنها ابتغاء اللذة. مع أنهم دمجوها من البدء في نظام التربية؛ لكون الطبيعة نفسها لا تتطلب فقط شغلا قوياً، بل تلمس أيضاً إمكانية التمتع بفراغ لائق، والطبيعة إن كان لا بد من تكرار هذه الحقيقة مبدأ كل شيء).

يرى أرسطو أن القيام على التربية والتعليم لا يحسنه إلاّ الدولة؛ لأنها هي الحاصلة على العلم بالخير الكلي الذي تصدر عنه القوانين. فيجب أن يكون في الدولة قوانين تنظم تربية النشء وسيرتهم، بل البالغين أيضاً طوال حياتهم. أجل إن للتربية المنزلية مزايا فهي تقوم على المحبة بين الأبناء والآباء وتراعي الطبائع الفردية بدقة أكثر، ولكنها مع ذلك أدنى من تربية الدولة؛ لأن القوانين من القوة الرادعة ما لا يتفق للأب أو لغيره، ولأن الوالدين غالباً ما يكونان عاطلين عن العلم اللازم.

وضح أرسطو أن من واجب الأب تربية أُسرته، وذلك بأن (يوجه تلك النفوس الناقصة التي هي نفوس النساء، والأولاد، ولكن حذارِ من أن نحسب هذه النفوس، لنقصها، نفوس عبيد، أو أن نظن سلطان ربَّ الأسرة هذا سلطاناً مطلقاً، فالزوج يأمر الزوجة كما يأمر الوالي مَنْ وليَ عليهم، والأب يأمر الأولاد كما يأمر الملك رعاياه)؛ لأن ذلك مما يفسد التَربية.

إن العدالة والمحبة من الضروريات التي لا بد أن تتواجد في تربية الفرد والمجتمع، لذلك وضع أرسطو أهمية كبيرة للعدالة، والعدالة عند أرسطو صورتان هما:

1- ”عدالة تمييزية او عدالة التوزيع“، وهي التي تعطي بها لكل إنسان بحسب مميزاته.

2- ”عدالة تعويضية“، وهي التي يعوض فيها ماهناك من فروق اقتضتها العدالة التمييزية.

3- ”عدالة متبادلة أو عدالة التبادل“، ويقصد بها أرسطو تبادل الناس الخيرات، أو المنافع بعضهم مع بعض، فهي أقرب ما تكون إلى العدالة الاقتصادية.

وكذلك المحبة مهمة عند أرسطو فهي (فضيلة من فضائلنا وهي من الأشياء المضطرة الضرورية). جعل أرسطو التربية مكتسبة عند الطفل، وليست فطرية، فالتربية والفضيلة تأتي بالتعلّم وليست طبيعة فينا.

الرواقيون وآراؤهم التربوية:

كان للرواقيين أثرٌ مهم في تاريخ فلسفة التربية حتى إن تعريفهم للفلسفة يدلّ على أن التربية والأخلاق في المكان الأول، فقد قالوا: (إن الفلسفة ممارسة الفضيلة، والفضيلة صناعه واحدة لا تتجزأ، وهي أشرف الصناعات منزلة، وهي تلائم طبيعة البشر ملاءمة خاصة. وقال سينكا: الفلسفة منهج مستقيم في الحياة، وعلم يعدنا، لأن نحيا على الفضيلة، وصناعة نسلك بها من السبل أقومها. ولم يخطئ من قال: الفلسفة ناموس حياة جميلة فاضلة).

لا بد من تربية الإنسان تربية عقلية وحكيمة، وإنهم يرون أن أهم نقطة لتحصيل السعادة هي أن يتحلّى الإنسان بخصال الحكيم (فالحكيم في نظرهم أشبه الناس بشخص معصوم: يحسن جميع ما يفعل، وأتفه أفعاله

جديرة بالثناء، وهو شخص لا سلطان للأهواء والانفعالات على نفسه. وإن سهام الحوادث لتنكسر تحت قدميه فهو إذن لا يتأثر بشيء ولا يحس ألماً ولا يستشعر شجناً، ولا يعرف همّاً، ولا يساور قلبه وجل ولا أسف ولا رجاء. هو الغني من غير مال، والملك من غير مملكة يعيش في أكمل سعادة، ويعرف وحده ما ينبغي في علاقات الناس بعضهم ببعض، وفي علاقاتهم بالآلهة: فهو غني، حرّ، جميل في وقت واحد. وهو الحاكم والقاضي والقس، وهو أيضاً الخطيب والشاعر والموسيقار والنحوي، بل إن شئت فقل هو القبطان والحائك والإسكافي إلى آخر ما هنالك: وهو بالإجماع المفرد بالعلم الذي يحيط بكل فن ويتقن كل صنعة، ويعلم الأمور الإلهية والإنسانية جميعاً)، وهذه الصورة للحكيم تكون مثالية في أغلب الأحيان.

وقالوا: إن أهم جزء في الإنسان عقله، و(صوروا الحياة حياة حرب بين العقل والشهوات يجب فيها أن ينتصر العقل ويظفر بالشهوات ويعدمها، ومن ثم كانت نظراتهم تنتهي بالتقشف والزهد وعدم التوازن بين قوى الإنسان).

كما نادى الرواقيون "بالجامعة الإنسانية" التي يجب أن تقوم قبل كل شيء على وحدة المعرفة والإرادة، فإن المدينة الفاضلة أو المدينة الإلهية، أو الجامعة الإنسانية في نظر الرواقيين (إنما هي مجتمع تحلّ فيه الوحدة العقلية محلّ الوحدة السياسية، وتقوم فيه المحبة بين الناس مقام القانون).

وفي نهاية القول، إن أفكار الرواقيين لها أثر بعيد المدى، فقد استطاعت أن تلقي طابعاً قوياً على فكرة القانون عند الرومان، وبقيت عند مشرعيهم مصدر إلهام، كما استطاعت أن تؤثر في توجيه الدعوة المسيحية إلى المحبة والرحمة، وأن توحي إلى "جان جاك روسو" وفلاسفة القرن الثامن عشر في فرنسا بنظراتهم إلى الإخاء بين بني الإنسان وحقوقهم في الحرية والمساواة.

الأبيقوريون وآراؤهم التربوية :

حاولت الأبيقورية في فلسفتها الربط بين الأخلاق، والتربية القائمة على تنمية اللذة الروحية، والعقلية فأساس الأخلاق عندهم اللذة (واللذة وحدها غاية الإنسان، وهي وحدها الخير. والألم وحده هو الشر الذي يفرّ منه الإنسان، ويتجنبه، والفضيلة ليس لها قيمة ذاتية إنما قيمتها في ما تشتمل عليه من اللذة).

وجد الأبيقوريون لذة عقلية بجانب اللذة الجسدية، وذلك لأن الجسم لا يحس إلا باللذة الحاضرة، أما العقل فيستطيع أن يتلذذ بذكرى لذة ماضية وبأمل لذة مستقبلية، فالسعادة (لا تتم للإنسان إلاّ بالحكمة والتعقل والتمسك بالفضيلة خاصة الأمانة والعدالة، لذلك تقاس دائماً بما يترتب عليها من نتائج في المستقبل).

وذهب الأبيقوريون إلى أن أهم اللذائذ العقلية هي (لذة الصداقة؛ لأن مدرستهم لم تكن مجرد تلاميذ في مدرسة، بل كانوا – فوق ذلك – أصدقاء).

إن التحلي بالأخلاق الحميدة أهم الوسائل التي توصلنا إلى السعادة، فهم يحثون على الاعتدال والبساطة وقالوا: (تُحسن؛ خير مَن أن يُحسن إليك واليد العليا خير من اليد السفلى).

وأكدوا أنه لا بد للفرد من أن يتصف بصفات الحكيم وهي: (أن يسيطر سيطرة تامة على رغباته، حتى لا تدفع به إلى طريق الضلال. وكثيراً ما كان يصف نفس الحكيم بهدوء البحر أو بالسماء الصافية المشمسة، وهو لا خير للإنسان تحت أي ظرف من الظروف إن يرضى لنفسه الذل والهوان).

يرى الأبيقوريون أن للدولة أثراً في تربية الفرد، لذلك لا بد للدولة من أن تقوم بحماية المجتمع من الظالمين والحمقى، وأن تكون دولة عادلة، وأن تقوم

هذه الدولة على مبدأ القوانين التي تنظم المجتمع، فإن الدولة (بقوانينها قد نشأت بادئ الأمر بالتعاقد بين أفراد المجتمع، ولذا يجب علينا أن نحترم القانون، وأن نطيعه ما وسعتنا الطاعة والاحترام).

وبهذا فإن فلسفة الأبيقورية هي طريقة تؤدي إلى غاية وراءها هي الحياة العملية، أي: الاهتمام بالإنسان وسعادته، وأن السعادة لا تحدث إلاّ عن طريق الأخلاق الحسنة، ولا تأتي إلاّ عن طريق تربية الفرد تربية صحيحة، وبذلك نجد الأبيقوريين من أوائل الذين ربطوا بين الفلسفة والتربية، وكان هدف فلسفتهم هدفاً تربوياً إنسانياً، ولا يمكن فصل الفلسفة عن التربية عند القراءة أو الكتابة عن فكرهم.

خلاصة:

لقد ذهب "جان جاك روسو" في كتابه "إميل" إلى حدّ القول:

"إن الجمهورية هي أحسن كتاب عالم في التربية، وإنه ليس كتاباً في السياسة"، ورغم هذا الحكم الذي أطلقه هذا الفيلسوف، إلا أن الدارسين قد أحصوا كثيراً من العيوب في جمهورية أفلاطون وبها من الناحية الفلسفية التربوية المسائل التالية:

- تكريسها للأرستقراطية أي حرمان الطبقات الفقيرة من التعليم.

- جعله للدولة السلطة المطلقة في تربية الأطفال وتربية المحاربين.

- التربية الإقليمية المركزية التي أسبغها أفلاطون على طبيعة الدولة عنده، وهذا أمر يتعارض مع فكرة العالمية الإنسانية.

- الطابع المثالي الذي ساد محاوراته الفلسفية للتربية مما يجعله بعيداً عن التأثير العملي.

- إهماله واحتقاره للأعمال اليدوية والصناعات التطبيقية وجعلها من مهام العبيد والرقيق يعني أنه أهمل التربية التطبيقية.

الباب الثالث:

الفلسفة التربوية في أثينا وإسبارطة:

اتسمت التربية بروح التجديد والابتكار وفسح المجال لنمو الشخصية الفردية في الجوانب السياسية، والعلمية والخلقية والفنية، حيث كانت غاية التربية عندهم هي وصول الإنسان إلى الحياة السعيدة والجميلة، وذلك عن طريق وصوله إلى الكمال الجسمي والعقلي معاً. وبصورة عامة ظهر في اليونان نموذجان تربويان هما:

التربية الأثينية:

تبدأ التربية الأثينية من الأسرة، حيث يعهد إليها بتربية الطفل حتى يبلغ السابعة من عمره فيتم إرساله إلى المدرسة ويبقى فيها حتى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره. وكان يرافق التلميذ في ذهابه إلى المدرسة وإيابه شيخ كبير يقوم بمراقبة سلوك الصبي وعاداته في الحديث ومعاملة الآخرين والمشي في الطريق كما أوكلت إليه مهمة تقويم أخلاقه ومعاقبته عند إخلاله بآداب اللياقة.

أما هدف التربية الأثينية فكان يتمثل في) إعداد المواطن الأثيني المتكامل من النواحي الجسمية والعقلية والخلقية بحيث يتمكن من الدفاع عن وطنه ويسهم بشكل فاعل في إغناء ثقافته)[102].

من أهم العوامل التي ساعدت على تقدم المجتمع اليوناني ورقيه في المجالات الحياتية كافة والمجال التربوي بشكل خاص هو ما امتازت به بلاد اليونان من جو لطيف قليل التغير يبعث النشاط في الإنسان ويساعده على التفكير

---

102 يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. ص246.

والإبداع والتصور، فقد حظيت اليونان بنظام تربوي متميز اتخذت فيه شكلاً منظماً كان أساساً لما سارت عليه التربية في العصور اللاحقة، وامتازت هذه التربية بكونها تربية أرستقراطية محصورة بفئة قليلة من المجتمع، وفي ضوء هذا العدد المتميز من القلة المفضلة اتسمت التربية بروح التجدد والابتكار وفسح المجال لنمو الشخصية الفردية في الجوانب العلمية والسياسية والخلقية والفنية، وكانت غاية التربية عندهم وصول الإنسان إلى الحياة السعيدة والجميلة، وذلك عن طريق وصوله إلى الكمال الجسمي والعقلي معاً .

والمتصفح لتاريخ اليونان القديم يجد ثلاثة نظم للتربية تكونت نتيجة التطور الحاصل في المراحل التاريخية المتعاقبة، وكانت كل مرحلة تمتاز بخصائصها الواضحة والمتميزة عن غيرها من المراحل، وهذه المراحل هي:

1. مرحلة التربية الهومرية (أو التربية في بلاد اليونان قبل كتابة تاريخها والتي امتدت إلى حوالي عام 776 ق.م).

2. مرحلة التربية اليونانية القديمة، ويتميز فيها نظامان تربويان هما التربية الإسبارطية والتربية الأثينية المبكرة.

3. مرحلة التربية اليونانية الحديثة التي بدأت بعصر بركليز الذي يعتبر مرحلة انتقال بين القديم والحديث في نواحي الحياة اليونانية القديمة كالتربية والدين والقيم الأخلاقية وغيرها ، ثم تأتي بعد عصر بركليز الفترة الممتدة من استيلاء المقدونيين على أثينا في أواخر القرن الرابع ق. م حتى خضوع اليونان للإمبراطورية الرومانية ، ولما كانت كل من إسبارطة وأثينا من الدول البارزة بين دول اليونان القديمة وامتازت كل منها بنظام تربوي له خصائصه وأهدافه ووسائله المتميزة بسبب اختلاف العوامل الثقافية

والسياسية التي تقف وراء ذلك فإن ذلك يقتضي أن نقوم بتوضيح طبيعة النظام التربوي في كلتا الدولتين[103].

التربية الإسبارطية :

تمثل التربية الإسبارطية التربية اليونانية القديمة في أوضح صورها ومظاهرها، إذ لم يطرأ على هذه التربية أي تغيير أو تعديل إلا في حالات استثنائية نادرة حدثت عند انهيار دولة إسبارطة.

تبدأ التربية الإسبارطية منذ مولد الطفل، حيث يعرض على شيوخ الدولة ليقرروا إن كان يستحق الحياة أو الموت. وذلك بعد إجراء عدد من التجارب والفحوص عليه لاختبار قوة احتماله، إذ كانت الدولة هي المسيطرة على التعليم بجميع مراحله المختلفة وبعد التثبت من صلاحيته للحياة يعاد إلى أمه لتقوم بإرضاعه وتربيته حتى السابعة من عمره. ولكن الأم كانت تسير على نظام نصحت به الدولة في تربية الطفل وتنشئته وهو عدم تقييد نموه وحركاته، وأن تقسو عليه في معاملتها، وأن لا تستجيب لمطالبه، وكذلك تمنعه من البكاء وتتركه في الظلام حتى يتعود على الصبر وتحمل المشاق، وكذلك تحمّل الجوع والألم، وعند بلوغه السابعة يرسل إلى المعسكر العام لتلقي التدريب العسكري.

هدف التربية الإسبارطية :

كان يتمثل في (إعداد المواطن الإسبارطي المزود بقدر كافٍ من الكمال الجسماني والشجاع، المتحلي بعادات الطاعة العمياء للقانون حتى يكون الجندي المثالي الذي لا يهزم).

تمثل التربية الإسبارطية التربية اليونانية القديمة في أوضح صورها

103 أحمد أمين. زكي نجيب محمود. قصة الفلسفة اليونانية. ص137.

ومظاهرها، إذ لم يطرأ على هذه التربية أي تغيير أو تعديل من الناحيتين العلمية والتطبيقية إلا في حالات استثنائية نادرة حدثت عند انهيار دولة إسبارطة.

من العوامل التي كان لها تأثير كبير في طبيعة تكوين النظام التربوي في إسبارطة هي:

الموقع الجغرافي:

تقع إسبارطة في منطقة جبلية وعرة، والمعيشة في مثل هذه البيئة تتطلب قوة الجسم والقدرة على الاحتمال.

النظام الاجتماعي الإسبارطي :

كان المجتمع الإسبارطي يتألف من ثلاث طبقات هي (طبقة السادة، الطبقة الوسطى، وطبقة العبيد) وقد حكم السادة الإسبارطيون وسخّروا أفراد كل من الطبقتين (الوسطى والعبيد) لخدمتهم والقيام بجميع الأعمال اليدوية والشاقة في الدولة، مما أدى إلى سخط هاتين الطبقتين وإيجاد حالة من عدم الاستقرار داخل البلاد.

العلاقات السياسية الخارجية للمجتمع الإسبارطي:

لقد فرضت إسبارطة هيمنتها على العشائر القريبة منها، وفرضت عليها الضرائب مما أدى إلى كثرة الاضطرابات والثورات الداخلية والخارجية التي كان على السادة إخمادها والسيطرة عليها.

لقد هدفت التربية الإسبارطية إلى إعداد المواطن المحارب الشجاع المدافع عن وطنه

والمتحلي بعادات الطاعة العمياء للقانون وتحقيق المُثل العليا للحياة الحربية.

تبدأ التربية الإسبارطية منذ الولادة، والدولة هي المسيطرة على التعليم بمراحله المختلفة، وعندما يبلغ الطفل السابعة من العمر كان الآباء يقومون بإرسال أبنائهم إلى المعسكر العام، حيث يوضعون تحت إشراف ورعاية مشرفين أكفاء، وكانوا يُلحقون بالمدارس الداخلية الشبيهة بالثكنات العسكرية، حيث يقسم الأطفال إلى مجموعات؛ كل مجموعة تتألف من (64) طفلاً يدير شؤونها رئيس يتم اختياره من بين الأولاد المتقدمين في السن، وبعد سن الثانية عشرة ينقل الأولاد إلى نوع من التدريب العسكري العنيف الذي يستمر لمدة عامين تحت إشراف الجيش الإسبارطي .

لم يعتن الإسبارطيون بالقراءة والكتابة والحساب، حيث كان البعض منهم يتعلمونها عن طريق مدرسين خصوصيين، وفي سن الثامنة عشرة يلتحق الشاب الإسبارطي بفرقة (الإفبي) أو ما يعرف بالطالب الحربي ليتلقى تدريبات عسكرية متقدمة ودراسة عميقة في مختلف الأسلحة والخطط العسكرية واستخدام السلاح، وكانت تختبر قوة تحملهم كل أسبوعين تقريباً، وكان الاختبار لا يخلو من القسوة.

وحينما يبلغ المواطنون سن العشرين يُلحقون بالجيش ويتدربون على تحمل الصعاب ويؤدون يمين الولاء للدولة ثم يرسلون إلى وحدات الجيش على الحدود حتى يقضوا عشر سنوات كجنود نظاميين يقومون بمهامهم العسكرية عند اندلاع الحروب.

إن المواطن الإسبارطي عندما يبلغ سن الثلاثين من عمره يتمتع بجميع الحقوق والامتيازات المدنية، ويصبح عضواً من أعضاء الجمعية العامة، ويجبر على الزواج لصالح الدولة، ويستمر في سكن الثكنات العسكرية،

ويكون على أهبة الاستعداد للاشتراك في كل الحروب الدفاعية والهجومية التي تتعرض لها البلاد.

أسباب فشل النظام التربوي في إسبارطة :

1- عدم الاعتماد على النفس وتوجيهها، وهذا ما عرف عن المجتمع الإسبارطي.

2- قدرتهم على التفكير والتخيل كانت محدودة وأنهم لم يتعودوا على مواجهة المشكلات أو حلها بتعقل، والسبب في ذلك أن الدولة عودتهم على الانصياع للأوامر والطاعة العمياء ورسمت لهم طريق الحياة.

3- الانحلال الخلقي والاجتماعي الذي تفشى في المجتمع الإسبارطي بعد الهزيمة في الحروب.

4- الاقتصار على جانب واحد من التربية، وهو إعداد أفراد امتازوا بالطاعة والولاء للدولة دون الاهتمام بالجوانب الأخرى للتربية.

أما تربية البنات فهي تشبه تربية الأولاد إلا إنهن لا يُقمن في معسكرات أو ثكنات عسكرية، بل كُن يعشن في بيوتهن مع أمهاتهن ويتلقين تدريباً على الألعاب المختلفة، لا سيما التي تتسم بالقوة والسرعة والسباحة ورمي القرص، إضافة لذلك تعليمهن أنواعاً من الرقصات الدينية. وقد تمتعت المرأة الإسبارطية بقسط من الحرية، إذ سُمح لها بمشاركة الرجال في بعض الألعاب والسباقات الرياضية والاختلاط معهم ومشاهدتهم عند تأديتهم للتمارين الرياضية المتنوعة. وكان الغرض من تقوية أجسام الفتيات هو أن الفتاة القوية الجسم تنجب أطفالاً أقوياء ليصبحوا جنوداً أقوياء شجعان يدافعون عن إسبارطة ويحمونها من هجمات الأعداء[104].

---

104 محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج1، ط3، 1968، دار المعارف بمصر،

الفلسفة الرومانية التربوية:

اصدرت الإمبراطورية الرومانية قانوناً كي تصبح المسيحية هي الدين الرسمي، وهذا يعني أن الكنيسة قد أخذت تحتل السلطة العليا، وأصبحت المؤسسة الوحيدة في هذا العصر التي توجه المجتمع، وتحكمه.

وبهذا فإن التربية أخذت طابعاً دينياً وملتزماً كل الالتزام بالمُثل العليا المسيحية أي: إن (الدين المسيحي قد نفخ في التربية روحاً جديدة ووجّه المجتمع توجيهاً جديداً كان من نتائجه أن وجهت العناية إلى السلوك أكثر من العقل وحلّ الترويض الأخلاقي محل الفلسفة الأخلاقية).

أما عن هدف التربية في العصور الوسطى فهو نابع من الظروف الاجتماعية فهدفت إلى خدمة الرب والكنيسة والخلق والنفس، وبهذا يكون للتربية غرضٍ مزدوج يؤكد على مطالب الكنيسة من جهة، ومطالب الحياة من جهة أخرى.

والتربية في العصور الوسطى ثلاثة أنواع جسدية وعقلية وخلقية إلا أن كل هذه الأنواع (التي تميزت العصور الوسطى بها كانت ترويضية وقد كان هدف التربية تحضير الفرد بطرق قاسية. والغاية منها تحضير الفرد إلى العالم الثاني وعدم الاكتراث بهذا العالم الفاني). وهذه الغاية التي ذكرناها نفسها عند الرهبانية لها أهمية كبيرة في تاريخ التربية لسببين:

أولاً: لأن الأديرة كانت المعاهد التهذيبية الوحيدة في الغرب المسيحي في أثناء العصور المظلمة.

وثانياً: لأن التربية في الأديرة تشمل عدداً من الأبحاث الدينية المسيحية وعلومها.

أما نظام التعليم فقد كان تحت إشراف الكنيسة تمثل ذلك في (إشرافها على مدارس الأديرة، ومدارس الكاتدرائيات، وفي قيام رجال الدين بالتدريس في غالبية أنواع المدارس الأخرى التي قامت في العصور الوسطى).

من أشهر الفلاسفة الذين كانت لهم رؤىً تربوية منضوية في طروحاتهم الفلسفية هما: القديس أوغسطين وتوما الاكويني، وسوف نقتصر على دراستهما لأهميتهما بالقياس لغيرهم من فلاسفة العصور الوسطى.

القديس أوغسطين وآراؤه التربوية:

إن غاية الفلسفة عند أوغسطين هي السعادة، والسعادة تأتي بالتقرب إلى اللّه. وإذ نطلب السعادة نطلب اللّه، علمنا بذلك أو لم نعلم. أن تكون أعمالنا وأفعالنا هي الغاية إلى الوصول إلى اللّه، وبهذا يصر أوغسطين على أن (النفس إذا ما بدأت ترقى إلى اللّه فإنها يجب أن تتخلص من شهوات الجسد).

وإن غاية التربية عنده الوصول إلى الإيمان باللّه، لذلك ربط أوغسطين بين العقل والإيمان، فعندما يؤمن الإنسان يصل إلى التعقل فهو يقول آمن كي تتعقل، فإن تربية العقل تأتي بالإيمان باللّه.

يسعى أوغسطين في فلسفة التربية للوصول إلى "مدينة اللّه"؛ لأن السعادة لا تتحقق إلا في الحياة الآجلة أو في الحياة الآخرة.

وأكد أوغسطين على أننا بوساطة الفضيلة نصل إلى مدينة اللّه فمعنى الفضيلة عنده (محبة اللّه واضع النظام والمعين نفسه غاية لنا، وهي تتضمن سائر الفضائل، فهي الحكمة من حيث إنها الوصول إلى قمة الخير، وهي الفطنة من حيث إنها تجعلنا نحذر من كل ما خلا ذلك، وهي الشجاعة

بفضل قوة اتحادنا باللّه وهي العدالة من حيث إنها فوز النظام فهو يهتف طوال حياته المجد مدينة اللّه الذي يقابله سقط المتاع في مدن الناس، مدن أهل الدنيا).

أكد أوغسطين على حرية الإرادة (فاللّه خلق الكائنات العاقلة، خيّرها بما في ذلك الشيطان وأعطاها حرية الإرادة. والمخلوقات حرة الإرادة هي المسؤولة عن كيفية استعمالها لحريتها. وقد نتج الشر عن عدم اختيار المخلوق للخير. أي: عن إساءة استعمال المخلوق لحرية الإرادة الممنوحة له)، وبهذا فإن الشر هو الابتعاد عن اللّه كما أن الخير هو اتحاد الإنسان مع اللّه.

القديس توما الاكويني وآراؤه التربوية:

فلسفته قائمة على اللاهوت فنجد في فلسفته رؤىً تربوية فهو يحث الإنسان المؤمن على الأعمال الحسنة، والفضيلة، والخير لكي يصل إلى محبة اللّه، فبمحبة اللّه يصل الإنسان إلى السعادة، فهو يؤكد (السعادة الكاملة القائمة كلها برؤية اللّه وهي لا تتحقق إلاّ في الحياة الآجلة. أما في الحياة العاجلة فالسعادة الميسورة لنا سعادة ناقصة تقوم أولاً على أصالة بمعرفة اللّه ومحبته، وثانياً بمزاولة الفضائل، وأخيراً بصحة الجسم وبالخيرات الخارجية إن أمكن من مال وكرامة، تُستخدم كوسائل للحياة الفاضلة).

وهذا يعني أن السعادة عند توما الاكويني هي الوصول إلى اللّه فيقول (أجل إننا نسعى نحو الخير والسعادة، ولكن الناس يختلفون في معرفة حقيقة هذه السعادة، فمنهم من يظنها الثروة، ومنهم من يظنها اللذات، ومنهم من يظنها اللّه، فليس بصحيح إذن أن مجرد وجود الرغبة في السعادة يؤدي بضرورة الإيمان بوجود اللّه).

أخيراً، نستطيع القول إن التربية في العصور الوسطى ارتبطت بالدين، وإن الإنسان الخيِّر هو الإنسان المؤمن الذي يعرف طريق اللّه، عبر ربط العقل والإيمان والتأكيد على أن الإنسان العاقل هو الإنسان المؤمن والعكس صحيح، فضلاً عن ذلك نجد أن التربية تتحرك باتجاه الآخرة. فكلما تخلص الجسد أو الإنسان من ملذات الدنيا الفانية ونظر إلى السماء كان أقرب إلى الحق والخير وأقرب إلى الكمال وأقرب إلى اللّه[105].

105 عبده فراج: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، (فلسفة إسلامية ومسيحية). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 196، ص33.

الفصل الرابع

مقدمة :

إن المستقرئ لما ألّفه الفلاسفة والمفكرون في مجال التربية قديماً وحديثاً، يستدعي انتباهه إلى أن التربية عملت على أن تكون لها منطلقاتها الفكرية التي تعتمد عليها منذ الفلسفة اليونانية إلى الفلسفات المعاصرة. غير أن المشتغلين بها يطلقون على تلك المنطلقات مصطلحات قد تبدو لقارئها من الوهلة الأولى على أنها مترادفة يمكن أن يحل أحدها مكان الآخر، ذلك الذي نلاحظه عند الكثير من المشتغلين بالتربية حتى في عالمنا العربي، إذ يعبرون عنها بمصطلحات متنوعة من قبيل (الفكر التربوي، فلسفة التربية، التربية والفلسفة، النظرية التربوية).

ولا شك في أن ضبط المفاهيم المتعلقة بالمصطلحات التربوية وأبعادها المختلفة، يشكل أبجدية الوعي التربوي، والحجر الأساسي لكل بناء فكري أصيل في مجال التربية. فإدراك المفاهيم الأساسية في مجال أي علم من العلوم يضمن للباحثين نجاحهم في مسيرتهم العلمية، ويجعلهم قريبين من امتلاك الحقيقة العلمية بآفاقها النقدية في تجاربهم المعرفية اللاحقة.

وعلى خلاف ذلك فإن غياب التأسيس لمرحلة ضبط المفاهيم المركزية للاختصاص، يؤدي لاحقاً إلى هشاشة معرفية، وإلى معرفة مضطربة تفتقر إلى الطابع العلمي الدقيق.

وتأسيساً على هذه الحقيقة، نقدم في هذا العمل رؤية منهجية لمفهوم فلسفة التربية، وعرضاً ميدانياً لواقعها في النظم التربوية العربية، يبدأ بضبط

مفهوم التربية وعلاقته بالمصطلحات المتجانسة، في سياقه الفكري وتجلياته الفلسفية، وفي نفق هذا الترحال الممنهج.

تستوقفنا إشكالية التداخل بين مفهوم فلسفة التربية وبعض المفاهيم المجاورة لها، على غرار النظرية التربوية، والتي نعتقد أن ضبطها ضروري، لكسب متانة معرفية في المجال الذي نحن بصدده، والسير بخطى ثابتة في طريق هذا العمل، حتى تتضح الأهداف المرجوة، ثم نلقي نظرة تحليلية نقدية لواقع فلسفة التربية في البلاد العربية.

لا يمكننا التحدث عن الفلسفة التربوية في البلاد العربية بدون ذكر أحد أهم روادها:

فلسفة التربية عند ابن طفيل:

بطبيعة الحال لا يمكن الحديث عن الأبعاد التربوية في فلسفة ابن طفيل إلا في إطار فلسفته المتميزة والتي جاءت في قالب قصصي قدمه ابن طفيل بطريقة عقلانية، فابن طفيل الفيلسوف المسلم أعطى الجديد للفكر البشري ليس على صعيد الفلسفة فحسب، بل على صعيد تربية الإنسان ونشأته أيضاً، وهذا من خلال قصته التربوية والفلسفية "حي بن يقظان"، حيث حدد مذهباً تربوياً خاصاً، كما حدد من خلال ذلك المذهب مراحل وأشكالاً للتربية، بالإضافة إلى نظريته المعرفية، وهذا ما سنحاول أن نسلط عليه الضوء في هذا الفصل من خلال التعمق في فلسفة ابن طفيل التربوية.

المذهب الطبيعي في فلسفة ابن طفيل التربوية:

يمكن تحديد المذهب التربوي أو المدرسة التربوية التي ينتمي إليها فيلسوفنا، وذلك من خلال الكشف عن طبيعة تلك التربية وما تميزت به، إذ تعد تربية ابن طفيل لتلميذه "حي" تربية طبيعية، حيث تركه في أحضان الطبيعة وتركها وحدها تعمل على تنشئته وتربيته الطبيعية بمعناها الواسع ومجالاتها المختلفة، أي بما تتضمنه هذه الأخيرة من مكونات أو عناصر طبيعية، كالتراب والهواء والماء والحيوانات المختلفة، وخاصة الظبية الأم، حيث اكتشف أن الطريق الوحيد لخلاص المجتمع

والإنسان على السواء يكمن في العودة إلى الطبيعة، تلك الطبيعة التي ستكفل

للإنسان تحقيق ماهيته، وبالتالي الغايات القصوى التي وجد من أجلها.

نلاحظ هنا أن المذهب التربوي الذي ينتمي إليه ابن طفيل هو الاتجاه الفلسفي الطبيعي، حيث شكلت الفلسفة الطبيعية في التربية اتجاهاً مخالفاً للمدارس الفلسفية التربوية الأخرى، وإذا ارتبط هذا الاتجاه الفلسفي الطبيعي بالنسبة للمتأمل في كتاب الفيلسوف ابن طفيل المعروف بحي بن يقظان الذي كان له تأثير كبير في الفلسفة الإسلامية، نجد ملامح هذا الاتجاه واضحة لديه، ولهذا لا يمكننا إهمالها.

ويمكن تحديد مفهوم الفلسفة الطبيعية على أنها " تعني أنها نظام يرى أن الطبيعة وحدها ولا شيء سواها، هي الحقيقة في هذا الكون، وأن الحياة الإنسانية جزء منها، والفلسفة الطبيعية تستبعد كل ما هو سامٍ روحاني يتفوق على العقل والطبيعة والإنسان والخبرة والفلسفة ".

وترجع الفلسفة الطبيعية إلى مذهب فلسفي قديم حتى قبل تأسيس الفلسفة اليونانية، فقد ظهرت مدرستان طبيعيتان قبل ظهور سقراط وأرسطو، والمدرسة الطبيعية الأولى التي ضمت أربعة فلاسفة وهم: طاليس، انكسمندر، انكسمانس، وهيرقليطس. وكانت فلسفتهم تدور حول تفسير الطبيعة بالاعتماد على مبدأ طبيعي واحد، وكان هدفهم من ذلك رد الكثرة والتنوع في الطبيعة إلى مبدأ طبيعي واحد. إلا أن هذه النزعة امتزجت بالديانات السماوية كما هو الحال عند ابن طفيل، وبذلك فإن اتجاه الفلسفة الطبيعية في التربية يذهب إلى الإيمان بأن للطفل قدرات فطرية عند ولادته بإمكانه أن يطورها منعزلاً مثل ما هو الحال بالنسبة لحي بن يقظان، وبإمكانه أن

ينمو نمواً طبيعياً بدون تدخل المجتمع، وإذا أردنا أن نعرض طبيعة التربية

عند ابن طفيل، فهذا الأخير يرى أن التربية تتسم بالطابع الطبيعي، إذ يرى أن نشأة الإنسان تخضع في تطورها لعوامل طبيعية من البيئة، وأن لا يتعلم أمراً ما إلا إذا تعلم أمراً آخر سابقاً عليه بالضرورة، ثم إن التربية الاجتماعية تربية مصطنعة لا توافق طبيعة البشر، ولو أن البشر تُركوا ينشؤون نشأة فطرية (كالتي نشأ عليها حي بن يقظان) لكانت حالتهم العقلية أعلى وأرقى مما هي عليه اليوم، أي أن التربية هنا تخضع لما يمكن أن نسميه التدرج في التعليم، بالإضافة إلى رؤية ابن طفيل في النشأة الفطرية، والتي رأى أنها ترتقي بالعقل، كما أن الملاحظ هنا أن ابن طفيل أراد أن يؤكد أن عقل الإنسان البعيد عن تأثير البيئة الاجتماعية يستطيع أن يرقى الرقي الطبيعي المستقل، إذ يعتبر الإنسان ذو الفطرة الفائقة، ويرى في الدرجة الأولى أن الإنسان إذا نشأ نشأة طبيعية كان أقوى من الذين ينشؤون نشأة اجتماعية.

نلاحظ أن مذهب ابن طفيل التربوي مذهب طبيعي، إذ إن ابن طفيل اهتم بالتربية الطبيعية قبل جان جاك روسو وأمثاله، ويقوم هذا المبدأ على ترك الفرد يتعلم من خلال تفاعله مع البيئة الطبيعية، وهذا التفاعل سيؤدي إلى اكتساب الفرد الخبرات العميقة وطويلة الأثر التي لا يمكن أن ينساها أو يفقدها.

إذن تربية ابن طفيل تربية طبيعية، وهذا من خلال ترك حي للطبيعة والتي كانت بالنسبة لحي الكتاب والمختبر والمعلم والمربي، كما كانت تمثل له الحافز والمحرك في تفكيره، وفي الوقت نفسه كانت منطلقاً وغاية، حيث وفرت له كل ما يحتاج إليه لنموه في الاتجاه الذي أراده ابن طفيل، إذ لم يحتج حي لشيء غير تكملة لنموه وإتمام لتنشئته في شتى مجالات النمو والنماء لشخصيته.

مستويات التربية الطبيعية التي أعطاها ابن طفيل في مذهبه التربوي:

تمثلت هذه المستويات في مرحلتين من التربية الطبيعية؛ حيث نرى أن التربية التي ترباها حي كانت تربية طبيعية أولاً، لأن حي ترعرع في كنف ظبية، عُنيت بأموره، ولا سيما قبل أن يصبح قادراً على المشي وهي طبيعية ثانياً، لأجل ما تعلمه كان نتيجة احتكاك بالبيئة الطبيعية لتلك الجزيرة التي حملته أمواج البحر إليها.

لقد قدم ابن طفيل للتربية الطبيعية مستويات، إذ تمثلت هذه الأخيرة في مرحلتين، وهما المرحلة الطبيعية الخالصة، والمرحلة الطبيعية الذاتية، في حين يمكننا أن نرى في المستوى الأول أن التربية طبيعية خالصة، والمستوى الثاني تربية طبيعية ذاتية، كما سنرى في تفصيل المستويين:

المستوى الأول: تمثل في المرحلة الطبيعية الخالصة:

تتميز هذه المرحلة بأن حيّاً قضاها في كنف الظبية، فهي التي كانت تعنى بأموره، وتحنّ عليه، ولعلنا لن نتمكن من تصوير تلك الحياة كما أراد ابن طفيل تصويرها، يقول:، "إن الظبية التي تكفلت به، وافقت مرعىً خصباً، فكثر لحمها، ودرّ لبنها، حتى قام بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام، وكانت معه لا تبعد عنه إلا لضرورة المرعى، وألف الطفل تلك الظبية، حتى كان بحيث إذا هي أبطأت عليه، اشتد بكاؤه، فطارت إليه"، ولم يكن بتلك الجزيرة شيء من السباع العادية، فتربى الطفل ونما واغتنى، بلبن تلك الظبية، إلى أن تم له حولان، وتدرّج في المشي وأثغر، فكان يتبع تلك الظبية، وكانت هي ترفق به وترحمه، وتحمله إلى مواضع فيها شجر مثمر، يبيت معها حيث بيتهما.

وما زال الطفل مع الظباء على تلك الحال، يحكي نغمتها بصوته، حتى لا يكاد يفرق بينهما، وكذلك كان يحكي جميع ما يسمعه من أصوات الطير ...... فألفته الوحوش وألفها، ولم تتنكر له ولا أنكرها.

في هذه المرحلة إذن نجد أن ابن طفيل قد أكد على المستوى الأول للتربية الطبيعية، إذ كان فيها حي معتمداً اعتماداً كلياً على الظبية الأم في إشباع رغباته البيولوجية، وعدم قدرته على وعي ما يحيط به من مجال طبيعي، كما نجد في هذه المرحلة التربوية تعلم حي لغة الحيوانات التي ألفها.

الملاحظ هنا في هذا النص من قصة حي بن يقظان، أن التربية التي ترباها كانت تربية طبيعية خالصة يكون فيها خاضعاً للطبيعة دون أدنى تأثير فيها بمعنى مجرد مقلد، بحيث إنه ولد في جزيرة ولم ير أباً ولا أماً، وإنما منحته الطبيعة غزالة أو ظبية تولت أموره وإرضاعه وتغذيته.

المستوى الثاني: تمثل في المرحلة الطبيعية الذاتية:

إذ كانت المرحلة الأولى مرحلة التطبع السلبي بالبيئة الطبيعية، فإن المرحلة التالية هي مرحلة استرداد الذات استرداداً إيجابياً، في سبيل تأمل حوادث البيئة الطبيعية، والتوصل إلى فهمها فهماً عميقاً، والحقيقة أن نفسه أصبحت تعمل على إخضاع البيئة الطبيعية لها، بعد أن كانت خاضعة لها خضوعاً تاماً، ولهذا كان اتجاه التربية الطبيعية هنا ذاتياً. نلاحظ هنا في المستوى الثاني من التربية الطبيعية أن حي بدأ يسترد ذاته، أي يتحرر ويعتمد على نفسه، وذلك من خلال احتكاكه بالطبيعة وتأمله في الظواهر التي تحدثها.

وبمعنى آخر أنه في هذه المرحلة بدأ يشب فيها ويترعرع وزاد وعيه، لذلك توجه إلى النظر لما حوله، وبدأ يبحث في الظواهر الكونية وسرّ تغييرها وانتهى إلى أن وراءها أسباباً خفية.

مراحل وأشكال التربية عند ابن طفيل:

من خلال القراءة المتأنية لقصة حي بن يقظان لابن طفيل ستجد فيها أبعاداً تربوية واضحة، وهذه الأبعاد تتمثل في المراحل العمرية التي وضعها ابن طفيل، وأيضاً أشكال التربية عنده، حيث إنه قسم حياة حي إلى مراحل، كما أنه حدد أشكالاً للتربية، وهذا يكشف لنا أن ابن طفيل كان مربياً ومثّل لنا التربية بعينها، وعلى ضوء هذا سنقوم بإبراز هذه المراحل والأشكال عنده، ومن هنا نتساءل ماهي أهم المراحل التي حددها وفيمَ تتمثل أشكال التربية؟

المطلب الأول:

المراحل العمرية للتربية عند ابن طفيل: يقسم ابن طفيل مراحل نمو الفرد إلى سبعة أدوار، وكل دور منها مدته سبع سنوات.

المرحلة الأولى: من سن الميلاد إلى السنة السابعة، حضانة الظبية للطفل حي ورعايتها له، في هذه المرحلة نلاحظ أن الظبية هي من تكفلت بالطفل حي حتى بلغ سن السابعة، يقول ابن طفيل "إن الظبية التي تكفلت به إلى أن تم له حولان وهو قد قارب سبعة أعوام .... وفي خلال ذلك ترعرع وأربى بمعنى زاد على السبع سنين".

المرحلة الثانية والثالثة: من سن السابعة إلى الحادية والعشرين. في هذه المرحلة بدأ يتعلم بعض الظواهر مثل معرفة منافع النار والربط بين حرارتها وبين الحياة، وأن الحياة موجودة في الكائنات جميعها.

المرحلة الرابعة: من سن الحادية والعشرين إلى الثامنة والعشرين. يبدأ بإدراك العالم الطبيعي وخصائصه.

المرحلة الخامسة والسادسة: من الثامنة والعشرين إلى الخامسة والثلاثين، يتعرف فيها إلى الكون الخارجي أي أسماء وحركات الكواكب وأنها أجسام كروية الشكل.

المرحلة السابعة: من الخامسة والثلاثين إلى الخمسين سنة، ويستمر هذا الدور إلى الخمسين ويبلغ أشده في سن الأربعين من عمره، وفيه يتعرف إلى اللّٰه عزّ وجلّ.

يعد تقسيم ابن طفيل لعمر الإنسان إلى مراحل من أهم التطبيقات التربوية، بحيث يعتبر هذا التقسيم لأدوار حياة الفرد لما يسمى في وقتنا الحاضر علم نفس النمو، كما أن تحديده لكل مرحلة من حياة الإنسان لعدد متوازٍ من السنوات، فهذا يعود إلى اهتمامه بالفلسفة التربوية وعلم النفس والنمو في مراحل تطور الإنسان، ومن خلال هذه المراحل التي رسمها ابن طفيل يمكن إبراز الفلسفة التربوية أو الأبعاد التربوية عنده، فهو يرى أن العملية التربوية تتمحور في الإنسان، وذلك من خلال تطوره في جميع حياته، وهنا تتشكل عنده التربية من خلال أشكالها، وهذا ما سنتطرق إليه في أشكال التربية، وعلى ضوئها نتساءل فيمَ تتمثل أشكال التربية عند ابن طفيل ؟

أشكال التربية عند ابن طفيل:

بعدما تطرقنا لمراحل التربية عند ابن طفيل وعرفنا أهم المراحل التي مر بها "حي" سنقوم بعرض أشكال التربية عنده، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: كيف استطاع "حي" أن يبلغ كل تلك المراحل، ويبلغ الغاية التي وضعها له ابن طفيل؟

لتوضيح كيف بلغ حي تلك المراحل نلاحظ أن ابن طفيل قد وفر الشروط اللازمة والظروف وكأنه كان يدرك أن لكل مرحلة حاجاتها ومقوماتها،

وهذا من خلال النظر إلى شخصية الإنسان كوحدة متكاملة لها أبعادها: أي النظرة للإنسان، حيث يولد هذا الأخير مزوداً بطاقات واستعدادات فطرية متى توفرت الظروف والشروط الموضوعية (الحاجات الأساسية لنموها ونمائها).

من الضروري أن تتجه نحو غرضها الطبيعي التي خلقت من أجله. نرى أن ابن طفيل من حيث المنطلق قد وفر الشروط، وهذا من خلال رؤيته إلى أن:

الجسد: يحتاج بالضرورة إلى الغذاء والكساء لينمو، ويؤدي الوظيفة التي وجد لأجلها فتنمو هذه الحاجات وتتأكد مع نمو الجسد.

العقل: استعداد فطري من طبيعة النزوع للبحث عن المعرفة والنمو الدائم لتحصيل ما لم يسبق له تحصيله.

العواطف والانفعالات: تتكون نتيجة الخبرات والتجارب والعلاقات الناشئة بين الفرد (البيئة الداخلية) والمحيط الخارجي.

البعد النفسي: الأمن، العاطفة (الحنان) البقاء وغيرها من الحاجات النفسية، كلها لم يسقطها ابن طفيل من حسابه في تربية حي.

من خلال هذه المنطلقات السابقة الذكر نستطيع تحديد أشكال التربية عند ابن طفيل. تتمثل أشكال التربية في: التربية الجسمية والعقلية، والتربية العملية كما يلي:

التربية الجسمية والعقلية: التربية الجسمية تبدو واضحة من خلال تلبية الظبية لحي وإرضاعه من لبنها وتأمين القوت له كي ينمو ويترعرع، يقول ابن طفيل: "حتى قامت بغذاء ذلك الطفل أحسن قيام". ويقول أيضاً: "فتربى الطفل ونما، واغتنى بلبن تلك الظبية .... فكانت تطعمه ما تساقط ....

ومتى عاد إلى اللبن أروته، ومتى ظمئ إلى الماء أروته". نلاحظ هنا عناية الظبية بالطفل وتوفير شروط الغذاء لنماء الجسم، ومن خلال هذا يمكن القول بأن حي قد توفرت له الشروط الأساسية لتقوية بنيته الجسمية، وخاصة أنه كان في مرحلة من العمر بحاجة إلى من يهتم ويعتني به سواء من حيث الغذاء أو الكساء أو الحماية وهذا من أجل الوصول إلى مبلغ الكمال.

الفلسفة التربوية في جمهورية مصر العربية:

ترتبط نشأة التعليم في مصر بتولي محمد علي باشا حكم البلاد عام 1805. وعلى الرغم من أطماع الاستعمار، والتحديات السياسية والاجتماعية التي عرفتها مصر آنذاك، إلا أن حكمه يعتبر بداية لبناء مصر الحديثة. وأدرك محمد علي أن بناء قوة اقتصادية وعسكرية تصد المستعمرين، تقتضي إصلاح التعليم، وقد حدد هدفه في تكوين الأفراد العاملين بالجيش ودواليب إدارات الدولة. فبدأ بتشييد المدارس التعليمية العالية، ثم انتقل إلى إنشاء المدارس التجهيزية، ثم إلى المدارس العامة. أي أنه أنشأ النظام التعليمي مقلوباً، لأنه كان في حاجة ماسة للأفراد المتخصصين المطلوبين في الأعمال العسكرية والإدارية.

غير أن التعليم في مصر لقي إهمالاً كبيراً، خصوصاً بعد وقوعها تحت سيطرة الاحتلال البريطاني، حيث تم تسيير التعليم برؤية إنكليزية وبمصلحة استعمارية. إلى أن صدر دستور 1923 الذي يشكل علامة بارزة على طريق الاستقلال، وكان له صداه في مجال التعليم، فأصبح له قوانين تنظمه، وبأن التعليم الأولي إلزامي لكل المصريين بنين وبنات، وهو مجاني في المكاتب العامة، وتبعاً لذلك ظهر اهتمام شعبي بإصلاح التعليم في مصر، وصاحبه رعاية المسؤولين الوطنيين، حيث تم تكليف كل من الخبيرين الأجنبيين "كلاباريد" و"مان" بدراسة أحوال التعليم هناك، وكان من أهم ما جاء في تقريرهما:

1- الأخذ التدريجي بلا مركزية الإدارة التعليمية، وخاصة في ما يتعلق بالتعليم الابتدائي.

2- إعطاء الإدارة المدرسية والمعلمين الحرية في الإدارة والتعليم.

3- تطوير نظم الامتحانات والمناهج الدراسية.

4- تطوير نظم إعداد المعلمين والاهتمام بتدريبهم أثناء الخدمة.

من هنا شق التعليم في مصر طريق الإصلاح، لكنه واجه في طريقه اتجاهين رئيسيين يتنازعان، وهذا بعدما تم الإقرار بمجانية التعليم، وتوحيد مناهج مدارس المرحلة الأولى عام 1949، ثم إدماج المدرستين الأولية والابتدائية تنفيذاً لقانون التعليم الابتدائي. فالاتجاه الأول اهتم بالتعليم من حيث الكم، ومثله مفكرون من أمثال أحمد لطفي السيد "وتلميذه طه حسين" الذي نادى بمجانية التعليم، ورفع شعار التعليم كالماء والهواء حق لجميع، واتجاه آخر يدعو إلى الاهتمام بنوعية التعليم وتطوير وسائله، فلم يكن يولي اهتماماً كبيراً بالكم فيه بقدر ما اهتم بنوعيته، ودافع عن هذا الاتجاه مفكرون ورجال تعليم مصريون من أمثال إسماعيل محمود القباني على الرغم من أنه ألح على التوسع في التعليم الابتدائي، باعتباره حجر الزاوية في السياسة التعليمية المصرية، ودعا إلى أن يكون تعميم التعليم الابتدائي كبداية، أي أن يكون مجانياً وإلزامياً ومفتوحاً. وتحققت فعلاً مجانية التعليم وشمل كل المناطق من مدن وأرياف، وهذا بعد ثورة يوليو 1952، والتي أفضت إلى حركة إصلاحية كبرى، فتوحدت المؤسسات التعليمية الابتدائية، وأصبح إلزامياً وموصولاً بمراحل تعليمية عامة، ويشمل كل أبناء الشعب المصري. غير أن تلك الإصلاحات ظلت مرتبطة بشخصيات سياسية دون استراتيجية هادفة ومستقبلية، فكلما بدأ وزير ما عمله بإحداث عملية الإصلاح، تتوقف أو تتغير إذا ما حل وزير آخر محله، حيث يباشر إصلاحاً جديداً ويقطع الصلة بإصلاح سابقه حتى وإن ما زال قائماً ولم تكتمل نتائجه.

لكن عندما هزمت مصر في حرب 1967 مع إسرائيل، راجعت سياساتها التعليمية وأعادت الاعتبار الكافي لجانبه، وبدأ الاهتمام بنوعية التعليم، في مناهجه وطرقه وأهدافه. كما حدد القانون الذي صدر عام 1968، الهدف الرئيسي منه والمتمثل في تكوين المتعلم تكويناً عاماً في مستويات متتالية من النواحي العقلية والجسمية والخلقية والاجتماعية والقومية. أي إعداد المواطن الاشتراكي المدرك لواجباته نحو أسرته ووطنه، وأن يكون صالحاً للعمل الذي يلائم استعداداته وقدراته ومستواه الدراسي، ليكون عنصراً منتجاً في المجتمع الذي يعيش فيه، وعملت مصر في أواخر القرن الماضي على بناء استراتيجية متكاملة للتعليم، حيث عقد المؤتمر القومي التعليمي عام 1986، وشارك فيه جميع ممثلي قطاعات المجتمع بمختلف أطيافه، وانتهى بتوصيات محددة، قدمت في وثيقة استراتيجية تطوير التعليم في مصر. ومن الأهداف التي تم تحديدها نذكر:

1 - تحقيق ديمقراطية التعليم.

2 - وتحديث التعليم العام.

3 - والتوسع في التعليم المهني والفني.

4 - وتحسين قدرات المعلمين وإعدادهم قبل الخدمة.

وفي ضوء هذه الاستراتيجية، تم إنشاء مركز التطوير التكنولوجي، وتم ربطه بالمحافظات، واستخدمت أساليب التعليم عن بُعد، وحقق هذا المركز نجاحات متميزة، وساعد في ذلك توظيف القنوات الإعلامية واسعة الانتشار في مصر، فشكل ما يعرف بالإعلام التربوي[106].

---

106 محمد سلمان الخزاعلة واخرون، تطور الفكر التربوي، دار صفاء للطباعة والنشر، ط 1، 2012، ص 9.

والمتفحص لمسيرة التعليم في مصر، يجد أن جميع الإصلاحات التي عرفها، كانت معبرة عن وعي المربين ورجال السياسة بدور التربية في إيقاظ المجتمع من سباته ودفعه نحو التطور الحتمي. على الرغم من أن أغلب تلك الإصلاحات لم تعرف الاستقرار حتى تؤتي أكلها، إذا ما إن تبدأ ترجمة رؤاها على أرض الواقع حتى يتم تغييرها بمجرد استبدال السياسيين القائمين على شؤون التعليم، ولعل ما أشرنا إليه من جهود إسماعيل القباني الذي بدأ يرسم أهداف التربية العامة وفق المنظور البراغماتي، وبدأ يترجمها في المدارس النموذجية التي أنشأها في الريف المصري، حتى إزاحته من على رأس وزارة التعليم، وبدأت سياسة أخرى غيرت الأهداف التي رسمتها المدرسة التقدمية في مصر على الرغم من نجاحه.

وعلى الرغم من ذلك التغيير في الأنظمة التربوية والمرتبط بالتحولات في السياسات العامة للدولة، إلا أن ملامح الأهداف التربوية التي رسمتها أغلب الإصلاحات المتوالية حتى نهاية القرن الماضي، تؤكد الأهداف على تنمية الأفراد على التفكير العلمي، وإعدادهم لتقبل التغيير، والإسهام الإيجابي في الإعداد له، وفي إحداثه التأكيد على استخدام الأساليب التعليمية الجديدة، لتحل محل أساليب الحفظ والتلقين، للوصول إلى ثقافة الإبداع والتأكيد على تكوين المعلمين الذين يسهمون بخبرتهم في تجديد التربية، لكن لا تبقى لهم المركزية في التعليم.

فلسفة التربية في بلاد الشام:

إبان عهد دولة المماليك البحرية (659-748 هـ / 1260-1347م)، لا بد من الرجوع أولاً إلى الجذور الأولى لهذا الواقع فيها وما اكتنفه من متغيرات عبر العصور التاريخية التي سبقت حقبة الدراسة ليتسنى في ضوء ذلك تقييم ما كان عليه الأمر فيها. لقد ارتبط بهذه البلاد منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد اختراع أول أبجدية في التاريخ، وهي التي دونت بأحرفها الآداب الآرامية. يدلل على ذلك، رسم عثر عليه يرجع تاريخه إلى سنة 730 ق. م، ويمثل كاتباً يدوّن الآرامية بيده. وقد كانت لبلاد الشام خلال الفترة الممتدة، من عام 333 ق.م -635 م، أي منذ عهد الإسكندر المقدوني، وحتى دخولها في الإسلام، إسهامات حضارية في مجال الفن والفكر والأدب انعكست في أنشطة الفنانين والمفكرين والأدباء التي كانت تشهدها المدارس والأندية والحمامات، وأماكن الرياضة الأخرى.

جاء دخول بلاد الشام في إطار الدولة العربية الإسلامية في العهد الراشدي وما طرحه الدين الجديد من مفاهيم وقيم عن التربية والتعليم، ليخلق حالة من الانسجام العقائدي والفكري والاجتماعي، كان لها أثرها الكبير في دفع حركة التعليم والحركة الثقافية العامة فيها، وقد كان من أهم معطيات تلك الحقبة تحديد وجهة التربية والتعليم وأهدافهما.

دخلت بلاد الشام ضمن نطاق الدولة الإسلامية سنة 14 هـ -/ 635 م، بعد معركة اليرموك إبان عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ (13-23 هـ -/ 634-643 م).

وقد عمل ذلك على خلق تحول نوعي في مجال التعليم. ويمكن إرجاع ذلك إلى عاملين أولهما أن خروج الصحابة من المدينة المنورة، إلى الأمصار مع جيوش الفتح، ترك أثراً كبيراً في انتشار العلم وظهور تقاليد علمية عبر قرون طويلة، مما ترك آثاراً عميقة في اتصال وتنامي الحركة العلمية في أنحاء العالم الإسلامي، وفي توحيد الآداب والمناهج، والتقريب بين العلماء. وثانيهما أن الخليفة عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - اعتبر التعليم من مسؤوليات الولاة في الأمصار، حيث جاء في خطبة له قوله: "اللهم إني أشهدك على أمراء الأمصار، فإني بعثتهم يعلّمون الناس دينهم وسنة نبيهم". أي أنه دعم جهود الولاة بإرساله العلماء من المدينة يحملون وصاياه، فقد أرسل معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء إلى الشام لحاجة أهلها لمن يعلمهم القرآن الكريم[107].

كما أرسل عبد الرحمن بن غُنم لتعليم أهل الشام القراءة، وأمر بإقامة مسجد في كل مدينة فتحت في بلاد الشام لتعليم الناس أمور الدين. وقد حظيت بلاد الشام باهتمام ملحوظ من الخليفة، حيث زارها ثلاث مرات بعد الفتح. وأوعز لقادة الجيش الإسلامي الطلب ممن أسر في بلاد الشام وكان يجيد الكتابة تعليمها للمسلمين مقابل فك أسرهم.

وقد استمر هذا الاهتمام في عهد الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ -/ -643 655 م)، وبخاصة مع وصول مصحف عثمان إلى بلاد الشام. يؤيد ذلك أن أهل الشام رفعوا خمسمئة نسخة في معركة صفين، التي وقعت سنة 37 هـ - / 657 م؛ أي بعد عشر سنوات من نسخ المصحف وتوزيعه على الأنصار، وقد انتشرت القراءة العثمانية في بلاد

107 عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تقديم سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، ط 1، 2002 ء، ص 20.

الشام على يد عبد الله بن عامر اليحصبي، حتى سميت القراءة الشامية، وقد شهدت بلاد الشام خلال العهد الأموي تقدماً كبيراً في مجال التربية والتعليم، بسبب قربها من مهد الرسالة، وانتشار العرب فيها قبل الإسلام على نطاق واسع، إضافة إلى الأهمية الدينية التي حظي بها بيت المقدس، والأهمية السياسية التي اكتسبتها دمشق بعد أن أصبحت مركز الخلافة بين سنتي 41- 132 هـ . / 661 - 750 م.

ثم الأهمية العسكرية لبلاد الشام؛ كونها بلد المواجهة الأول بين المسلمين والروم.

إن هذا ما دفع بمؤسسات التربية والتعليم في بلاد الشام إلى أن تتخذ مسارات متميزة. فقد ظهر فيها نظامان للتربية، أحدهما للعامة، والآخر للخاصة، وكانت مؤسسات النظام الأول المساجد والكتاتيب والرُّبط وبيوت الشيوخ، أما النظام الثاني فكان مقتصراً على قصور الخلفاء والأمراء وكبار رجال الدولة. ومما يثبت تقدم حركة التعليم والتعلم في بلاد الشام أنها سبقت غيرها من الأقطار في ظهور بوادر للاهتمام بعلم الكيمياء، وهو ما أطلق عليه اسم علم الصنعة. وقد كان خالد بن يزيد بن معاوية أول رواد هذا الميدان، كما اشتهر في علم الطب عدد من الأطباء خلال العهد الأموي كالحارث بن كلدة، وأبي الحكم الدمشقي وابن أثال، ولعل هذا ما دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز إلى نقل تدريس الطب من الإسكندرية في مصر إلى أنطاكيا وحران في بلاد الشام.

وقد برز في هذه البلاد خلال العهد الأموي عدد من الإخباريين الذين اهتموا بأخبار الجاهلية وسيرة الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ــ، وينطبق الحال ذاته على العلوم الدينية كالقراءات والحديث وعلم الفقه

والخطابة. أما في مجال التفسير فقد ظهرت في بلاد الشام مدرسة تميزت بعدم التشدد، وعدم الخوض في مسائل الكلام.

بعد سقوط الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية، وانتقال عاصمة الخلافة من دمشق إلى بغداد، تطورت الدراسات اللغوية والعلمية والفلسفية في العصر العباسي الأول. وأفرز ذلك، بروز تيارين داخل الثقافة العربية الإسلامية؛ تيار النقل، وتيار العقل، انتشر أولهما بين أبناء العامة ممن استأثرتهم الدراسات الدينية، وانتشر ثانيهما بين أبناء الخاصة الذين تزودوا بثقافة واسعة في مجال الدين واللغة والأدب والعلوم. وقد اتسعت هذه الفئة لتضم أبناء الإقطاعيين وكبار الموظفين والإداريين والعسكريين مما أدى إلى تضخم تيار العقل واحتكاكه مع التيار الآخر. وقد كان لبلاد الشام نصيب في هذا فقد برز العديد من العلماء الذين أسهموا في هذه الحركة في بلاد الشام ومنهم، جمال الإسلام، أبو الحسن السلمي (ت 500 هـ -/ 1106 م).

كما كان لهؤلاء العلماء دور بارز في التصدي للغزو الصليبي لبلاد الشام من خلال رفع المعنويات للشعوب في تلك المنطقة وحضها على الجهاد، وإرسال الوفود التي تضم الشخصيات العلمية لمقابلة الخليفة العباسي، والسلطان السلجوقي وحضهم على المشاركة في الجهاد. وهذا يدلل على وجود حركة علمية مثّلها العلماء في بلاد الشام، مما يدحض النظرية التي تقول إن بلاد الشام منذ سقوط الدولة الأموية، وحتى بداية سلاجقة الروم كانت الحياة الفكرية فيها شبه معدومة لولا عصر الإمارات التي قامت في أنحاء متفرقة منها.

وأبرز هذه الإمارات، الإمارة التي أقامها سيف الدولة في حلب، والتي

أبرزت الفكر العربي في مختلف مجالاته. ومع قيام دويلات الاتابكة في بلاد الشام، برز عماد الدين زنكي (521-541 هـ -/ 1127-1146م) ثم ابنه نور الدين محمود (541 - 570 هـ/ 1146 - 1174 م) اللذان اهتما بالجوانب الثقافية والعلمية والدينية إسناداً لسياستهما في التصدي للإفرنج الصليبيين. وبعد تسلّم نور الدين زنكي الحكم أصبحت بلاد الشام في عصره مقراً للعلماء. وقد بالغ ابن قاضي شهبة في تصوير ذلك فقال: "حتى إن بلاد الشام كانت خالية من العلم وأهله، وفي زمنه صارت مقراً للعلماء والفقهاء والصوفية، وبنى الجوامع في أغلب البلاد كما شهدت بلاد الشام في العهد الزنكي انبعاث نهضة علمية، شملت مختلف الفنون من طب وتاريخ وجغرافية ودين وفلسفة وحساب ولغة وتصوف. وكانت المدارس التي أقامها كل من عماد الدين ونور الدين في دمشق وحمص وحماة وحلب وغيرها خير ما عبر عن هذه الأنشطة".

ولعل أبرز المدن الشامية التي لاقت اهتمام نور الدين زنكي مدينة حلب؛ كونها كانت مقر حكمه الأول، فقد جلب إليها أهل العلم والفقهاء. وقام بتجديد المدرسة المعروفة بالحلاويين، والمدرسة العصرونية ومدرسة النقري، ومسجد الغضائري، كما اهتم بدمشق التي أصبحت هي الأخرى في عهده مقراً للعلماء والفقهاء والصوفية. وقد أنشأ فيها المدارس والرُّبط والخوانق والمساجد والمستشفيات، وأكثر من دور الحديث والفقه. وتعدّ المدرسة النورية والبيمارستان النوري اللتان بناهما في دمشق وما حبسه عليهما من وقوف دليلاً على دوره هذا.

وفي سنة 570 هـ - / 1174 م حكم السلطان صلاح الدين الأيوبي بلاد الشام، وقد اتبع سياسة تقوم على دعم العلم والعلماء، إذ قام ببناء عدد من المدارس للحنفية والشافعية في القدس ودمشق وحلب. ومما يلفت النظر،

بروز مدينة القدس الشريف والمسجد الأقصى خلال العهد المملوكي الأول في الحركة العلمية.

على الرغم من عدم مضي فترة طويلة على استعادة المدينة من الصليبيين، ولعل ذلك يعود إلى عناية صلاح الدين الأيوبي وخلفائه، بإعادة الحياة العلمية والدينية إلى المسجد الأقصى، حيث رتبوا للمسجد الأئمة والخطباء والمدرسين ونقلوا إليه عدداً من المصاحف الشريفة، وأوقفوا على المسجد الأوقاف للإنفاق عليه.

وقد وضح هذا الاهتمام، والذي استمر خلال عهد دولة المماليك البحرية، على تزايد أعداد العلماء الذين درسوا في مدينة القدس، حتى أصبحت مركزاً لجذبِ العلماء، حيث يذكر مجير الدين الحنبلي في الجزء الثاني من كتاب الأُنس الجليل، حوالي أربعمئة وأربعين عالماً وقاضياً وخطيباً ومؤلفاً، عاشوا وعملوا فيها، منذ استعادة صلاح الدين للمدينة حتى سنة 900 هـ - / 1494 م. وقد تبع صلاح الدين في ذلك الحكام والأمراء الأيوبيون من بعده، حيث عملوا على تشجيع العلم والعلماء، وكان وراء ذلك دوافع عديدة أبرزها استمرار الوجود الصليبي في سواحل بلاد الشام وتصدي دولتهم له.

والواقع أن صلاح الدين وبعض الأيوبيين بعده، وجهوا حركة التربية والتعليم نحو ما يخدم سياسة الجهاد ضد الإفرنج.

ولعل أبرز ما شهدته بلاد الشام من نشاط علمي بعد صلاح الدين الأيوبي هو ما ترافق مع عهد الملك المعظم عيسى بن العادل (615-624 هـ - / 1218-1226م). الذي تميز بأنه كان فقيهاً وعالم نحو وأدب ولغة، وفلسفة، إلى جانب علوم أخرى، بل إنه عمل على استقطاب

العلماء من البلاد الأخرى للمجيء إلى دمشق والتدريس فيها.

وقد كان لهذا الاهتمام أثره في تشجيع العلم والعلماء، حيث يقول ابن الأثير: "قصده العلماء من سائر الآفاق فأكرمهم، وأجرى عليهم الجرايات الوافرة، وكان يجالسهم ويستفيد منهم ويفيدهم" [108].

وقام ببناء المدارس، التي درس فيها عدد من العلماء المشهورين. وقد خلف الملك الناصر داوود أباه في الحكم سنة 624 هـ/1226م. وقد عرف عنه نزوعه إلى العلم والفلسفة، ورعايته الحركة العلمية في دمشق، ثم في مدينة الكرك التي انتقل إليها سنة 626 -1287 م. حيث اتسمت هذه الحركة بالانفتاح على جميع المعارف، وبخاصة العلوم العقلية وعلوم اللغة العربية وآدابها، ومما جعل هذه الحركة تزدهر، انغمار الناصر داوود في أجوائها، وبين رجاله، أي ليأخذ من معارفهم ويدرس عليهم.

ومما يسجل للناصر داوود رعايته للحركة العلمية في دمشق بعد توليه إمارتها، في أعقاب وفاة أبيه 624 -/ 1229 م، حيث عمل على إذكاء روح الحوار والمناظرة، وعقد المجالس العلمية، وأعطى مكانة متميزة للمشتغلين بالعلوم العقلية، واحتضن عدداً من الشخصيات العلمية كسيف الدين الآمدي، والشيخ شمس الدين الخسروشاهي، ولعل هذا الاهتمام والرعاية التي أولاها الناصر داوود للعلماء دفعت عدداً منهم إلى اللحاق به بعد انتقاله إلى الكرك، كما كتب إلى عدد منهم للقدوم إلى الكرك والإقامة فيها. ويلاحظ أن الوقف في العهد الأيوبي أدى دوراً كبيراً، حيث عمل الأيوبيون على استغلال نظام الوقف ومتحصلاته لتدعيم حكمهم السياسي، وبخاصة

---

108 إبراهيم نصار ومحمد سليم الزبون، الفكر التربوي المعاصر، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط ا، 2015، ص 99.

محاربة التيار الشيعي من ناحية، والجهاد الديني ضد الإفرنج من ناحية أخرى، وبالتالي فقد وجهت حصيلة معظم أوقافهم للنفقة على المدارس، وبيوت الصوفية، وفك أسرى المسلمين، ولذلك نرى صلاح الدين قد أوقف عدة أوقاف على المدارس التي كان يأمر ببنائها.

وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب قد توفي سنة 647 هـ -/ 1249 م أثناء معركة المنصورة، بعد أن عهد لابنه المعظم توران شاه بولاية العهد. حيث حضر إلى مصر، وأثناء مروره بدمشق تلقى العهد من الأمراء الأيوبيين هناك. ثم دخل مصر سنة 647 هـ -/ 1249، حيث تسلم الحكم من أرملة والده شجرة الدر. وبسبب افتقار توران شاه إلى الحنكة السياسية، وإساءته إلى مماليك والده ولأرملة والده شجرة الدر، قام المماليك بقتله سنة (648 هـ -/ 1250 م). لتنتهي بذلك الدولة الأيوبية في مصر، ولتبدأ دولة جديدة هي دولة المماليك البحرية (647 هـ -/ 1249)، لن تتعرض الدراسة للأحداث التي صاحبت سقوط الدولة الأيوبية وقيام الدولة الجديدة، لأنه سيتم التركيز على الأوضاع التي رافقت قيامها، والتي كان لها آثار واضحة على حركة التربية والتعليم في بلاد الشام.

رافق قيام دولة المماليك تعرضها لمصاعب داخلية وخارجية خلقت جواً من التوتر الذي أعاق نشاط الحركة العلمية في بداية قيامها؛ ومن ذلك ما شهدته من نزاع وصراع قام بين المماليك أنفسهم ضمن صراع طويل على الحكم. وقد خلق هذا جواً من عدم الاستقرار في كامل البلاد. وقد ترافق ذلك أيضاً مع الصراع الناشب بين المماليك والأمراء الأيوبيين الذين كانوا يحكمون بلاد الشام، والذين رفضوا الانصياع للمماليك واعتبروا حكمهم فاقداً للشرعية.

وأما أهم المشاكل الخارجية التي واجهت الدولة الناشئة، فكان صراعها مع الصليبيين، وإن لم يكن لهذا العامل إلا تأثير محدود، مقارنة بتعرض المنطقة للغزو المغولي، والذي ترك آثاراً كبيرة في العالم الإسلامي، حيث قام المغول بعد اجتياحهم لبغداد وقضائهم على الدولة العباسية بالزحف نحو بلاد الشام، حيث عبروا نهر الفرات واحتلوا كلاًّ من حلب ودمشق مما اضطر كثيراً من الناس إلى الهرب تزامناً مع سيطرة المغول على دمشق، ومعظم بلاد الشام، وتولّي السلطان سيف الدين قطز عرش السلطنة المملوكية في مصر.

وقد نجح السلطان الجديد برص صفوف المماليك، وأعد عدته ثم توجه إلى بلاد الشام وخاض في رمضان (658 هـ - / 1289 م) معركة حاسمة مع المغول، وقائدهم كتبغا، وهي معركة عين جالوت الشهيرة التي انتصر فيها المماليك وأجبروا المغول بعدها إلى (الجلاء عن بلاد الشام). مع هذا التاريخ أصبحت بلاد الشام جزءاً من دولة المماليك البحرية. وقد كان لاستنقاذ بلاد الشام من الغزاة المغول، وتوحدها مع مصر، أثره الكبير في خلق حالة من الأمن والاستقرار، مما سمح بأن تستعيد الحركة العلمية والتعليمية نشاطها وحيويتها.

كما أن ما قام به السلطان الظاهر بيبرس الذي تولى السلطنة المملوكية عقب المظفر قطز، من إحياء للخلافة العباسية، كان من أبرز العوامل في إذكاء حركة التربية والتعليم[109].

---

109 عبد الله عبد الدايم، نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 2000، ص 79.

الباب الرابع

فلسفة التربية في العراق:

تأسست الدولة العراقية الحديثة عام 1921، وضعت أمامها مهمة تعليم العراقيين، وكانت مهمة شاقة، وصعبة، في بلد تجاوز عدد الأميين فيه آنذاك 95 % من مجموع الشعب العراقي.

وكان التعليم قبلها محدوداً جداً، في دور الكتاتيب، في المدن الكبيرة فقط، مقتصراً فيها على حفظ القرآن الكريم.

وكان الطفل يتعرض فيها للضرب والتخويف، فينشأ وعقدة الخوف معه. بعدها، بدأت المدارس بالانتشار في عموم مدن العراق.

وكانت مدارس متميزة في بنائها، وفي كوادرها التعليمية، وكان الدوام المدرسي حتى الخمسينيات من القرن الماضي، يستمر من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الرابعة عصراً، تتخلله ساعتا استراحة، يذهب خلالها الطالب إلى البيت، ثم يعود ثانية لإكمال الدوام المدرسي، ومعنى ذلك أن الطالب كان يقضي أغلب يومه في أجواء دراسية وتربوية.

وفي الستينيات من القرن الماضي، وما بعدها، ازداد عدد السكان في العراق بنسب عالية، ولم يصاحبه توسع في بناء المدارس، فشاع الدوام الثنائي لمدرستين في بناية واحدة، وثلاثي لبعض المدارس.

وأصبح هنالك توسع كمي في عدد الطلاب والمعلمين، ولكن على حساب النوع، مما أدى إلى هبوط مستوى التعليم في المدارس إلى حدٍّ كبير، وانعكس هذا على الدراسة الجامعية، حيث كما يعلم الجميع، فقد كانت جامعة بغداد في الستينيات، من أرقى الجامعات العالمية المعترف بها في كافة دول العالم.

لقد نشأ الطالب العراقي في العهد الملكي على هدف بناء المواطن الصالح، والتعلم لخدمة الوطن، ووضعت البرامج التربوية على هذا الأساس، فكان جيل متعلم، محب لوطنه، وتحمل ذلك الجيل بناء مؤسسات مهمة عسكرية ومدنية.

وبعد ثورة الرابع عشر من تموز، قام الزعيم عبد الكريم قاسم، بتخصيص أغلب ميزانية العراق للتعليم آنذاك، بهدف التقليل من نسبة الأمية، فأصبح التوسع أفقياً في عدد المدارس، ولم يصحبه تحسن كبير في النوع، وهنا ظهرت المشكلة التي أدت إلى ظهور الدوام الثنائي والثلاثي في المدارس، على حساب النوعية.

ثم جاء نظام البعث... ومنذ عام 1963 تغيرت الفلسفة التربوية في العراق، ووجهت لخدمة أغراض سياسية، تخدم مبادئ الحزب والثورة، فتبدلت الأناشيد الطلابية في المدارس والتي كانت (عش هكذا في علو أيها العلم فإننا بك بعد الله نعتصم)، وأصبحت بدلها أناشيد مسخّرة لتمجيد القائد، فكان الهم الشاغل لوزير التربية والتعليم، هو إرضاء القائد وحزبه، وهذه كانت الكارثة الكبرى، فلم يكن الوطن يعني شيئاً للطالب العراقي، الذي كان يقف في ساحة المدرسة ساعة رفع العلم العراقي أيام الخميس من الأسبوع... لينشد للقائد للضرورة.

وكان المعلم حين يدخل إلى الصف المدرسي، يقف الطلبة أمامه ليرددوا (قيام ...عاش القائد صدام).

أي قادة هؤلاء؟ وأين حب الوطن مع أنانية الحكام الذين أوصلوا البلد إلى ما هو عليه الآن؟ زاد الخراب والدمار، وكثر المفسدون والسارقون، والقتلة.

أين هي الفلسفة التربوية التي تضعها الدولة لأبنائها؟ وما هو الهدف الذي

تبغي الدولة تحقيقه من خلال العملية التربوية والتعليمية؟

على الحكومة العراقية التفكير بشكل جاد في وضع مفاهيم حديثة، وأن تضع مناهج حديثة، وأن تستفيد من خبرات الدول المتقدمة في وضع المناهج التي تغرس حب الوطن، وعليها تنمية الروح الديمقراطية عند الطفل العراقي، وإبعاده عن أي فكر متطرف، وإفهام الطالب أن العراق متكون من أديان ومذاهب وقوميات متعددة، وكلها تعيش في حب وإخاء، تجمعها خيمة واحدة هي العراق.

ولتحقيق هذه الغايات، على الدولة أن تعد المعلم إعداداً جيداً.

ففي أغلب دول العالم نرى أن مهنة التعليم هي من أهم المهن، ولا يستطيع ممارستها، إلا من كان كفؤاً، مزوداً بالتخصص التربوي والعلمي بشكل جيد.

وأخيراً لنعلم أن بعض الدول المتقدمة، أخذت تضع أجهزة مراقبة في الصفوف

المدرسية، لتراقب العملية التربوية عن بُعد.

فلسفة التربية في دول الخليج العربي:

الفلسفة التربوية في دول الخليج: أقرت دول الخليج العربي أهداف التربية في القرار الذي صدر عن المؤتمر السابع لوزراء التربية والتعليم لدول الخليج، عام 1984، والذي نشر في كتاب بعنوان الأهداف التربوية والأسس العامة للمناهج بدول الخليج العربية، ووضعت العقيدة الإسلامية بمنهجها الشامل للإنسان والحياة والكون كمصدر للأهداف التربوية العامة، وفي العروبة بتراثها وقضاياها المعاصرة، وكذا مطالب التنمية وتطوير الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة، بالإضافة إلى اتجاهات العصر ومقتضياته، ومن تلك الأهداف نذكر:

1- الدولة تقرر مسؤولية المجتمع كله في توفير فرص التربية للأفراد، ولكنها تعطي نفسها حق تمثيل المجتمع وتنفيذ السياسة التربوية.

2- بناء العقيدة لدى الناشئة، بما يربيهم على الفهم والإقناع ويضمن صلاحية الفرد ليكون عضواً نافعاً في مجتمعه والاهتمام بالعلم، وإكساب الفرد مهارات التعلم الذاتي، وذلك من خلال ربط العلم بالعمل، والنظرية بالتطبيق.

3- نشر أساليب التعاون والتضامن والتكافل والشورى، وتحقيق مبدأ ديمقراطية الفرص التعليمية لجميع المواطنين.

4- تلاؤم السلّم التعليمي في دول الخليج العربي، حيث يبدأ بمرحلة رياض الأطفال وينتهي بالمرحلة الثانوية مروراً بالمرحلة الابتدائية والإعدادية، وتوسيع فرص الالتحاق بالتعليم الفني والتقني الذي لا يزال أقل من المستوى.

5- التفاعل مع القطاع الاقتصادي، وذلك عن طريق تحسين تفاعل النظام التربوي مع احتياجات خطط التنمية.

6- إن الدولة مسؤولة اجتماعياً عن تكوين المواطن حضارياً وثقافياً وفق مضامين الفكر الإنساني والتقدم من خلال تلك الأهداف المرسومة في دول الخليج العربية، يتضح أن الغاية من التعليم هي حمله على نقل التراث الثقافي والمحافظة عليه وتجديده وتنمية الإحساس الجمالي عند الطلاب وتأهيلهم لتذوق روائع الثقافة في مختلف صورها وإتاحة الفرصة أمام كل فرد لكي يشارك في الحياة الثقافية.

تقييم نقدي:

إن ما يثير الانتباه في فلسفة التربية العربية، أنها لم تحقق أهدافها المرجوة، ويعود ذلك إلى الأسباب الآتية:

1- البنية الإنشائية لفلسفة التربية: بنيت على ممارسة إنشائية تتضمن عبارات مجردة تفتقد إلى الدلالة والمعنى، تأخذ لعبة الكلمات دوراً بارزاً في صياغة فلسفة التربية في أهدافها ومناهجها وطرقها فهي بعيدة عن كل صياغة منهجية علمية تدور حول الموضوعية والدقة والإجرائية والوضوح، وفي مجانبتها لشروط الصياغة العلمية أضحت فلسفة التربية العربية في صياغة أهدافها العامة (بعيدة عن الواقع وغريبة عن المجتمع). فهي قريبة من الخطابات السياسية، التي تحملها المراسيم والقوانين الرسمية، والتي تحاول أن تعلي من جهود الحكومة في مجال التربية، فهي أوهام وأضغاث أحلام.

2- إنها أهداف طوباوية ميتة لا تنبض بالحياة، لأنها تفتقد للإجرائية، غير قائمة على المعلومات الدقيقة والبسيطة المستوحاة من الواقع المعيش،

فالوثائق التربوية الرسمية العربية تعاني غلبة المجانسة بين الألفاظ والكلمات، على حساب الحقائق والمعارف والوقائع. فالصياغات في بعض الفلسفات التربوية العربية، تجعل القارئ يكتشف الغموض الوارد في صياغتها، فلا يمكننا أن نفسر القول الذي أشرنا إليه عند الحديث عن فلسفة التربية المصرية (تنمية الأفراد على التفكير العلمي، وإعدادهم لتقبل التغيير، والإسهام الإيجابي في الإعداد له، وفي إحداثه) إنما هو تنميق وتسجيع وتجنيس بين الكلمات.

3- غلبة الحشو والتكرار في مضامينها: الفلسفات التربوية العربية تتضمن أفكاراً غامضة تحتمل تفسيرات كثيرة وربما متناقضة، ويغلب عليها التكرار، فالفكرة الواحدة تظهر وتتكرر بصياغات مختلفة، وفي هذا تعبير عن عقم منهجي وجهل معرفي، ففي بعض الدراسات التي أجريت على الفلسفات التربوية في البلاد العربية كالخليج مثلاً، تبين أن معظم أهدافها مركبة، فالبند الواحد يشمل أكثر من هدف، وجاءت صياغتها بطريقة عامة، ولم ترتب أهدافها ترتيباً منطقياً. ولو أخذنا مثلاً نموذجاً للمقارنة حول صياغة الأهداف التربوية العامة في فلسفة التربية العربية وفلسفة التربية الأمريكية لوجدنا الفرق واضحاً بينهما، فورد في الأهداف التربوية الخاصة بولاية أريزونا الأمريكية: (إكساب التلميذ المهارات الأساسية في الحديث والقراءة والكتابة والحساب). يقابله أحد الأهداف التربوية في فلسفة التربية لإحدى الدول العربية (الاهتمام ببناء محتوى التعليم على قاعدة راسخة من التراث العربي والخصوصية القومية، وتمكين الناشئة من مواجهة التخلف)، فالكلمات في الصيغة الأمريكية محددة وواضحة، تفوقها في الصياغة العربية بكلمات كثيرة، مما يدل على الحشو والتركيب والتكرار، وبالتالي عدم الوضوح.

4- أهدافها عامة غير مضبوطة: صفة حاضرة في أغلب أهداف فلسفة التربية العربية، فإذا عدنا إلى الطابع العام للإصلاح التربوي في مصر عام 1987، نجد أنه يفرط في تأكيده على الشخصية المصرية تأكيداً مطلقاً، وبالتالي فهي عامة تصلح لأي منظومة تربوية، في حين يجب أن تحدد فلسفة التربية الأهداف الخاصة بالمجتمع الذي ترسم من أجله.

الفصل الخامس

تطور التربية في أوروبا في العصر الحديث

مقدمة:

من الضروري أن نتحدث ولو بشكل مختصر عن التربية القديمة في العصور وصولاً للعصر الحديث، وذلك أن بذور التربية بدأت بالظهور منذ القدم فطوّرها الإنسان وطوّر خصائصها، وغيّرها حسب ظروفه التي يعيشها في عصره، ونستطيع القول إن التربية التي عرفتها العصور القديمة ما زالت تحمل قسماً من سماتها وخصائصها حتى يومنا هذا رغم كل التطورات والتغيرات. لاحظنا حتى اللحظة من آلاف السنين أننا نتبع نفس الطريقة في التعليم: المعلم والطلاب والصف، والتربية التي لا تزال ترسم خطواتها وحدودها للفرد على حسب مجتمعه فينمو مع أفكار تناسب بيئته دون الخروج خارج هذا الإطار.

تحدثنا في كتابنا عن التربية العربية الإسلامية والتربية اليونانية والمصرية وبلاد الشام وتوسعنا في الشرح، وأوجزنا لنصل للمختصر المفيد حتى عن التربية، وسنتحدث عن تطور التربية في أوروبا ابتداء من عصر النهضة، وعن النظريات التربوية عامة.

عصر النهضة (القرن السادس عشر):

ما هي النهضة؟

بدأت النهضة الفكرية أو الحركة الاجتماعية في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، وكان لها أثر عميق في التربية، حيث كان نظام التربية الفكرية في العصور الوسطى غير مستقر وغير متكامل، سبّب حركات الكنائس والحركات المدرسية، التي كانت متكاملة منطقياً بحيث لا تفتح المجال للفرد بالتغيير أو التقدم، ولا تتقبل أي تغيير، فجاءت النهضة التي كانت ميزاتها أنها تهتم بنمو الفرد، وكانت التربية الفكرية التي نظمها الاسكلائيون[110] (الحركة المبنيّة من قبل الأديرة) ، التي أسست قصوراً يعيش فيها الفرد حياة متكاملة، ولكنها في الحقيقة كانت كالسجون. وهكذا فإن من بناها هو من دمرها عندما أدرك أنها رمز للعبودية. وأسسوا على أنقاضها الفكر الحديث.

وهذا ما جعل الأفكار في العصور الوسطى تتمزق وتتشتت وتتنازع. وجعلت الناس تبحث عن سبل جديدة للحياة، وأصبحت النهضة التي ترجع أسبابها لثلاثة نزاعات لم تكن موجودة في العصور الوسطى:

- أولاً هذا النزاع والتخبط أدى للعودة إلى ما قبل العصور الوسطى، حيث عاد الناس إلى عصر اليونان والرومان.
- ثانياً: أعطوا قيمة أكبر للصدق والعواطف ومحاولة الاستمتاع

---

110 المدرسية أو(السكولاستية وتُكتب السكولائية)، أو فلسفة المدرسة، بالإنجليزية: Scholasticism، بالفرنسية: (Scolastique) تطلق عادةً على مدرسة فلسفية سادت في أوروبا في العصور الوسطى، وكانت تستخدم منهجاً نقدياً في التحليل الفلسفي، بناءً على نموذج مسيحي إلهي ولاتيني؛ وهو المنهج الذي كان مسيطراً على التدريس في جامعات أوروبا خلال العصور الوسطى منذ حوالي عام 1100 حتى عام 1700.

بالحياة والتمتع بجمالها، واهتموا بإظهار الجمال في كل أشكاله، حيث أصبح التأمل الباطني والتحليل النفسي لأسباب إنسانية وليس لأسباب دينية أو فلسفية كما كانت في العصور الوسطى.

- ثالثاً: اهتمامهم بعلم الفيزياء أو دراسة الطبيعة الفيزيائية، حيث كانت تعتبر في العصور الوسطى من الدراسات الممنوعة ويعاقب عليها القانون ويحتقرها الناس.

ومن النتائج التي حدثت بعد النهضة الأولى الاتجاه نحو دراسة الآداب القديمة واللغات السابقة دراسة متعمقة وواسعة، وكان بتراك من الذين أحبوا البحث في آثار القدماء. وطبعاً لم يكن هذا السبب الحقيقي للنهضة، وهذه الآثار كانت وسيلة من الوسائل التي أدت للبحث والتوسع.

ثم أتت نتائج النزعة الثانية، وهي الاهتمام بالعواطف والصدق ثم الاهتمام بالإنتاج الفني والأدبي في كل أشكالهما وتكوين العلوم الاجتماعية والتاريخية.

وبدأوا بمشاهدة الظواهر الطبيعية بشكل مباشر والتدريب والبحث مما أدى إلى خلق الاكتشافات الفلكية والجغرافية، وبدأت نزعة الفكر العلمي الحديث، ونما الفكر الواقعي المتخصص بالطبيعة، وأدى إلى تغيير جذري في التفكير واستمر إلى أن وصل في ما بعد بيكون وديكارت في القرن السابع عشر والأبحاث الفيزيائية والبيولوجية التي نجح بها في العلم الحديث، أي أن الانتقال من العصر القديم إلى الجديد لم يكن بالصدفة وإنما كبر خطوة بخطوة حتى انتصر التفكير الجديد على القديم.

التربية الحرة:

قام أهل النهضة بإحياء روح الآداب القديمة لإنماء حياة جديدة ولم يكتفوا بإحيائها، بل قلدوها إلى حد كبير وطوروها، وكانت أفضل طريقة هي فكرة التربية الحرة على الطريقة اليونانية، وكانت هذه رغبة شديدة لإحياء حياة جديدة، وبالتالي تربية جديدة تختلف عن التربية الاسكلائية[111]. القديمة التي كانت في العصور الوسطى وتتصف بروح التربية الحرة. هكذا نجد المربين في النصف الأول من النهضة لم يكتفوا بالفكر الحر وإحيائه، بل قاموا بتعريف التربية تعاريف مشابهة لتعريف أفلاطون وأرسطو وتبنوا آراءهما في التربية، وهي بناء إنسان صالح ومتكامل يعيش في وسط نشاط اجتماعي ناجح.

الصفات الرئيسية للتربية في القرن السادس عشر:

إن القوانين والمبادئ الرئيسية للتربية وجدت منذ بداية عصر النهضة بعد التربية التي كانت في العصور الوسطى، التربية القاسية المرهقة للجسد والعقل، وأوجدت التربية الجديدة الأكثر راحة وتحرراً وانفتاحاً، تهتم بالصحة الجسدية والنفسية، تهتم بالعقل، وتعطي حرية التفكير دون قيود، ولا ننسى أن التربية في القرن السادس عشر كانت تربية جديدة، ولكن كان لها انتقاد كبير، حيث إن الأفكار التربوية كانت حماسية تفتقر إلى الدقة، ثم إن الكثيرين منهم دعوا لتحرير العقل دون وضع حدود.

---

111 الناهي, هيثم; شريّ, هبة; حسنين, حياة. "مشروع المصطلحات الخاصة" (PDF). المنظمة العربية للترجمة: 206. مؤرشف من الأصل (PDF) في 12 يوليو 2018.

النظريات التربوية في القرن السادس عشر:

يجب علينا أن نميز في التربية بين النظرية والعمل، وبين النظريات الجريئة السابقة لعصرها والتربية الموجودة التي تسير بصعوبة رغم كل المحاولات.

نجد الأبحاث النظرية في مؤلفات ايراسموس ورايلي ومونتيني، تلك المؤلفات التي تنافس التربية اليوم وتتفوق عليها، أما التربية العملية فنجدها في النزعة الإنسانية والعودة إلى الآداب القديمة فنلقاها في الكليات التي أنشأتها الجماعة اليسوعية، والكليات البروتستانتية مثل كلية ستراسبورغ[112] التي كانت بإدارة شتورم[113] (1537-1589) ونجدها في التغييرات التي حصلت في التعليم العالي والتي تظهر في كلية فرنسا (1530)، وفي الدروس التي كان يعطيها راموس، ونجد التعليم الإبداعي المتقدم بفضل المصلحين البروتستانت ومحاولاتهم للتقدم، ومنهم لوثر.

رغم ذلك بقيت التربية النظرية هي الأولى والغاية في التربية العملية في القرن السادس عشر.

---

112 جامعة ستراسبورغ (بالفرنسية: Université de Strasbourg) هي جامعة فرنسية تقع في مدينة ستراسبورغ بإقليم الألزاس الفرنسي، وهي أكبر جامعات فرنسا؛ إذ يدرس بها حوالي 43 ألف طالب، ويعمل بها أكثر من 4 آلاف باحث.

113 يوهانس شتورم (1507 – 1589 م) هو عالم عقيدة، وأستاذ جامعي، وتربوي من دوقية لوكسمبورغ، ولد في شلايدن، توفي في ستراسبورغ، عن عمر يناهز 82 عاماً.

إيراسموس[114]:

إن التربية الدينية لإيراسموس لم تكن عائقاً بينه وبين حرية التفكير، حيث دخل في عمر الثانية عشرة إلى كلية ديفانز في هولندا، وكان يشرف عليها الرهبان الملقبون بالجيروميين. وقد تأسست هذه المجموعة على يد جيرار غروت عام 1340، وكان أحد أهدافها تعليم الأطفال، وتهتم بتعليم التوراة والقراءة والكتابة. وفي القرن الخامس عشر وبسبب تأثير جان دي فيزل ورودولف أغريكولا[115]، تغيروا تغييراً كبيراً وأصبحوا المبشرين الحقيقيين في عصر النهضة وزعماء التوحيد بين الآداب المسيحية والوطنية.

وهكذا تعلم إيراسموس من كلية ديفانز الآداب القديمة، وتعلق بشكل خاص بتيرانت وهوراس، ومن هنا نرى أساتذة إيراسموس كانوا نيّري الفكر، يحبون الفكر التربوي عند القدماء رغم أنهم ينتمون للرهبان، ثم إن إيراسموس ربى نفسه بنفسه ودرس آثار القدماء بجهد لم ينضب، وأمضى معظم حياته في الدراسة، حيث بحث في أوروبا كلها، وفي كل بلدان العالم عن كل علم جديد.

الآراء التربوية لإيراسموس:

يرى إيراسموس أن الكتب الدينية تحتوي على كل ما يحتاج إليه الإنسان لتوجيه حياته بالاتجاه الصحيح، إلا أنه يجب أن يعرف أصولها على شكلها الحقيقي قبل فسادها، ويجب على المدارس أن تقدم للتلميذ مؤلفات

114 دزيدريوس إرازموس روتردامُوس (باللاتينية: Desiderius Erasmus Roterodamus) عاش في (روتردام ح. 1469- بال 11 يوليو 1536 م) هو فيلسوف هولندي، من رواد الحركة الإنسانية في أوروبا ، كان يكتب باللغة اللاتينية.

115 رودولف أغريكولا (باللاتينية: رودولفوس أجريكولا فريسيوس؛ من مواليد 28 أغسطس عام 1443 أو 17 فبراير عام [10]1444 – 27 أكتوبر عام 1485) ينتمي إلى فترة ما قبل إيراسموس في الحركة الإنسانية في البلدان الشمالية المنخفضة، ويشتهر بمعرفته الواسعة باللغة اللاتينية، إذ كان أحد أوائل من تعلَّم هذه اللغة من سكان شمال جبال الألب. كان أغريكولا عالماً في اللغة العبرية قرب نهاية حياته،

مختارة تتشبع روحه بها. وأساس العمل المدرسي هو النمو، الذي يجب أن يدرس بطريقة ذكية تحبب التلميذ بالآداب، ويجب على أي تلميذ أن يدرس تحليل الأبحاث وليس فقط بالإيجاز والاختصار، ويجب أن يدرس التاريخ والطبيعة والحياة المعاصرة، لينير بها تفكيره ومجتمعه. كما أن العلم ليس حكراً على أحد فهو للنساء والرجال، وعدم نسيان أهمية وأهداف التربية الأخلاقية والاهتمام بها ودراسة الدين والابتعاد عن التعذيب والترهيب في التعليم، واستبدالها بالإغراء والتشويق، والاهتمام بدراسة خصائص الطفل والتعرف إليها وتحسينها.

مؤلفاته:

- كتب مدرسية ورسائل أولية عن التربية العملية مثل كتاب (طريقه كتابة الحروف) وكتاب (آداب الطفولة).

- كتاب الأمثال جمع فيه أقوال وحِكَم القدماء.

- وكتب كتاباً ذا طابع نظري، كتب فيه آراءه التربوية، ففي رساله عنوانها (طريقة الدراسة) وضع فيها قواعد التعليم الأدبي وقواعد لطرق دراسة النحو.

- كتاب تحدث فيه عن طبيعة الطفل والأمور الخاصة في مرحله الطفولة المبكرة، ونبذ العنف وشجع على الأسلوب المشوق للتعامل مع الطفل.

كان إيراسموس أول من اعتنى بطباع التهذيب، وندد بالطباع التي كانت موجودة في العصور الوسطى، حيث كانت الطبقة الراقية تسمح لنفسها بفعل أمور لا يمكن أن يفعلها مجرمو هذا العصر، كما اهتم بتعليم المرأة وأعطاها حقها في المشاركة في الآداب القديمة. وكان إيراسموس يقبل بالمساواة بين الرجل والمرأة، ورغب في أن تكون المرأة أكثر طموحاً، وأن

تدرس وتتثقف لتكون قادرة على تربية أبنائها بمفردها وقادرة على مشاركة زوجها حياته الفكرية.

إن تربيه إيراسموس لها قيمة كبيرة، ولكنه بقي على التربية اليونانية ولم يعط مجالاً للعلوم الطبيعية والتاريخ.

رابليه (1483، 1553)[116]:

هو من المفكرين الذين أصلحوا التربية وقوّموا النفس البشرية وأنموها، وكانت أفكاره التربوية هي النزعة الأولى الواقعية في التعليم. لفت النظر إلى الأمور التي يجب الاهتمام بها فعلاً، وبشّر بظهور التربية العلمية المستندة إلى الطبيعة، وبهذا أبعد العقل عن الترهات المزيفة التي كانت في العصور الوسطى، وفتح للطبيعة البشرية أبواب التربية العلمية.

إن التربية التي أرادها رابليه، هي التربية الطبيعية، والتعليم بالتجربة والوقائع، وأن يكون الطالب مبدعاً في الحياة الواقعية وأحاديثها، التي تفيد العقل وتغنيه وتزين الذهن وتقوي الذاكرة دون أن تخنق الفطرة لديه أو حرية التفكير. واهتم أيضاً بالنظافة والرياضة والتمرينات المقوية للجسم، وكانت قواعده وقوانينه مبالغاً فيها فهو يرهق الجسد بالرياضة والنظافة كما كان يرهق العقل.

وكان يعلم تلاميذه اللغات القديمة لإرجاع مكانتها، وهذا ما يضعه مع مفكري عصره في الحماس للآداب القديمة، ولكنه زاد عليهم بحبه للعلم والعلوم الطبيعية خاصة.

116 **فرانسوا رابليه** (بالفرنسية François Rabelais)، هو كاتب فرنسي وطبيب وراهب وعالم باليونانية وأحد إنسانيي النهضة.

مونتيني (1533-1592)[117]:

كان مونتيني هادئاً وأكثر اعتدالاً من رابليه، وكانت مبادئه التربوية معتدلة بعيداً عن المبالغة المفرطة، على عكس رابليه، الذي كان يرغب في وضع جميع العلوم من أدب وعلم في مستوى واحد، بينما فضّل مونتيني الاختيار والانتقاء من بين كل المعلومات والعلوم، وما يقوّم الأفكار ويجعلها صادقة. كان رابليه يبالغ في الاهتمام بالجسد لمرحلة الإرهاق، ويحلم بأن يتعمق الإنسان بالعلوم جميعها، بينما مونتيني اكتفى بأن يتعلم الإنسان من كل علم ما يحتاج إليه، وأن يأخذ من العلوم ما يلبي حاجته.

التربية الشخصية لمونتيني:

إن أثر التربية التي ترباها مونتيني على يد والده كان كبيراً في بناء مذهبه التربوي، فقد سلك طريق والده في التربية، وكان ضد التربية التي ترباها في كلية غويين، الذي دخلها في عمر العاشرة.

تربى في منزل والده بكل حرية، ونما بصورة الطفل الشقي الحر، وقال إنه تربى بلطف وحرية وموجهة دون معاملة قاسية أو مكرهة، وكان يستخدم مثل والده أسلوباً معتدلاً، ذا رحمة وصلابة، ليس ليناً ولا قاسياً، علمه أبوه اللغة اللاتينية، حيث كان يتحدث بها بطلاقة في عمر الست سنوات، وأهمل اللغة الفرنسية، وهذا ما انتبه إليه مونتيني واستفاد من ذلك ليدرك نتائج مثل هذه الأخطاء.
حيث إنه عرف أن الطرق الميتة في التعليم لن تُجدي نفعاً لأنها طرق بطيئة، وتهتم بتعليم القواعد أكثر من اهتمامها بالتدريب على الكلام، وكذلك كره

117 ميشيل دي مونتين أحد أكثر الكتّاب الفرنسيين تأثيراً في عصر النهضة الفرنسي. رائد المقالة الحديثة في أوروبا. وكان يقلد اليونانيين والكلاسيكيين في عاداتهم في رصف الحِكم والأمثال في ثوب مسجوع، وتأثر كثيراً بكتابات أرسطو، ولكنه تفرد بأسلوبه المرسل، وظهرت شخصيته بوضوح.

العقوبات الجسدية والنظم القاسية تأثراً بكلية غويين التي عاش فيها سبع سنوات، حيث قال: ما فائدة التعليم القاسي وهذه الطرق المتخلفة للأطفال، إنه مكان مثل السجن لا يسمع فيه سوى صراخ الأطفال وخوفهم من المعلمين، هذه الطريقة الفظة كيف تجعل هذه النفوس البريئة تحب التعليم، أليس أجمل وأفضل أن تزين غرفهم بالورود بدلاً من قضبان القصب.

وإنه لا ينظر إلى التربية من الذكرى التي عاشها وانما ينظر لها كفيلسوف يدرك أهمية الاهتمام بغذاء الأطفال وثقافتهم، ويرى أن التربية هي فن بناء الإنسان وتكوينه وهي فن لخلق أخصائيين في المعارف والعلوم. يرى مونتيني أن دراسة الأدب والدراسات الأخرى ليست الهدف الحقيقي للثقافة، وإنما هي وسائل للوصول إلى الأهداف، فلم يكن يهتم بدراسة اللغات القديمة ولم يعرها اهتماماً، لم يعلم تلاميذه اللاتينية، حيث قال: إذا تعلمت شيئاً لم تستخدمه فالأفضل أن تلعب كره القدم.

التربية في القرن السابع عشر:

عرف في القرن السابع عشر العديد من المربين والمفكرين المستقلين والمعتزلين، نقلوا للذين بعدهم أفكارهم وتجاربهم، أكثرهم كانوا من رجال الدين، أو ممن كانوا يهتمون بتربية الأمراء، وخاصة في الدول الملكية كدول هذا القرن، وبعضهم من الفلاسفة الذين وصلوا بدراستهم من دراسة الطبيعة البشرية إلى التفكير في أساسيات التربية، وسنذكر بعضهم، وبعض المناهج والطرق الدراسية المشهورة، التي كان لها أثر كبير في التربية في ذلك العصر، والتي مهدت الطريق لتغيرات تربوية ستظهر في ما بعد.

فينيلون (1651، 1715)[118]:

لقب رئيس المدرسة لكثرة المؤلفين الذين استفادوا من مؤلفاته وأفكاره التربوية، فهو أول كاتب فرنسي كتب وألّف عن التربية، وكان له العديد من المؤلفات الأخرى، ولكنه كان بارزاً في مجال التربية،

كيف أصبح فينلون مربياً:

ألف رسالة مميزة عن تربية الفتيات عام 1680 بعد طلب من دوق بوفييه وزوجته، فقد كان لهذه الأسرة ثماني فتيات، لذا كتب فينلون كتابه هذا ليساعد هذه الأسرة في تربية بناتها، ثم نشر هذا الكتاب عام 1687 ميلادي، وقد استوحى من تجاربه في تأليف هذا الكتاب، فقد كان راهباً ثلاثينيّاً، ومديراً لدير الكاثوليكيات[119] الحديثات عام 1678، وكأنه عمل

118 فرانسوا فينلون (بالفرنسيةFrançois Fénelon)، ولد 6 أغسطس 1651 ، توفي 7 يناير 1715، شاعر و كاتب فرنسي .

119 المسيحية الكاثوليكية هو مصطلح واسع يصف مجموع المؤمنين، ومؤسسات، وعقائد، ولاهوت، وقداس، وأخلاق، وقيم الروحية للكنيسة الرومانيّة الكاثوليكية. يصف مصطلح الكاثوليكية جميع الكنائس المسيحية التي تقر بسيادة البابا والتي تجمعها شراكة مع الكرسي الرسولي. تعتبر الكاثوليكية أكبر طوائف الدين المسيحية.

هذا الدير لإعادة البنات البروتستانتيات المرتدات إلى المذهب الكاثوليكي وتقوية العقيدة عندهن، وهذه هي التجربة التي استفاد منها فينلون رغم قسوة المكان، وطبّق أفكاره التربوية التي كتب عنها في رسالة عندما ربى دوق بورغونيا عام (1689 - 1695) وأشرف على تربية هذا الدوق الذي كان مخيفاً بالفطرة، استطاع تربيته وتهذيبه حتى أصبح إنساناً متكاملاً، ولا ننسى أن له مرونة فكرية بارزة، وعلماً واسعاً، وله معرفة عميقة بالأقدمين، ومعرفة بالنمو والتاريخ، وميزات كثيرة جعلت منه أحد القادة التربويين في فرنسا.

آراؤه التربوية:

في تربية البنات:

هي تربية حرة إنسانية، يعيش فيها الإنسان حياة نيّرة بدلاً من سجن الدير، حيث انتقد التربية في الأديرة. ويرى أن تبقى الفتاة عند أهلها أفضل لها، حيث تكون بالدير كالسجن وعند خروجها منه ترى جمال العالم خارج الدير فتضيع في عالم لم تعرف معالمه.

كما أبعد الأوهام التي كانت حول تربية النساء. كتب للأمهات عن تربية البنات فللمرأة أهمية كبيرة في الحياة المنزلية، وإذا فشل الزواج فذلك بسبب سوء تربية البنات، وأنه يجب أن تربى جيداً لتتعلم علماً ينفعها، وأن للنساء واجبات لا تقل أهمية عن واجبات الرجل.

طبيعة البشر خيرة: كانت توجد فئتان من المسيحية:

الأولى ترى أن الطفل خلق شريراً بطبعه، ويجب أن يربى بالقسوة.

والثانية ترى أن الطفل هو هبة يجب الاعتناء بها وتربيتها بلطف ولين، وكان

فينلون من الفئة الثانية، كان يحب الاعتزاز بالنفس ويحب المدح والتقدير، ويرتاح لعفوية الطبيعية وبراءة الأطفال. يرى فينلون أن الأطفال بريئون فيجب أن يتم الاهتمام بهم ورعايتهم والاعتناء بصحتهم، وأن يأكلوا غذاء طيباً، وتجب معاملتهم بنظام الحياة البسيطة وعدم الإسراف في تعليمهم حتى تقوى أجسادهم وتستقر أعوادهم.

حب الاكتشاف عند الطفل:

يرى أنه رغم ضعف الطفل وانتباهه إلا أن فضوله الطبيعي يقويه. ويرى فينلون أن فوائد هذا الفضول كبيرة جداً، حيث إن هذا الفضول يأخذ الطفل نحو الثقافة، فيجب أن يُستفاد من أسئلتهم التي يسألونها عن فضول لنعلمهم منها شيئاً جديداً كأن يسأل في الريف؟ ما هذا الطاحون فنشرح له عملها، ويرى الفلاحين يحصدون ويستفسر عن ذلك، فنشرح له عملهم وزراعتهم، ونشرح لهم عن غذاء الإنسان، فأسئلتهم هي الأبواب التي نُدخل منها ثقافتهم، وبذلك يجب أن يكون العلم بالتشويق.

كما كان يرى أن الطرق التربوية الشيقة لها أثر في تعليم الطفل وتشجيعه على العلم شرط عدم الإفراط في التشويق.

ديكارت[120]:

يلقب بأبي الفلسفة الحديثة، غيّر منهاج التربية من خلال مبادئه الفلسفية وأدخل منهاجاً جديداً واضحاً، واستفاد التعليم من مبادئه فائدة كبيرة. يتحدث ديكارت عن التربية التي أخذها من اليسوعيين[121] في كلية لافليش،

---

120 رينيه ديكارت ، فيلسوف، وعالم رياضي وفيزيائي فرنسي، يلقب بـ"أبي الفلسفة الحديثة"، وكثير من الأطروحات الفلسفية الغربية التي جاءت بعده، هي انعكاسات لأطروحاته، والتي ما زالت تدرس حتى اليوم، خصوصاً كتابه الذي ما زال يشكل النص القياسي لمعظم كليات الفلسفة.

121 يسوعيون (باللاتينية: Societas Iesu) أو الرهبنة اليسوعية، هي واحدة من أهم الرهبانيات الفاعلة في الكنيسة الكاثوليكية، ومن أكبرها. تأسست على يد القديس إغناطيوس دي لويولا في القرن السادس عشر أيام البابا بولس الثالث في إسبانيا، كجزء من الإصلاح المضاد.

ونقد الطرق التي كانت متبعة، وبين من خلالها آراءه الشخصية، حيث قال: "لقد تعلمت الآداب منذ صغري ولم أستفد منها الفائدة المطلوبة". أي أنه أدرك أن هذه الدراسة التي أمضى فيها ثماني سنوات في أشهر مدارس أوروبا لم توصله للفائدة الحقيقية لما ينفعه في الحياة، وبهذا فضّل الثورة على العلم الميت الذي كان عند اليسوعيين.

ومن أقواله أولاً: إنه من غير الصحيح التعمق في دراسة الكتب القديمة وشكا من الإهمال في تعليم الرياضيات

ثانياً: يرى أن دراسة اللغات القديمة لا تنفع سوى في فهم القدماء، وأن اليونانية واللاتينية لم تسهما في تطور الفكر.

مبادئ التربية الحديثة:

وضع ديكارت القوانين والأسس التربوية الحديثة الكبرى دون أن يعي ذلك فقد كان ينتقد الطرق المتبعة في البحث عن الحقيقة العلمية، حيث قال:

- يتساوى الناس في المعرفة والإدراك ومعنى هذا أن الجميع يملك حق التعليم. بنيت المدارس بعد ذلك لتطبق فكرته في حق الجميع في التعليم.
- المنهاج هو الشيء الأساسي لتوجيه الفكر بالاتجاه الصحيح، وهو ذو قيمة تفوق كل القيم.
- لكي ينجح الفرد لا يكفي ان يعتمد على مزاياه الطبيعية من ذاكرة وخيال وبديهة، يجب أن يرجع للقواعد التوجيهية الصحيحة التي تفرض على العقل، ويرجع إلى التربية التي تكوّن الأفكار النافعة.
- السماح بروح التعليم والبحث الحر والقناعة الفكرية الواعية وقتل المعتقدات العمياء التي ترجع للسلطة.
- القاعدة الأولى أن لا نقبل أي فكرة ونبتّ بصحتها قبل أن نشعر بذلك بشكل بديهي، والثانية لا نضم فكرة جديدة إلى أفكارنا قبل التأكد من صحتها ووضوحها.

هذا الفكر هدم كل المذاهب القديمة في دراسة العلم والفلسفة.

التربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر:

في القرن الثامن عشر:

في هذا القرن ظهرت روح العلمانية التي تغلب على روح الكنيسة، وتمتاز التربية في هذا العصر بنزعتها النقدية الإصلاحية. حيث أصبحت روح الفلسفة ترتبط بالنظريات التربوية وقوانين ومبادئ التفكير الإنساني التي غيرت العادات الموجودة في تفاصيلها وإضافاتها، ذهبت باتجاه أن تصبح قومية وإنسانية وأكثر استعداداً للحياة بدلاً من الموت، وهذا ما حدث في الثورة الفرنسية، وهي فكره تربوية قومية شعبية خلقت مواطنين يعملون للوطن والحياة الحقيقية.

مبادئ القرن التاسع عشر[122]:

نشأة علم التربية:

أصبح لكلمة علم مكانة ولم تعد التربية مجالاً مخصصاً لتأملات الفلاسفة، ورسمت طريقاً واضحاً في التكوين العلمي، فالفلاسفة سابقاً لم يفكروا في تنظيم التربية وبنائها على أسس عقلية وعلمية.

هذه التربية التي كانت مطبّقة في المدارس التربوية التي كانت تعتمد على مفاهيم أولئك الفلاسفة، كانت الطرق تفتقر للتنظيم والاهتمام، تجمع أفكاراً مختلطة بين التقاليد القديمة والنظريات الحديثة، وقد حاول فلاسفة القرن التاسع عشر أن يجدوا حلولاً لتلك الفوضى وأن يضعوا قوانين تنظم العملية التربوية بالاعتماد على الروح العملية، وهذا ما سنتحدث عنه:

122 التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، د.عبدالله عبد الدائم/ دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان / ط1984/1.

محاولة الفلاسفة الألمان

حاول عدد كبير من الفلاسفة أن يمشوا بطريقة (كانط)[123]، وأن يربطوا بين النظريات التربوية لديهم بالطبيعة الإنسانية، كذلك كتب فيخته[124] (1762ـ1814) (خطب إلى الأمة الألمانية)، ومن خلال هذا الكتاب قال عن ضرورة وجود تربية قومية تساعد في إنعاش الأمة الألمانية، ومن هنا دعا لوجود تربية مشتركة وعامة بين أبناء الشعب جميعاً، ومحاربة الأنانية، وهذا أسهم في إحياء المجد الفكري والأخلاقي والمادي للبلاد، كذلك كتب (شليرماخر)[125] كتاباً اسمه (مذهب في التربية) نشر عام 1849 وعرض فيه مجموعة من الأفكار الجديدة أحدها قوله إن التربية الدينية ليست من عمل المدرسة، وإنما من عمل الكنائس والأسرة.

وكتب الكثيرون أيضاً مثل هربارت[126]، وشميت[127]، الكثير من المؤلفات التي تفيد التربية والنظرية التربوية.

---

123 إيمانويل كانت أو إيمانويل كانط هو فيلسوف ألماني من القرن الثامن عشر. عاش حياته كلها في مدينة كونيغسبرغ في مملكة بروسيا. كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوروبية الحديثة، وأحد أهم الفلاسفة الذين كتبوا في نظرية المعرفة الكلاسيكية.

124 يوهان گوتليب فيخته Johann Gottlieb Fichte (19 مايو 1762 – 27 يناير 1814) كان فيلسوفاً ألمانياً. وكان أحد مؤسسي الحركة الفلسفية المعروفة باسم المثالية الألمانية، وهي الحركة التي تطورت من الكتابات النظرية والأخلاقية لإيمانويل كانط.

125 فريدريك دانيال إرنست شليرماخر ، كان لاهوتياً وفيلسوفاً وعالم الكتاب المقدس، عرف عنه محاولته التوفيق بين الانتقادات الموجهة إلى التنوير مع المسيحية البروتستانتية التقليدية. كما أصبح مؤثراً في تطور النقد العالي، ويشكل عمله جزءاً أساسياً في مجال علم التأويل الحديث.

126 يوهان فريدريك هربارت، الألماني، هو فيلسوف ونفساني ومؤسس علم التربية كفرع أكاديمي، أثر كثيراً في نظرية التربية في نهاية القرن التاسع عشر. اعتقد هربارت أن التربية مرتبطة كثيراً بالأخلاق وعلم النفس، حيث توفر الأخلاق الهدف الشامل للتربية لبناء صفات أخلاقية قوية، ويزوّد علم النفس وسائل تحقيق هذا الهدف

127 كارل شميت (بالألمانية: Carl Schmitt) (ولد 11 يوليو 1888 – توفي 7 إبريل 1985) أحد أهم المفكرين الألمان وأكثرهم إشكالية في القرن العشرين.

محاولات الفلاسفة الإنكليز:

إن الفلسفة الإنكليزية كانت مجهزة ليكون لها دور كبير في الثورة الفكرية للتربية بسبب نزعتها وطابعها التجريبي العلمي، وفي مقدورنا أن نذكر بعضاً من المفكرين منهم هيربرت سبنسر.

هيربرت سبنسر[128]:

لو كان العلم يكفيه أن يحدد أهدافه تحديداً واضحاً، وأن نجد الطريقة الصحيحة في تكوينه لكان الكتاب الشهير في التربية الفكرية والثقافية والجسدية لـ هيربرت سبنسر مؤلفاً كافياً ووافياً محققاً لهذه الغاية، لكنّ هناك أمر يجب ألاّ ينسى وهو أن هناك فرقاً بين أن يقال إن علم النفس هو الأساس للتربية الدقيقة الكاملة، وبين رسم القواعد الصحيحة لهذا العلم.

وقد قال سبينسر لن تبنى التربية قبل أن يكون هناك علم نفس له قواعده الخاصة، وقال إن كتابه هو محاوله فقط، رغم أن كتابه كان خطوة كبيرة في سبيل بناء التربية ذات الأصول العقلية، والوصول إلى علم التربية.

وباعتبار كل مذهب تربوي له مذهب أخلاقي مرافق له أي معنى محدد في حياة الإنسان، ترافقه نظريته النفسية وقوانينها، ودائماً في التربية هناك قضيتان أساسيتان

الأولى ما هي المواضيع الدراسية التي تحقق الهدف للوصول لإنسان مثقف ثقافة صحيحة؟

والثانية ما هي الطرق التي يجب أن تطبق للوصول إلى تعليم الطفل بشكل

---

128 هيربرت سبنسر هو فيلسوف بريطاني.مؤلف كتاب "الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. كان سبنسر، وليس داروين، هو الذي أوجد مصطلح "البقاء للأصلح". رغم أن القول ينسب عادة لداروين. وقد ساهم سبنسر في ترسيخ مفهوم الارتقاء، وأعطى له أبعاداً اجتماعية، في ما عرف لاحقاً بـ الداروينية الاجتماعية.

سريع ودقيق؟ وما يجب ان يتعلمه؟

الأخلاق تجيب عن الأولى وعلم النفس يجيب عن الثانية.

وحسب خطة النظام للأجزاء المختلفة من الكتاب الذي وضعه سبنسر، فالفصل الأول فيه العنوان "ما هي أكثر المعارف نفعاً؟" ليس فيه سوى مجموعة من الأفكار والتأملات حول الأهداف النهائية، والأشكال المختلفة للفاعلية الإنسانية، أما باقي فصول الكتاب فيتحدث عن التربية الفكرية التربوية الخلقية والجسدية، وسنتحدث بالقليل عنها:

معنى التربية :

يعرفها سبنسر كالتالي: هي كل ما نقوم به من أجل أنفسنا، وكل ما يقوم به الآخرون من أجلنا، بهدف الاقتراب من الطبيعة الكاملة والمُثل العليا في التربية، وهو أن يعد الإنسان ليكون جاهزاً لمواجهة الحياة، يجب ألاّ نهتم بجانب ونترك الجوانب الأخرى مهما كان مهمّاً، وليأخذ كل جزء ما يستحقه من جهد. إن الغاية من التربية ان يصل الإنسان لمرحلة قادر فيها على معرفة إنماء الحياة الفردية والاجتماعية في جميع جوانبها، والاهتمام البسيط في الأمور التي لا تهدف لهذه الغاية.

نقد سبنسر التربية في عصره بأنها اهتمت بما هو غير نافع وتركت النافع في سبيل ما هو ممتع، حيث كانت الدراسات المطلوبة للزينة مرغوبة أكثر من الدراسات النافعة، وهذا كان واضحاً في النساء اللواتي يفضلن الصفات المتعلقة بالزينة فقط. ووضح سبنسر أنه لا يريد أن ينهي هذا النوع من التربية، لكنه يريد أن يتم تدريس أمور أخرى أكثر نفعاً. يرى أن على الإنسان أن يتعلم كل ما يزيد من سعادته وهو المقياس الحقيقي الذي يقدر به المواضيع التي يجب أن يتعلمها الإنسان، وهو ما نقرر على أساسه ما

هي الموضوعات التي نبعدها وما هي التي نقربها ونصنفها، وغاية التربية في نظره هي إعداد الإنسان للحياة الكاملة أولاً وأخيراً.

أصناف الفعالية:

الحياة المتكاملة تحتاج إلى فعاليات مختلفة، وصنف سبنسر هذه الفعاليات المختلفة ترتيباً تصاعدياً على النحو التالي:

اولاً: الفعاليات التي تهتم بحفظ الذات، فلا نفع من إنسان يكون خلوقاً ومواطناً جيداً، لكنه لا يقدّر ذاته ولا يحمي حياته.

ثانياً: الفعاليات الخاصة بصحه الجسد.

ثالثاً: الفعاليات العائلية التي يستخدمها الإنسان للاهتمام بعائلته وحماية أطفاله وتربيتهم.

رابعاً: الفعالية الخاصة بجهود الإنسان بخصوص حياته الاجتماعية والسياسية، وهي القيام بواجباته العائلية التي تقوم بدورها في بناء الحياة الفردية وتنميتها نمواً جيداً.

خامساً: الفعاليات الجمالية وهي ما يتوجب على الإنسان أن يتدرب عليها، تلك التي تفيد في إبعاد الفراغ الذي يسببه قلة العمل، فيرتوي بالفنون والأدب.

أثر الفعاليات في التربية:

أصبح سهلاً علينا أن نستوعب واجبات التربية، حيث إنه يتوجب على الفرد أن يعرف فرع المعرفة الملائم له، لتجعل منه شخصاً قوياً في جسده وصحته، وتنفعه بعدها بأن يكون عاملاً وصانعاً، ولتدربه على أن يخدم عائلته وبلده،

وأن تدعمه بكل الفضائل التربوية في المنزل، وتفتح أمامه ميدان الفن للترفيه والتسلية بكل أشكالها.

يرى سبنسر أن العلم أساس التربية بعد أن صنف حياة الإنسان إلى مراحل متتالية، وأصبح من الضروري أن نعلم ما هي فروع المعرفة التي تقابل كل خطوة من الخطوات السابقة.

العلم الذي يخدم الصحة والصناعة:

في المرحلة الأولى من التربية، تهتم هذه المرحلة بصحة النفس (بالذات)، وتكون الحاجة للعلم بسيطة، وعندما يكبر الإنسان يصبح محتاجاً للعلم بشكل أكبر، كذلك لا يقدر أن يستغني عن الفيزيولوجيا وعلم الصحة والفضل يعود لهما في تجنب الأعمال السيئة والأخطاء التي تؤذي الجسد. وفي ما يتعلق في الفعاليات المربحة التي تحتاج إلى العلم فهو يعرف أن المجتمع الحديث يهتم بالتعليم المهني والصناعي. ورأى سبنسر أنه لم يتم اتباع هذا المنهج الذي سيحقق النجاح الباهر، في العلوم جميعها، كاستخدام الرياضيات في صناعاتنا والميكانيك في الصناعات الآلية، والفيزياء والكيمياء في معرفه المادة وخواصها، وكذلك العلوم الاجتماعية التي لها علاقة بالتجارة. إن هذه العلوم يجب أن تنمّي المهارة وتطور الوعي في أي مهنة أو أي عمل من الأعمال.

العلم من أجل العائلة:

يرى سبنسر أنه من الضروري زيادة الوعي عند الآباء والأمهات حول واجباتهم المنزلية ووضعهم في حالة تمكّنهم من أن يربوا أولادهم التربية الصحيحة، وذلك من خلال تعليم الأهالي القواعد الطبيعية للجسم والنفس، أليس خطأ أن نربي أولادنا على المعتقدات والأوهام السابقة

والنصائح القديمة من الأجداد، وقد قررنا دائماً أن تربية الأولاد هي مهمة المرأة، ومع ذلك لا نعلمها شيئاً مما يجب أن تعرفه لتقوم بهذه المهمة بشكل صحيح. وهي جاهلة لقوانين الحياة والظواهر النفسية ولا تعلم أي شيء عن الانفعالات النفسية والجسدية، وهذا ما يجعل من التربية أمراً خطيراً وله عواقب وخيمة.

التربية الفكرية:

لا يكفي أن نخطط منهاجاً ممتازاً للدراسات الضرورية، وننسى أنه يجب البحث في الوسائل والطرق التي يجب أن نتبعها لتتم الاستفادة من هذه الدراسات التي تخدم العقل، ويرى أن التربية يجب أن تساعد على تطور وتنمية الفرد الذي يطور ذاته تدريجياً وفق قواعد ثابتة، وطاقة كافية أخذها من الطبيعة، التي وصلت إليه بالوراثة.

قوانين التطور الفكري:

يرى سبنسر أن أساسيات التربية لا يمكن أن تستنتج أبداً إلا إذا تم وضع قوانين التطور الفكري والنفسي والصحي وضعاً دقيقاً واضحاً لهذا حاول أن يضع بعض القوانين بنفسه:

- أن العقل ينتقل انتقالاً من السهل إلى الصعب ومن غير المحدود إلى المحدود.
- أي ثقافة تفيد التلميذ تعتبر تمريناً مفيداً ينشط ذهنه ويثير متعته.
- من الضروري أن نضع أمام الطفل مواضيع بسيطة للدراسة وبعدها نتدرج في تعقيدها لكي ينتقل تدريجياً إلى الحقائق والمفاهيم العقلية المعقدة.
- يجب أن تكون التربية عباره عن تكرار ونقل للحضارة الإنسانية
- يجب أن يعتمد الطالب على جهده الشخصي وليس على جهد وعمل المعلم.
- يجب إيجاد الطرق التعليمية التي تثير اهتمام الطالب.

التربية الذاتية :

يجب تشجيع العملية التنموية الذاتية ويجب أن نقوم بتعليم الأطفال أن يقوموا بالبحث والتنقيب من أنفسهم، وأن يرسموا طريقهم لأنفسهم فالإنسانية لن تتقدم إلا عن طريق التعلم الذاتي.

التربية الجسدية :

رأى سبنسر أن التربية الحديثة في عصره اهتمت بالتربية العقلية، وأهملت التربية الجسدية ورعايتها، ويرى أن حفظ الصحة هي إحدى الواجبات التي نسميها الأخلاق الجسدية، ويطلب سبنسر أن يتصرف الإنسان بالفطرة من ناحية حمايته لجسده وعقله.

التربية في القرن العشرين[129]:

سيقتصر حديثنا على العقود الأولى من القرن العشرين لأن الدخول في تربية هذا العصر يحتاج إلى مؤلفات واسعة، وسنخرج عن نطاق تاريخ التربية إذا تحدثنا عنها كلها، وسنتحدث عن مظاهر التربية التي تكلمت عن أمهات المدارس التربوية وأهم المربيين الذين ظهروا في هذه الحقبة، وعن التربية الحديثة وطرقها، وعن تطورها وتجديدها، سنتحدث عن مونتيسوري وكرولي وسنقدمه بشكل موجز وشامل للمبادئ التربوية الحديثة.

التربية الحديثة:

إن كلمة حديث تعتبر كلمة نسبية فما هو حديث الآن يعتبر قديماً في زمن آخر، وإذا نظرنا إلى التربية الحديثة من وجهة نظر التجربة التربوية في عصرنا هذا، فنجدها قد بدأت تخسر أهميتها وجديتها رغم أن أسسها ما زالت موجودة.

إن التربية الحديثة تدعو إلى تغيير طريقة التدريس المدرسية التقليدية: لوح وصف، معلم وتلميذ، مستمدة قوتها من الوسائل التكنولوجية الحديثة التي تجعل استعمالها في التعليم والتربية (راديو تلفاز أفلام التسجيل والتعليم في الهواء الطلق ووسائل التعليم الذاتي)[130]، كل هذه ثورة دعت إلى إلغاء المدرسة[131].

---

129 التربية عبر التاريخ، من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، د. عبدالله عبد الدائم / دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان / ط1 / 1984.

130 لسنا بصدد الحديث عن الثورة التكنولوجية الحديثة في التربية، نحن نذكر للقارئ الوسائل التي صدرت في صحيفة التخطيط التربوية، العدد 28 كانون الثاني ـ نيسان 1972 التقنيات الجديدة في التربية

131 إيفان إيليش المجتمع بلا مدرسة.

وهكذا نرى أن معتقدات التربية في القرون السابقة تعتبر قديمة وسط التربية الحديثة بعد ثورة التربية الجديدة، وهنا لا ننسى أن هذه التربية لها جذورها التي تربطها بما قبل القرن العشرين كما رأينا تباشيرها عند روسو[132] ابي التربية الحديثة، والعديد غيره.

المبادئ الرئيسية للتربية الحديثة:

تميزت التربية الحديثة بمزايا وصفات متعددة، وسنتحدث عن المبادئ التي جمعت بين المدارس وروادها، وما جعلها تسمى الحديثة مقارنة بالتربية التي كانت قبلها والتي عرفت بالتربية التقليدية.

المبدأ الأول:

التربية قبل العلم:

كانت التربية التقليدية تهتم بالعلم أكثر من التربية، أما التربية الحديثة فقد أعطت الأولوية للتربية، ومن بعدها التعليم.

رغم أن من الصعب الفصل بين العلم والتربية، ورغم أن التربية التقليدية اهتمت بالعناية التربوية بالجسد والنظافة والفكر الإنساني، فإن مبادئها كانت إعطاء الطالب كمّاً هائلاً من المعلومات والمعارف دون الاهتمام بالتربية الشخصية للإنسان، لكن التربية الحديثة فضلت التربية قبل التعليم والسبب يعود لاهتمام التربية التقليدية للمعلومات على حساب تكوين الشخصية للإنسان التربوي، وذلك في القرن التاسع عشر.

ووجهت عنايتها إلى تكوين الطفل بشكل متكامل بحيث يصبح أكثر علماً ومعرفة، وأكثر نضجاً ونمواً وانفتاحاً، قادراً على التفكير والمحاكمة، يمتلك

---

132 سنتحدث عنه بالتفصيل.

وسائله التعليمية وأدواته، والهدف هو إنشاء إنسان قابل للتعليم وليس إنساناً متعلماً.

أكدت التربية الحديثة على أهمية الاهتمام بتربية الفكر، وتربية الجسد والجمال والأخلاق، والتربية المهنية.

دعت إلى تكوين إنسان متكامل وليس إنساناً عبارة عن مجلدات ضخمة من المعلومات فوق جسمه وعاطفته، ويصبح إحساسه الفني معدوماً وأخلاقه مضطربة وقدراته العملية متبلدة.

يجب على الإنسان ألاّ يكتفي بتكلم عده لغات ومعرفة أسرار حساب اللامتناهية فقط، بل يجب أن يستحق الثقة ويكون مصدر السعادة لأسرته، ونافعاً للمجتمع الذي يعيش فيه، فالمعرفة لا تغني شيئاً بدون الأخلاق والتربية الحسنة.

المربي الحقيقي هو من يستطيع أن يربي الطفل ليكون إنساناً ذا مكانة وشخصية لها وزنها وأن يجعله قادراً على استخراج قوته الذاتية، وطاقة الإبداع لديه إلى أبعد حد.

في التربية الحديثة ليس مهمّاً أن تعلم الكثير من المعلومات، بل المهم أن يكون الفكر مدرباً على الملاحظة والبحث والتفكير، وتعليمه كيف يتعلم.

التربية الخلقية:

إن معنى هذه الكلمة في التربية الحديثة هو تكوين القلب والطباع والإرادة فأول أهداف التربية هي جعل الطفل يتعلق بما يجب أن يتعلق به، وأن يتربى على العادات الجيدة، وأن نزوده بقوه الإرادة الضرورية لإنقاذ ما يريد الحفاظ عليه.

وترتكز التربية الخلقية على ركيزتين، هما الحب والثقة، فالتربية تنجح عندما يحافظ الإنسان خلال حياته ونموه على محبة وثقة مربيه[133].

ولتحقيق أهداف التربية الخلقية يجب أن تتناسب هذه التربية مع اهتمامات الطفل في كل مرحلة من مراحله العمرية لتبدأ بقبول وحب الذات والتركيز عليها ثم في المرحلة الثانية تقبل سن المراهقة والصراع الاجتماعي ثم أن يتقبل طور البلوغ الذي بلغ عنده المعنى الخلقي الحقيقي.

التربية الشاملة:

إن التربية تطمح لتكوين الإنسان بكل جوانبه الشخصية أي تكوين فكره وخلقه ومعرفته وجسده، الاهتمام بعقله وقلبه وهما مرتبطان بالجسد، لذلك اهتمت اهتماماً خاصاً بالتربية الجسدية كالرياضة وأشكال أخرى، كما اهتمت بالعمل اليدوي الذي يخفف من متاعب العمل الفكري والهدف الحقيقي من التربية الحديثة هو بناء إنسان متكامل فكرياً وعقلياً ونفسياً وجسدياً متصالحاً مع نفسه بشتى ظروف الحياة.

المبدأ الثاني

إسناد التربية إلى علم النفس:

الطفل محور التربية: أكدت التربية الحديثة على ضرورة الانطلاق من الأطفال، من قابليتهم وميولهم وطبائعهم ومقوماتهم الشخصية، ورأت أن المحور الحقيقي والمركز الفعلي للعملية التربوية هو الطفل، ومن هنا أراد فلاسفة التربية الحديثة أن يعيدوا المعنى الحقيقي للتربية وأهدافها النبيلة، ونادوا بالثورة الكوبرنيكية في التربية

---

133 انظر: ترجمة بالعربية لكتاب التربية العامة، نشر دار العلم للملايين، ط2، 1972 ص497.

كلاباريد:

كان أستاذاً في جامعة جنيف، كان مديراً لمجلة علم النفس واستلم الإدارة حتى وفاته، وأهم مؤلفاته علم نفس الطفل وعلم النفس التربوي. فعل كما فعل كوبرنيكوس على بطليموس الذي قال إن الأرض ثابتة وتدور الشمس حولها، بينما كوبرنيكوس قال إن الأرض هي التي تدور حول الشمس، وهذه النظرية سببت انقلاباً في أغلب أمور الحياة، هذا ما فعله كلاباريد في التربية، حيث دعا إلى الثورة الكوبرنيكية وأساس هذه الثورة هو:"أنه يجب أن نجعل الطرق والمناهج تدور حول الطفل بدلاً من أن نجعل الطفل يدور حول المناهج التي كتبت بعيداً عنه".

إن التربية الحديثة غيرت مفهوم أن تكون التربية من الكبير للكبير، وأصبحت من الطفل إلى الطفل، وهو الهدف والمحور الأساسي، فهي تبدأ منه وشعار التربية (لأجل الطفل ومن الطفل) و(الطفولة هي الغاية الحقيقية).

تربية تعمها الثقة والسعادة:

وهكذا سعت التربية الحديثة إلى أن تخلق جواً من السعادة والثقة المتبادلة بين المعلمين والتلاميذ، والثقه المتبادلة بين التلاميذ أنفسهم، ولهذا كانت محاولات هذه التربية في أن تجعل من التلاميذ تلاميذ سعداء، والأصح أنهم يرون أن السعادة هي الهدف الوحيد لوجود الإنسان، وعلينا أن نساعد أولادنا للوصول لهذه الغاية، وهذه أيضاً محاولة لخلق ربط بين الأخلاق والسعادة. إن تربية الطفل على الأخلاق لم تبعده عن السعادة وبالعكس التربية على السعادة لن تبعده عن الأخلاق هما وجهان لعملة واحدة.

منتسوري ورياض الأطفال:

تحدثنا بشكل عام عن التربية الحديثة وبعض من مبادئها الأساسية في النصف الأول من القرن العشرين، وسننتقل بالحديث إلى القليل من التخصص بعد التعميم، وسنتحدث عن أهم الطرق التربوية الحديثة في القرن العشرين وأكثرها تأثيراً، وخاصة لأنها من الطرق التي طبقت مبادئ التربية الحديثة تطبيقاً عملياً، ومن خلال هذا التطبيق وضحت مواقع القوة والضعف في تلك المبادئ، وكذلك هي من الطرق التي لا تزال مستمرة وتدرس حتى يومنا هذا في معظم بلدان العالم، ولها متابعوها الذين اتبعوها وطبقوا قوانينها، وهي جزء مهم من التربية الحديثة وتطورها، وسنتحدث عن منتسوري وطريقتها على أنها الأكثر انتشاراً في هذا الوقت.

حياة منتسوري:

ولدت ماريا منتسوري في إيطاليا عام 1870 في مدينه شريفال من روما، وهي أول إيطالية تعلمت الطب ونالت شهادته، وهذه الدراسة الطبية النفسية، والوظيفة التي عملت بها سهلت لها الطريق في أن تملك أساساً علمياً قوياً سهّل لها ابتكار هذه الطريقة الجديدة التي سميت باسمها

فقد تم تعيينها مدرسة في جامعة روما وتمكنت من أن ترى دراسات الطبيبين ايتار[134] وسيفان[135] حول الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، وحاولت الاستفادة من هذه المبادئ وتطبيقها عندما كلفت في عام 1897

---

134 عاش إيتار في العام 1775 واشتهر بتجربته التربوية التي أجراها على مراهق عثر عليه الصيادون في غابة لاكون في فرنسا والذي سمي وحش الأفيوني، وهو طفل نشأ في تلك الغابة، حيث كان منذ ولادته معزولاً عن العالم. وجده إيتار. لا يشبه الإنسان في شيء فهو يمشي على الأربع ولا يدرك عن حياة الإنسان شيئاً فعالجه لفترة طويلة، وكان صبوراً جداً وتوصل إلى نتائج جيدة.

135 الدكتور سيفان 1813 فقد اعتنى مع الدكتورإيثار بالأطفال غير الأسوياء وألّف عدة كتب في الولايات المتحدة الأمريكية، وهما يعتبران من الأطباء الأوائل الرواد في مجال تربية الأطفال غير الأسوياء.

إداره قسم الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في مستوصف روما النفسي، وبعدها أصبحت مديرة لمدرسة حكومية تهتم بإعداد معلمي ذوي الاحتياجات الخاصة، وهي مرتبطة مع مؤسسة مدرسية للأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة، ولاقت نجاحاً كبيراً في هذا المجال مما جعلها تتأكد من أن طريقتها ستكون ممتازة للأطفال الأصحاء.

في عام 1906 قرر مدير لمؤسسة للبناء أن يؤسس سكناً كبيراً يجمع به الأطفال بإشراف معلمات وطلب من منتسوري أن تتعاون معه ووافقت بحماس.

اهتمت عدة سنوات بتربية الأطفال من عمر ثلاث سنوات حتى سبع سنوات وهكذا كانت فكرة رياض الأطفال أو ما كان يسمى بيوت الأطفال الأولى بين عامي (1907 - 1988). ولم يعجب منتسوري أن تكون هذه البيوت مثل الحظائر يدخل فيها الأطفال فقط، بل رغبت في أن تجعل منها مدارس هادفة تشبه منازل العائلة.

خصائص المدرسة الأساسية:

المبدأ الأساسي هو: يجب أن تتوفر في بيوت الأطفال البيئة المناسبة، ووسائل التربية الذاتية.

يجب أن تكون الوسائل ممتعة ومحببة للأطفال وتثير اهتمامهم، وأصبحت روضة الأطفال بيوتاً تناسب حاجات الأطفال، ويجدون فيها ما يهمهم قبل أي شيء، فالأثاث يناسب أطوالهم وأدوات الطعام وأدوات النظافة تناسب قوامهم، فبنت مكاناً يسمح للطفل بأن يعيش فيه بحرية، ويقوم بالأعمال التي تناسبه وتلبي حاجاته.

تقول منتسوري (يجب أن يجد الطفل في بيته الحرية بفعالية، وأشياء تنظم تلك الفعالية تنظيماً ذا صلة مباشرة بتنظيمه الباطني الذي ينمو وفق قوانينه الطبيعية)[136].

المدرسة المنتسورية:

لا يترك الطفل وحده إلا ظاهرياً، وصحيح أنه يترك يتصرف بحرية ولا يفرض عليه عمل لا يحبه إلا أن الأدوات التربوية الموجودة توجه اهتمامه باتجاه الأمور التي رسمت له، إنها تختلف عن الطريقة التقليدية إلا أنها رسمت منهاجاً مرتباً ومجهزاً مستقلاً، وقد أخذت تصوير أدواتها من الطبيبين إيتار وسيفان وطورتها وعدلتها. وهدف هذه الأدوات التثقيفية هو تنمية الحواس وتعلم القراءة والكتابة والحساب. وكانت وسائلها التعليمية مثل مسبحة يتعلم بها الطفل الحساب والأرقام وأحرفاً مصنوعة من ورق، وألعاباً، وبهذه الطريقة يكون الطفل يلعب ويتعلم باللعب.

دراسة الطفل:

أدركت منتسوري وجود فروق فردية بين الأطفال في الصحة والذكاء والاهتمام، لهذا خصصت لكل طفل بطاقة جسدية نفسية تضيف إليها أي معلومة جديدة عن الطفل تسجل عليها الملاحظات حول الوظائف الفيزيولوجية الرئيسية مثل قصر النظر أو كساح الأطفال إلى آخره، وتراقب أيضاً النمو الفكري الحياتي للطفل.

احترام الطفل:

إن مدرسة منتسوري من أكثر المدارس التي أعطت الطفل حريته فكان

136 ماريا منتسوري (كتاب التربية العملية) الجزء الثاني، ص 40.

النظام أساسه أن يقوم الطفل بما يحب وينظم نفسه بنفسه، أما الطفل المشاغب أو العصبي أو الذي يسبب مشاكل فكانت تدرس حالته الصحية فإذا وجدت حالة مرضية عزلته واهتمت به حتى يتحسن.

السيطرة على النفس وضبط الحركات:

يتم تعليم الطفل أن يقوم بتنفيذ مهامه بنفسه، على أن تكون أموراً بسيطة، ويكون قادراً على القيام بها، مثل أن ينسق بعض العينات ويجمع ما يتشابه بها ويسمى في أيامنا تعليم الأنماط، وأن يتعلم الاستقلال والاستغناء كأن يلبس ثيابه ويبدلها بمفرده ويغسل يديه ويهتم بنظافته الشخصية، والنظافة العامة بالبيت، وأن يتحرك بدون ضجيج أو فوضى.

من الحواس إلى الذكاء:

إن التربية الفكرية هي المبدأ الأساسي عند منتسوري، فهي تربي الحواس بطرق وأدوات متميزة، وهي إحدى عشرة مجموعة:

- ثلاث مجموعات من الأسطوانات ذات الارتفاعات والأقطار المختلفة.
- ثلاث مجموعات من الأشكال الهندسية ذات الأبعاد المتزايدة.
- مجموعتان من عشر علب من الخشب ذات أحجام مختلفة من واحد إلى عشرة.
- أشكال هندسية مختلفة (دائرة، مخروط، أسطوانة، أهرامات، مواشير).
- لعبة أساسها إدخال الأشكال الهندسية داخل بعضها.
- مجموعة من اللوحات الخشبية ذات أوزان مختلفة.

- مجموعات أوراق مختلفة، رنانات صوتية، مجموعة مزدوجة من بكرات الخيوط لها ثمانية ألوان كل لون له ثمانية أقسام.

تربية حاسة اللمس:

تنمية مهاره اليدين، وذلك عن طريق أنشطة يقوم بها الطفل، يتدرب عليها ويقوم بها بسرعة، وأن يتعلم الأشياء من اللمس دون النظر إليها. كأن يعرف قطعة قماش عن طريق اللمس وليس النظر، ثم أن يعرفه أنه قماش قطني أو صوفي.

التربية النظرية:

يبدأ بلمس الأشياء، بعدها يتدرب على معرفة الألوان، وبعدها يتدرب باستعمال بكرات يلف عليها ألواناً صاخبة الأحمر والأخضر والأزرق والبنفسجي وعلى الطفل أن يعرفها، ويسمي هذه الألوان، وتعرض عليه الألوان من درجات وصبغات تصاعدية وتنازلية.

التربية السماعية:

تعتبر هذه التربية أساس التربية الموسيقية وتعطيها منتسوري قيمه كبيرة، فعن طريق هذه الحاسة تعرف الطفل المضطرب من حركاته غير المنتظمة، ومن خلال ذلك ابتكرت منتسوري طريقة وتدريب الصمت، حيث تطلب من الأطفال الجلوس دون إصدار أي صوت، وهذا ما يعلم الطفل قياده نفسه بنفسه، وكذلك اتبعت أسلوب الاستماع في الظلام.

التربية الشمية أو التذوق:

اكتفت ببعض التمارين البسيطة في تذوق الطفل طعوماً مختلفة وهو مغمض العينين، ثم يتعرف إلى طعم ما يأكل.

استهدفت بعض التمارين مثل التحكم بالعضلات والتركيز الفكري والانتباه.

اكتساب المعارف:

أولاً ــ إن تربية الحواس بالشكل الذي تحدثنا عنه هو أفضل طريقه للطفل للقيام بالعمليات الفكرية برأي منتسوري، حيث إنها ترتب المعارف بشكل عقلاني، فتبدأ بالرسم والكتابة والقراءة، وبعدها يأتي الحساب والنحو، يعطى الطفل أشكالاً هندسية متنوعة، ويضع كل شكل في الفراغ المناسب،

ويكرر ذلك حتى يحفظه، وبعدها يتغير ويعطي أحرفاً، ويوضع الحرف في الفراغ، وهكذا حتى يحفظها. بعدها يعطى مقاطع كتابية، وبعدها يشكل الكلمات، وهكذا يكتشف الطفل أنه قادر على كتابة كلمة، وهنا يكون الإنجاز بالنسبة له.

وكل أساليب التعليم تعتمد على أدوات بسيطة ليتعلم بها الطفل بدلاً من الورقة والقلم بالطريقة التقليدية.

نقد طريقة منتسوري:

رغم أن طريقتها اجتاحت العالم إلا أن الذين نقدوها كثر، حيث قال أحد المربّين: ليس كل من أحضر أدوات منتسوري استطاع أن يستعملها بالشكل المناسب. ذلك أن طريقة منتسوري اعتمدت التربية الميكانيكية، وهي طريقة فيها تعجيل في نمو الطفل عن طريق إغراقه بالكثير من الوسائل التربوية والتعليمية.

جان جاك روسو:

ولد في جنيف وفي عمر العشر سنوات دخل إلى مدرسة خارج جنيف، تعلم الفلاحة وعمل البساتين، وفي عمر التاسعة عشرة تعرّف إلى السيدة دي وارنر التي أدخلته في مدرسة للموسيقى، درس اللغة اللاتينية، وفي عام 1741 رحل إلى باريس، ووجوده في باريس سمح له بالتقرب من زعماء الحركة التنويرية كفولتير وديدور، وقد تزوج وأنجب 6 أطفال أدخلهم في جمعية رعاية الأطفال.

لم تكن حياته حياة الرفاهية، وإنما عاش بالشقاء والبؤس. هذا الشيء قربه من أسرار المجتمع وما فيه من مفاسد، وأصبح يعطي رأيه بالتربية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية دون أن يهتم بالعواقب.

كتب مقالة عن الفن والتعليم، ومقالة عن عدم المساواة بين الناس، وعن الاقتصاد.

المؤثرات التي مهدت لظهور الفكر التربوي (الحركة الطبيعية):

إن تطور الفكر التربوي في القرن الثامن عشر في أوروبا أدى إلى ظهور حركة التنوير التي عمت فرنسا وألمانيا، وقد ظهرت بعد عدة حركات حصلت في القرن السابع عشر ميلادي سهلت الطريق لظهور الحركتين الطبيعية والتنويرية. وهذا يعني أن كل الحركات الجديدة في القرن الثامن عشر هي على صلة بما كان في القرن السابق، وهذه الظروف والمؤثرات تشير إلى ما يلي:

المؤثر الأول:

كان أول مؤثر النظام الإقطاعي الذي كان يستنزف الشعب ويهلكه ويحلل الطبقية، حيث زاد البذخ في طبقة الأغنياء، وزاد الفقر في طبقة الفقراء، وأدى ذلك إلى سوء الأحوال المعيشية، اجتماعياً، اقتصادياً، وروحياً، وكانوا يعيشون في كبت للحرية، وصار الدين عبارة عن طقوس لا معنى لها.

المؤثر الثاني:

ظهور العديد من الحركات التربوية المتحررة في القرن السابع عشر، كانت تقام ضد أفكار الكنيسة في تلك الفترة ومنها: حركة التطهير، مذهب التقوى في ألمانيا، وحركة جانسينيزيم في فرنسا، وحرب اليسوعيين ضد المدرسين.

المؤثر الثالث:

ظهور ثلاث حركات فلسفية هي

1. الحواس ذات قيمة كبيرة وترأسها توماس هوبز.
2. للعقل قيمة كبيرة وترأسها رينيه ديكارت.
3. قيمة الخبرة مهمة جداً كمصدر للمعرفة ترأسها جون لوك.

نستنتج أن مفهوم فلسفة التربية برأي روسو أنها عملية رفع شأن الطبيعة البشرية، ودعا إلى تنظيم المجتمعات وإعادة إحياء الدين، والإيمان والعواطف ولا يتم كل ذلك التطور إلا إذا بدأنا من الأساس وهو تربية الطفل واحترام احتياجاته وميوله وما يتساير مع قوانين الطبيعة.

آثاره في الفكر التربوي:

إن التربية التي أبرزها جان جاك روسو لها قيمة كبيرة في الفكر الفلسفي والسياسي والتربوي المعاصر له، ومنها:

- أولاً: أن النهاية الأسمى للتربية هي تحقيق النزاعات الطيبة، وتقويتها في الطبيعة البشرية عن طريق المجتمع ومؤسساته.
- ثانياً: أن الإنسان كائن طيب بالفطرة، وإذا كان المجتمع فاسداً فسد مثله وإذا كان طيباً تطبّع الإنسان بالطيبة، وهذا هو طبع الطبيعة البشرية.
- ثالثاً: إن الإنسان يجب أن يتعلم من الطبيعة.
- رابعاً: يجب أن يتعلم الإنسان الدروس دون تصارع وتنازع، بل بالتناغم والتناسق.
- خامساً: لا يمكن أن نسيطر على الطبيعة فقط علينا أن نتماشى ونتعايش مع ما تحدده لنا.
- سادساً: يجب أن تتفق المخيلة والمشاعر والمعتقدات العقلية مع الميول والرغبات الطبيعية.
- سابعاً: أن نقدر ونحترم براءة الطفولة، وأن نجعلهم يعيشون في سعادة وحرية.
- ثامناً: يجب تعويد الطفل على الاعتماد على نفسه.
- تاسعاً: عدم تنبيه وتوبيخ الطفل أكثر من اللازم كي لا يكون كالعبد، ولا تجب مسامحته أكثر من اللازم فتجعله خارج الطريق الصحيح.

- عاشراً: شجع على أهمية أن يتعلم الطفل عن طريق الخبرة.

أفكاره التربوية

كان لآرائه رد فعل متطرف للفساد الذي كان سائداً في مجتمعه، وكان يعتقد أن الطبيعة خيرة، وأن الشر الموجود هو من صنع البشر، أي أن أي شيء من الله هو جيد وجميل وتفسده يد الإنسان.

كتب كتاب "إيميل" تحدث فيه عن تربية الطفل من لحظة ولادته حتى الخمس سنوات، أبدى رأيه في التربية التقليدية عن طريق كتابه إيميل بشكل عنيف، ورفض العادة القديمة بوضع الطفل في اللفافة منذ ولادته ورفض الكفن، حيث قال إن الإنسان يولد ويموت مقيداً.

ويرفض تعليم الطفل لعدد كبير من المفردات أو أن يردد كلمات لا يفهمها.

يرى أن من عمر الست سنوات حتى العاشرة هي أهم مراحل نمو الإنسان، لذلك يجب أن يترك الطفل على سجيته يأخذ معلومات عن طريق الحواس والملاحظة، فالتربية الحقيقية تأتي من الطبيعة، وواجب الإنسان هو مساعدة الطفل على فهم دروس الطبيعة.

النظريات التربوية[137]:

التفكير التربوي هو نقطة الانطلاق الأساسية في تعزيز القيم الأخلاقية في المجتمع، وهو الدعامة الأولى لبناء المجتمع الأفضل. وإن التطور الحضاري لبناء مجتمع متحضر جديد يستند إلى عمليات التربية في الماضي والحاضر والمستقبل.

تمثل النظرية التربوية عنصراً هاماً في إنشاء المستقبل، فهي تمثل خيوط العلاقة الاجتماعية التي يحتاج إليها المجتمع لتنظيم سلوكيات البالغ المؤسسة التي يعمل بها، بحيث يكون هذا التنظيم والتأهيل منسقاً لمواجهة التحديات، ولهذا فإن معنى النظرية التربوية يختلف من مجتمع إلى آخر[138].

تعريف النظرية التربوية

النظرية من الفعل نظر ومعناها: تقصَّى معناه أو حاول فهمه، في القرآن الكريم (قل انظروا ماذا في السماوات والأرض)[139].

اصطلاحاً معناها مجموعة من القضايا والمفاهيم توضح العلاقة بين الواقع وتنظمها بطرق لها دلالة ومعانٍ، وتوجد شروط لتصبح النظرية مجموعة من القضايا وهي:

- يجب التحديد الدقيق للمفاهيم التي تعبّر عنها القضايا.

---

137 محاضرة مقياس المذاهب ونظريات تربوية معاصرة، إعداد الدكتور بن عمارة سعيدة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة محمد أمين دباغين، سطيف 2، الجزائر، السنة الجامعية 2016 – 2017.
138 حسان ner 2009.
139 يونس الآية، 101.

- ينبغي أن تكون القضايا متسقة، مع بعضها.
- يجب أن ترتب القضايا بشكل يسمح بالاشتقاق منها والاستنباط.
- أن تكون القضايا ذات قيمة وتكون سبباً في تنمية مجال المعرفة[140].

تعريف التربية من الفعل ربما، تعني النمو والزيادة تقول الآية الكريمة (وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج) [141].

فالتربية هي عملية ممارسة وتكرار متكاملة، تستهدف نمو واكتمال إمكانات الفرد البشرية العقلية والجسدية، النفسية، الاجتماعية، والوجدانية، وتكون العملية ناجحة إذا شملت النواحي السابقة كاملةً.

النظرية التربوية

هي التجهيز والتخطيط المسبق المتكامل لما يرغب في أن يكون عليه الإنسان في المستقبل، وما يتقنه من مهارات، وما يتصف به من عادات وتقاليد أو ميول، ولما يرغب في أن تكون عليه المؤسسة الاجتماعية والعلاقات بينها، مع مراعاة القوانين النفسية والأسس التعليمية وهي مراعاة الفعاليات التي لها إنتاج كبير مقابل مدخول صغير[142].

النظرية التربوية تضيف وتتخذ القرارات بما يجب أن يكون عليه الجيل الحالي، وتوجه وترشد العمليات التربوية. وتستند النظرية التربوية بمعناها إلى العقيدة أو الفلسفة السائدة في المجتمع سواء كانت دينية أو فلسفة مثالية أو مادية أو طبيعية. ويتعلق هذا المعنى بعوامل متعددة منها

---

140 جونز، 2015، ص 7.

141 الحج، الآية 5.

142 الكيلاني، 2005، ص21.

الحضارة السائدة وظروف العصر والأهداف الاجتماعية والسياسية والمستوى الاقتصادي

مكونات النظرية التربوية:

تتكون من قسمين: قسم نظري، وقسم عملي تطبيقي.

القسم النظري:

- أصول النظرية التربوية:

تتكون أصول أي نظريه تربوية من ثلاثة عناصر أساسية هي:

- الحاجات الحاضرة.
- الصعوبات المستقبلية.
- الخبرات السابقة، وتتعدد الأصول التربوية بتعدد مظاهر الحاجات والصعوبات والخبرات فهناك:

- أصول فلسفية: أساسها تحديد الغاية التي يحيا وينمو الإنسان المتعلم من أجلها.
- أصول نفسية: أساسها مساعدة المتعلم ليكتشف ذاته ومراحل حياته، وأن يحقق أهدافه التي يحلم بها.
- الأصول الاجتماعية والثقافية: وأساسها إدراك قوانين الصحة العامة وأمراض المجتمع.
- الأصول السياسية الاقتصادية: وأساسها، تنمية مهارات العمل، وتفجير الطاقات التي يحتاج إليها الإنتاج والإنفاق في العصر الحالي.

باعتبار أن الفلسفة التربوية هي تحديد المكونات الأساسية لشخصية الإنسان الذي تهدف التربية إلى بنائه، والمجتمع الذي غايتها تنميته ضمن علاقات ومنابع، تجسيد هذه العلاقة على أرض الواقع التربوية.

سنجدها تركز على أربعة أساسيات وقضايا: الوجود - المعرفة - القيم - والطبيعة الإنسانية، ويشترط في كل نظام تربوي أن تكون برامجه ومؤسساته متكاملة لبناء متعلم يحمل معلومات شاملة ومفصلة عن كل قضية من القضايا.

وتعتبر الفلسفة التربوية في المركز الأول من العملية التربوية، ومن خلال هذه الفلسفة نستخرج أهداف التربية العامة والخاصة، ومؤسساتها ومناهجها، والوسائل والطرق المستخدمة في التعليم والتوجيه، ومن خلال هذه الفلسفة تخرج أنماط السلوكيات عند الإنسان في نشاطاته وممارساته كافة[143]، فإذا كانت الفلسفة التربوية ديمقراطية، فإن السياسة والاقتصاد والمدارس تكون ديمقراطية في المجتمع.

أهداف التربية :

إنها المكون الثالث من مكونات النظرية التربوية، وهي بنت الفلسفة التربوية، وتعطي تفاصيل أكثر دقة وواقعية لما يأتي في هذه الفلسفة من أفكار وأهداف.

وتقسم الأهداف إلى عدة مكونات: معلومات -مهارات عقلية عملية - ميول - عادات - قيم - والعلاقات الاجتماعية.

143 كيلاني، 2009.

الأهداف التربوية:

هي مجموعة المتغيرات التي يُرغب في الحصول عليها في سلوك الفرد، وفي ميوله وممارساته في المجتمعات الإنسانية وتجزأ الأهداف إلى أهداف المقاصد العليا التي تعمل التربية على تحقيقها والأهداف التي تشمل الوسائل والأدوات ذات الفاعلية لتحقيق الأهداف السابقة أي المقاصد العليا. وهناك مجموعة من الأهداف التي تعطي النظرية التربوية مكانةً عاليةً، ومن أهمها:

1. دراسة طبيعة الظواهر التربوية وما تتميز به من خصائص وصفات، وهذا ما يجعلها موضوعاً مهمّاً بعلم الاجتماع التربوي.
2. التعرف إلى نشأة وتطور الواقع الثقافي الاجتماعي الشخصي المرتبط بالمظاهر التربوية.
3. فهم العلاقة التي تربط الظواهر التربوية ببعضها من حيث طبيعتها وارتباطها بالظواهر الاجتماعية.
4. معرفه الوظائف الاجتماعية التي تقوم بأدائها الظواهر التربوية بالنسبة للجانب الاجتماعي والثقافي في المجتمع.
5. تحليل المضمون الإيديولوجي للتربية وأثره في العملية التربوية.
6. تحديد القانون الاجتماعي العام الذي يحكم الظواهر التربوية وما يرتبط بها من وقائع ثقافية شخصية اجتماعية.
7. جعل التربية هدفاً للتقدم الاجتماعي.

القسم التطبيقي:

هو القسم الثاني من النظرية التربوية ويتألف من:

أولاً: المناهج

يعتبر المنهاج التربوي الخطوة الأولى في التجديد والتحسين، لذلك يأخذ موقعاً استراتيجياً حساساً في العملية التعليمية فهو أفضل وسيلة لإصلاح العلم، حيث يجدد ويحسن العلم بتجديد لتطوير وتحسين المناهج بمعناها الشامل. ومن خلال هذا أصبح المنهاج ودراسته وتخطيطه وتطويره عملاً جوهرياً في ضوء قيم الفلسفة والاجتماع والسياسة والحضارة، ذلك في المجتمع الذي تقدمه المؤسسة المدرسية. ومن هذا فإن المنهاج هو الدعامة الرئيسية في بناء التربية والتعليم، ووضع المنهاج يحتاج إلى الكثير من الدقة في المسائل التربوية.

والمنهاج تعريفاً هو مجموعة من القيم والمعارف والمعتقدات والاتجاهات التي تدفع بالذين اكتسبوها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، واعية أو غير واعية، إلى القيام بأنماط تفكير معينة وسلوك معين، وينجحون في تقديمه بدرجات مختلفة.

وكذلك يمكن تعريفه بأنه مجموعة نشاطات مندمجة مع بعضها، ويتم تخصيصها بخبرة علمية ومعرفية عالية لتحقيق الأهداف المطلوبة.

وهو خطة مستقبلية تتضمن الأهداف والغايات والمضامين والأنشطة التعليمية وطرق التعليم وأساليب التعليم.

وأخيراً المنهاج بمفهومه المبسط: هو مجموعة من الإمكانيات التربوية التي جهزتها المؤسسات التعليمية التربوية من أجل الوصول إلى المقاصد

والغايات التي حددتها الفلسفة والأهداف التربوية التي ذكرناها سابقاً.

وهناك ثلاثة أنواع للمناهج ميزها بيرينو:

- منهج واضح وموجّه هو الذي يحدد الصياغة.
- منهج واقعي يمثل الصياغة والمرجعيات التي تبني تجارب وخبرات المتعلم.
- منهج خفي ويمثل التجارب والخبرات التي ساهمت في التكوين وهي غير قابله للملاحظة[144].

ثانياً: المؤسسات:

تتعدد المؤسسات بتعدد حلقات السلوك (الأفكار والإرادة والممارسة الفردية) والحاجات والصعوبات التي يواجهها المجتمع خلال رحلته في التغيير الإنساني، ولهذا فإن مؤسسات بأنواعها ومسؤولياتها ما زالت تقوم بتطوير مستمر حسب الحاجات الموجودة في العصر والصعوبات الموجودة، ويمكن تقسيمها إلى خمس مؤسسات:

- مؤسسات التنشئة: وأساسها الأسرة.
- مؤسسة التعليم: وأساسها في بدايتها في المدرسة ونهايتها بالجامعة.
- المؤسسة الإرشادية: وأساسها الإعلام ومؤسساته.
- والمؤسسة البيئية العامة: وأساسها الإدارة[145].

ويمكن الفصل بين حلقات السلوك وبين عمل المؤسسات، حيث تجب

---

144 غريب، 2006، ص237.

145 الكيلاني، 2009.

المحافظة على التفاعل والتكامل وفق مخطط تنظيمي علمي يحدد دور ونظام كل مؤسسة في المجتمع، حيث إن تفرّق هذه المؤسسات يؤدي إلى تفرّق في شخصية الإنسان وتقلّبها فكل مؤسسة تتعامل مع الفرد بشكل منفصل ابتداء من طفولته إلى كبره وإن لم تتفاعل وتتكامل سيتشتت الفرد، وهذا حال المجتمعات العربية للأسف.

ثالثاً: الوسائل والطرق التعليمية:

إن قيمة الأساليب والوسائل التي حددت فعالياتها وإسهاماتها في صقل هوية الفرد المتعلم واستنباط قدراته وفضائله، تجعله قادراً على أن يستخدمها في بيئته، وتعطيه الوعي بأجزاء الزمن الماضي والحاضر والمستقبل، لتكون النتيجة النهائية وصوله لمركز محترم في المجتمع. ويقال إن الأساليب التربوية الحديثة رغم أنها ساهمت بشكل كبير في التقدم العلمي والتكنولوجي إلا أنها انتقصت من الإنسانية، وركزت جهودها على تأهيل الإنسان ليكون فاعلاً في مكان العمل والإنتاج، وتستعمل الأساليب والوسائل التربوية البيداغوجية[146] في مفهومها العام للدلالة على مجموعة من الأساسيات والتوجهات التربوية التي تميز وضعية تربوية معينة، بما فيها من بُعد بالعلاقات والتنظيمات والأخبار، كما تستعمل لتدل على الأشكال المحددة في العمل الديداكتيكي[147].

146 البيداغوجيا أو علم التربية هو مصطلح تربوي أصله يوناني ويعني لغوياً العبد الذي كان يرافق الأطفال إلى المدرسة. من الصعب إيجاد تعريف محدد للبيداغوجيا، وذلك يرجع، إلى ارتباط المصطلح بمصطلحات مجاورة.

147 الديداكتيك هي شق من البيداغوجيا موضوعه التدريس وإنها، كذلك نهج ، أو بمعنى أدق، أسلوب معين لتحليل الظواهر التعليمية (Lacombe .D.1968) .

أما بالنسبة لـ B.JASMIN فهي بالأساس تفكير في المادة الدراسية بغية تدريسها، فهي تواجه نوعين من المشكلات : مشكلات تتعلق بالمادة الدراسية (وبنيتها ومنطقها .. ومشاكل ترتبط بالفرد في وضعية التعلم، وهي مشاكل منطقية وسيكولوجية... (JASMIN .B1973) - ويمكن تعريف (الديداكتيك) أيضاً حسب

(REUCHLIN): كمجموع الطرائق والتقنيات والوسائل التي تساعد على تدريس مادة معينة (Reuchlin.M.1974) .

الوسائل:

هي المواد التي لا تعتمد على القراءة والألفاظ والرموز لمعرفة معانيها وفهمها، هي الوسائل التي يمكن استخدامها لزيادة النجاح والخبرات الدراسية للتلميذ.

هناك عدة أنواع لوسائل المساعدة، منها:

- أنواع مستخدمة: السبورة - الوثائق - الأشرطة - التسجيلات - الخرائط - العينات - الكتب تحت الرسوم البيانية .
- أنواع مقترحة : فيديو – مسلط عاكس - تلفاز - حاسوب[148] .

وتتصف الوسائل بثلاث صفات سائدة – معززة – مكررة:

- السائدة: تتحكم بالدرس من البداية حتى النهاية.
- معززة: تؤكد المعلومة وتعززها.
- مكررة: تأتي لتوضيح المكتسبات السابقة.

المشهد التربوي في نهاية القرن العشرين:

إن القرن العشرين أخرج علوماً تربوية متنوعة، فظهرت مدارس واختفت مدارس أخرى، وتمت إعاده نظريات قديمة كانت منسية، وما نحن عليه اليوم كان نتاج جهود ضخمة وولادة عسيرة، ويجب علينا القيام بدراسة مبسطة على المشاهد التربوية في القرن الماضي الذي ترك أثراً واضحاً في رسم السياسة التربوية في أغلب بلدان العالم، وأحدث تغييراً نوعياً في مفاهيم التربية وأهدافها.

---

148 غريب 2006 ص 652.

النظريات التربوية الأوروبية ومذاهبها الفكرية:

اتسمت النظرية التربوية بتنوع نظرة المفكرين والفلاسفة والعلماء الأوروبيين للتربية، وهي عباره عن مجموعة من الأفكار الجديدة التي أطلقها الفلاسفة والمفكرون على تنظيم العلاقات التربوية في مجتمعاتهم من أجل بناء إنسان في جميع جوانب حياته ومجالاته. ومعظم رواد النظرية التربوية ذوو اتجاهات مادية علمانية، وتركزت بشكل عام على أفكار وأحلام أطلقها هؤلاء الفلاسفة على التربية.

مذاهب النظريات التربوية الأوروبية

المذهب المثالي:

هي فلسفة أفلاطون التي تدّعي وجود عالمين: العالم المحسوس والعالم المعقول، الأول يتكون من الأجسام أو الماديات، والثاني يتآلف في موجودات مجردة، تلك النظرية تبدأ من الصدارة المطلقة للروح على المادة، وتُعنى أساساً بكامل الروح المثالية، ومن هذه المعلومات يتضح لنا الطابع النظري الذي يكتسبه التعليم في إطار النظرية المثالية، حيث إن الغاية من التربية يعود بالدرجة الأولى إلى تمسك العقل بالتراث الفكري والعقلي الذي تركته الأجيال السابقة، وأصبحت تعامل كأنها مقدسة، وتنتقل حرفياً، وأصبحت تتصل بالماضي بدون الحاضر والمستقبل.

المذهب الطبيعي يهتم بالجسد وما به من ميول وعواطف وغرائز، ويعطيها أهمية كبيرة عكس المذهب المثالي. ويعتبر جان جاك روسو من رواد هذا المذهب، ويؤخذ من هذا المذهب حصر نطاق تربية الطفل بين عمر الخامسة

وحتى الثالثة عشرة، ولا يربى فيها الطفل أبداً، وإنما يترك وحيداً محاطاً بأدوات ووسائل من شأنها أن تنمي مداركه.

المذهب البراجماتي[149]:

من مميزاته أن له نظرة بعيدة المدى في الأشياء الأولية، والقوانين والأساسيات الحتمية والمسلّم بها، ويحرك اهتمامه باتجاه الأهداف من الأشياء، كالنتائج والآثار، لأن مركز اهتمامه ليس الحقائق الثابتة، وإنما على ما يحصل عليه الفرد من منافع يستخدمها في حياته العملية. وبما أن حركة الحياة متنامية في تياراتها فإن الحقائق الحديثة تمحي الحقائق السابقة وتتلاشى، فلا شيء يبقى ثابتاً، في هذا المذهب هم على قناعة بأن التربية والنمو وجهان لعملة واحدة.

وطبعاً لها عيوب أن نظرتها للتربية محدودة حيث اهتمت بالحياة الحاضرة دون الاهتمام بالحياة المستقبلية، مما يجعلها تخسر قاعدة متينة من الأهداف والمبادئ الثابتة التي تضبط حركة الحياة، وهذا الأمر أيضاً يجعل الفرد في ضياع وقلق ويتأرجح بين أحداث الحياة المغيّرة، وهذا من أسباب نسيان الجانب الروحي في الإنسان وابتعاده عن الإيمان.

النظرية التربوية من منظور الأوروبي:

إن عملية بناء الإنسان صالحاً يعدّ من الأهداف التربوية التي تسعى إليها جميع الأنظمة التربوية باختلاف مبادئها ومفاهيمها، ويكمن الاختلاف بين الأنظمة التربوية في نقطتين رئيسيتين:

---

149 البراجماتية هي فلسفة تشجع الناس على "أن يبحثوا عن الطرق، وأن يفعلوا الأشياء التي تحقق أهدافهم بشكل أفضل، لمساعدتهم على تحقيق غاياتهم المرغوبة" . (تشارلز بيرس) هو الشخص الذي صاغ كلمة البراجماتية (وهي كلمة يونانية تعني العمل) في عام 1870. ويقول (بيرس) "إن (الحقيقة والمعرفة) هما نتاج أفعالنا، وإن كل ما نعرفه في هذا العالم هو نتيجة لـ التحقق والبحث عن إجابات، وهذا البحث والتحقق هو (نشاط) قمنا به نحن".

أولاً: تعريف الإنسان الصالح وتحديد معنى الصالح ثم الأساليب التي تستخدمها هذه النظم لتحقيق غاياتها.

المنظور الإنكليزي:

الإنسان الصالح هو الشخص الذي تحاول التربية إعداده وتأهيله عبر مجموعة من المراحل والعمليات.

المنظور الفرنسي:

المربون الفرنسيون يرون أن الإنسان الصالح هو ذلك المواطن الذي له ثقافة تقنية تسمح له بأن يعيش في المجتمع التقني الأمريكي.

المنظور الشيوعي:

ترى أن الإنسان الصالح هو الإنسان المؤمن بالعقيدة الشيوعية والملتزم بأحكامها،

ومهما اختلفت النظريات التربوية في العالم فإن الفكر السياسي الاجتماعي الذي يعم هذا المجتمع يتطبع في الفكر التربوي الخاص بهذا المجتمع.

وقد اختلف العلماء التربويون الأوروبيون على مفهوم التربية اختلافاً كبيراً، وذلك لاختلاف الفلسفة التربوية المسيطرة في مرحلة زمنية محددة، لتشابك العملية التربوية واختلافها من مجتمع لآخر وتطورها عبر الأزمنة، ولهذا ظهرت عدة تعاريف لها

منها أولاً: التربية، هي عملية تعليم الطفل في جميع مراحله حتى يستطيع الاعتماد على نفسه والاستغناء عن الآخرين.

ثانياً: التربية، هي جميع الأساليب والوسائل التي تساعد في إعطاء الطفل ثقافة مجتمعية.

ثالثاً: التربية، هي العمليات التي تساعد في بناء جوانب السلوك الفردية كلها أو واحده منها.

من هنا يمكن أن نتحدث عن النظريات التربوية التي لاقت انتشاراً في المجتمعات الأوروبية، ولا تزال بصمتها موجودة حتى يومنا هذا.

النظرية التربوية الأوروبية وأهم علمائها خلال القرن التاسع عشر

جوهان باستالوتزي:

هو مفكر تربوي سويسري بدأ من تجاربه وخبراته الشخصية بطرق تأملية واقعية، أكد أنه يجب اعتبار الطفل إنساناً، وجعله أساس العملية التربوية ومحورها فهو من رواد المبدأ الذي يتحدث عن أهمية (تنمية عقل الطفل)، ويجب أن تتماشى التربية مع عقل الطفل ومراعاة عمره ومراحلها، حيث كتب هذا المفكر عدة روايات تخدم نظريته، ومنها رواية ليوناردو غروترود ورواية اسمها(كيف تعلم أطفالها) ووضع دليلاً باسم (الطريقة) كتب فيها طرق التدريس التي دعا إليها وفيها الاعتماد على التدرج والانتقال من البسيط إلى الصعب، ويرى أن الأساس الحقيقي للمعرفة البشرية هو الانطباع الحسي للطبيعة في عقل الطفل، ومن خلاله دعا إلى الاهتمام بها بشكل خاص والعمل على توسيعها وتصنيفها وتثبيتها لدى الأطفال، وقد استطاع هذا المفكر أن ينشأ معهد لتدريب المدربين، ومن تم اعتماد نظرياته في الكثير من الدول مثل ألمانيا، فرنسا، إنكلترا، والولايات المتحدة.

جون فريدرج هاربرت:

هو من أصول ألمانية تأثر بنظريات جوهان باستالوتزي السويسري في الفترة التي عاشها في سويسرا، كان يعمل مدرساً، وبعد عودته إلى ألمانيا عمل محاضراً في جامعة كوتجين، ونشر كتاباً اسمه (علم التربية)، كما أنشأ حلقة تربوية، ومدرسة تطبيقية لتدريب المعلمين، كان حريصاً على نقل التربية من طقوس النصح إلى التوجيه وإلى علم يطبق في البحث والاستقصاء بأسلوب علمي، كما عمل على إسقاط النظام التعليمي على علم الأخلاق وعلم النفس لتحديد الأهداف التربوية، وهنا تتضح أهمية البيئة الخارجية والتحكم بها وآثارها على معرفة وتحديد العناصر النفسية للفرد ومكوناتها، وتعتمد هذه النظرية على مكانة المعلم في المنظومة التربوية، ودور المعلم في التحكم بالطفل وقيادته من خلال الدرس والنشاط المدرسي كما دعا جون هيربرت إلى التعامل باللين والشدة في التعليم، واعتبر العقاب مهماً لسير العملية التربوية.

النظرية التربوية وأهم روادها في القرن العشرين:

جون بياجي:

هو مفكر تربوي سويسري من مؤسسي النظرية البنيوية الفردية، حيث بدأ نظرياته من عالم البيولوجيا إلى عالم الطفولة، حيث يقول إن أعضاء جسم الإنسان تعمل بطريقة محددة وكل عضو له وظيفته الخاصة به، وكذلك الدماغ البشري هو مثل باقي أعضاء جسده له وظيفة التعليم، فالطفل من وجهة نظر بياجي هو عبارة عن عالم صغير يفهم العالم الخارجي بشكل ذاتي ويتأثر بالمعرفة وأنواعها، التي يشكلها خلال المراحل العمرية التي يمر بها، وذلك عن طريق تفاعله مع الظروف البيئية وعواملها، أي أن الطفل عند بياجي يتطور ويتعلم، والمعرفة هي الرابط بين الذات العارفة والطفل ومواضيع المعرفة، وبهذه الطريقة ينتقي المعلومات والمعارف التي يتصرف معها، ويتكيف بها ويفسرها وينظمها.

حدد بياجي مراحل تطور الفكر البشري وضبطه وفق أربع مراحل، تمتاز كل مرحلة منها بخصائص وتغيرات ذهنية جديدة وهي:

1. مرحلة التفكير الحسي الحركي: تبدأ منذ الولادة حتى عمر السنتين، ويتعرف المولود إلى العالم ويكتشفه بحواسه ومهاراته الحركية.
2. مرحلة ما قبل العمليات المادية: من عمر سنتين إلى السبع سنوات، حيث يتعلم اللغة ويمكنه التعرف إلى الأشياء من مظهرها.
3. مرحلة العمليات المادية: من عمر السبع سنوات حتى سن الحادية عشرة يتطور تفكير الطفل المنطقي والواقعي بعيداً عن المركز الذاتي.

مرحله التفكير المجرد من 11 سنة إلى سن الرشد: حيث بدأ نشاط الطفل العقلي من خلال قيام العمليات وضع الفرضيات ويفرق بين الأشياء ويستنتج ويلاحظ ويجرب، وأهم ما استنتجه بياجي هو تشجيع الطلاب على التعلّم بوضعهم أمام موقف تعليمي يفوق قدراتهم بقليل، وهذا يؤدي لتحفيزهم ويدفعهم إلى البحث عن حلول وحل المشكلات والعودة إلى التوازن، وهذا يناقض النظرية السلوكية.

مقارنة بين النظرية السلوكية والنظرية البنائية:

النظرية السلوكية:

تهتم بسلوكيات التلميذ الظاهرة والملاحظة فقط.

تجهز البيئة المشجعة على التعليم للوصول بالسلوك الصحيح.

التعليم مرتبط بالتغيير في سلوك المتعلم.

أما النظرية البنائية:

فتهتم بالعمليات الداخلية للمتعلم.

تجهز بيئة التعليم للتلميذ بغرض بناء المعرفة بشكل ذاتي من قبل التلميذ.

التركيز على الإجراءات الداخلية للتفكير.

آراء بعض العلماء المعاصرين:

الفلسفة المعاصرة هي مصطلح تقني للتفريق بين الفلسفة الموجودة في أوروبا منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، وبين المدارس الفلسفية وأفكارها،

يوجد بعض المفكرين الذين يفرقون بين الفلسفة المعاصرة والفلسفة الحديثة وما بعدها، بسبب التساؤلات والأفكار الأساسية التي سيطرت على مشاريع الفلاسفة في هذا العصر.

نشأة الفلسفة المعاصرة:

إن التطور المتسارع الذي حصل في الحياة أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين كان السبب الرئيسي في ظهور الفلسفة المعاصرة، حيث حدث الكثير من المشكلات والتطورات وكثرت الفلسفات والنظريات المتعددة عبر العصور كما ذكرنا سابقاً في بحثنا، حيث اتفق بعضها وتنازع بعضها الآخر، مما أدى إلى ظهور الفلسفة التي تجب عن كيفية تطور الإنسان واكتشاف ذاته مع البيئة التي يعيش فيها.

فلسفات الفلسفة المعاصرة:

الفلسفة البراجماتية:

وهي تقول إنها تعرف الفكرة إذا كانت خاطئة أو صحيحة من خلال ما تعطيه من منفعة أي أن الأفعال والأفكار التي تؤذي الإنسان هي أفكار

وأفعال خاطئة يجب الابتعاد عنها، ومن روادها جون ديوي[150].

الفلسفة الوجودية:

يدور محور هذه الفلسفة حول موقع الإنسان من هذا العالم، وقد ظهرت في فترة ما بين الحربين العالميتين التي حصدت أرواح الملايين، ومن روادها جان بول سارتر[151] الذي قال إن حرية الإنسان تحدد قيمته ووجوده، وإن هذه الحرية تعطيه حق اختيار أفعاله دون قيود أو شروط اجتماعيه أو عائلية وغيرها، إلا أن مارتن هايدجر[152] ناقضه وقال إن قيمة وجود الإنسان تأتي من خلال وجود أشخاص معه.

الفلسفة البنيوية أو البنائية:

هي أحدث المدارس التي أنشئت في أوروبا من روادها ليفي ستروس[153] وتقول الفلسفة البنيوية إن الفكرة تتكون من مجموعة من البنى أو الظواهر التي ترتبط مع بعضها، ومن خلال تحليل هذه البنى يمكن معرفة الحقيقة فيمكن دراسة المجتمع من خلال دراسة البنى التي تكونه، ومثلها تصبح دراسة النصوص الأدبية واللغوية.

---

150 جون ديوي، هو مربٍّ وفيلسوف وعالم نفس أمريكي وزعيم من زعماء الفلسفة البراجماتية. ويعتبر من أوائل المؤسسين لها. ولد في 20 أكتوبر عام 1859 وتوفي عام 1952. ويقال إنه هو من أطال عمر هذه الفلسفة واستطاع أن يستخدم بلياقة كلمتين قريبتين من الشعب الأمريكي هما "العلم" و"الديمقراطية".

151 جان-بول شارل إيمارد سارتر (بالفرنسية: Jean-Paul Sartre) (21 يونيو 1905 باريس – 15 إبريل 1980 باريس) هو فيلسوف وروائي وكاتب مسرحي كاتب سيناريو وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. بدأ حياته العملية أستاذاً. درس الفلسفة في ألمانيا خلال الحرب العالمية الثانية. حين احتلت ألمانيا النازية فرنسا، انخرط سارتر في صفوف المقاومة الفرنسية السرية. عرف سارتر واشتهر لكونه كاتباً غزير الإنتاج، ولأعماله الأدبية وفلسفته المسماة الوجودية، ويأتي في المقام الثاني التحاقه السياسي باليسار المتطرف.

152 مارتن هايدغر فيلسُوف أَلَمَّانِي. ولد جنوب ألمانيا، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسس الظاهريات، ثم أصبح أستاذاً فيها عام 1928. وجه اهتمامه الفلسفي إلى مشكلات الوجود والتقنية والحرية والحقيقة وغيرها من المسائل

153 كلود ليفي ستروس (بالفرنسية: Claude Lévi-Strauss)؛ (28 نوفمبر 1908 – 30 أكتوبر 2009)، عالم اجتماع وأنثروبوبوجي فرنسي.

النظريات التربوية الغربية المعاصرة:

النظريات الروحية:

هي تيار فكري عاد للظهور من جديد في القرن الحالي 1970 ميلادي، أطلق عليه التيار الروحي أو الميتافيزيقي يستمد أفكاره التربوية من الدين والفلسفات الشرقية القديمة (البوذية والطاوية)، يهتم بالبحث في العلاقة والكون من ناحية ميتافيزيقية، وأهم رواد هذه النظريات هرمان ماسلو ومارلين فيرغسون، حيث محور نظرياتهم يدور حول القيم الروحية، ويرون أنه يجب أن يتعلم الفرد كيف يحرر نفسه مما هو معروف، وكيف يتخطى ذاته ليكون قادراً على السمو إلى مستوى روحي ويتحكم ويتمسك بالسمو باستخدام الطاقة الباطنة والتأمل والاستغراق في التفكير الهادئ الملي، ويرتبط الفرد بالروح الربانية بكل ثقة، حيث إنها طاقة موجودة داخل كل فرد بأسماء مختلفة (الطاقة الربانية أو الإيمان أو أي اسم آخر). يتفق رواد هذا التيار على أن هدف التربية الروحية هو خلق رابط بين الإنسان والواقع الروحي الذي يسمى أيضاً الواقع التوحيدي الميتافيزيقي، فالسؤال هنا ما الغاية التربوية من النظرية الروحية؟ وجواب السؤال هو موجود بعدة نقاط:

1. تَعلُّم علمٍ يحوي معاني باطنية من أجل تحقيق تجربة داخلية، ويجب أن تحقق التربية التكامل بين الذات الروحية والموضوعية، هذا رأي مارلين فيرغسون[154]، 1980 ميلادي.

2. تلبية حاجات الطفل الرئيسية: مشاعر الأمان، الانتماء، الحب، الاحترام، والتقدير، وجعله قادراً على القيام بالتجربة الصوفية التي تسمح

---

154 مارلين فيرغسون (بالإنكليزية: Marilyn Ferguson) هي كاتِبة أمريكية، ولدت في 5 إبريل 1938 في غراند جنكشن في الولايات المتحدة، وتوفيت في 19 أكتوبر 2008 في بانينغ في الولايات المتحدة.

له برؤيه ما هو دنيوي وأبدي في نفس الوقت، وينحصر دور المعلم بمساعدة الطالب على اكتشاف ذاته، وبلوغه لإدراكه الحدسي، واستيعاب الأشياء من خلال أبعاده الدينية المقدسة ـ رأي أبراهام ماسلو[155]، 1970 ميلادي.

3. تنمية مظاهر الوعي للبحث عن المطلق، ومساعدة الإنسان للعبور إلى مسلك باطني مؤمن، ومساعدته للخروج خارج قوقعته والقدرة على الانتقال إلى أشكال أعلى من المعرفة ـ رأي هارمان[156]، 1972.

هنالك علماء آخرون، لكن اكتفينا بذكر بعضهم.

نستخلص مما سبق أن نظرية الروحية التربوية لها غاية هي اعتبار المتعلم جزءاً من الكون ولا يوجد فرق بين الفرد والكون فهما شيء واحد ينمو ويتطور من خلال العلاقات التي يسمح بها العمل التربوي.

النظرية الشخصانية:

لها تسمية أخرى إنسانية تحررية منفتحة، وأساس هذه النظرية هو معنى الذات والحرية واستقلالية الفرد، تنطلق من أن المتعلم هو الهدف من العمل التعليمي، بالتحكم في تربيته باستعمال طاقاته الداخلية.

أما المعلم فهو مساعد للتلميذ وأهم رواد هذه النظرية هو كارل روجرز[157] في فرنسا، حيث أكد على حرية المتعلم في رغباته وإرادته في التعليم، حيث أدى إلى إنشاء عدة مدارس حرة منفتحة في نهاية السبعينيات في القرن العشرين، وتطرح هذه النظرية عده تساؤلات منها كيف يمكن للتربية

---

155 أبراهام ماسلو ، عالم نفس أمريكي، ولد في بروكلين، نيويورك. أبواه مهاجران يهوديان من روسيا. اشتهر بنظريته تدرج الحاجات. بدأ بدراسة القانون بالجامعة تحت تأثير ضغط والديه، ولكنه سرعان ما ترك مدينته ليدرس في جامعة وسكنسن، حيث حصل على بكالوريوس في علم النفس، وحصل على الماجستير في علم النفس عام، ودكتوراه في الفلسفة .

156 غراهام هارمان (بالإنكليزية: Graham Harman) هو فيلسوف أمريكي، ولد في 9 مايو 1968 في أيوا سيتي في الولايات المتحدة.

157 كارل روجرز عالم نفس أمريكي هام، قام بتأسيس التوجه الإنساني في علم النفس السريري. ساهم أيضاً بتأسيس العلاج النفسي غير الموجّه الذي سماه العلاج المتمركز حول العميل ليؤكد أن نظريته يمكن تطبيقها في كل التفاعلات بين الأشخاص وليس على التفاعل بين المعالِج والزبون.

أن تبني شخصاً حراً؟ للإجابة عنه استمد أصحاب هذا التيار أفكارهم وآراءهم التربوية من الفلسفات الفيزيولوجية الوجودية، وكان عدد المناصرين لهذا التيار كبيراً، لكن سنتحدث عن أبرزهم كارل روجرز 1968، ويمكن تلخيص نظريته كالتالي:

جعل كل علم يبدأ من مبادرات الطالب الشخصية لتحقيق معنى الحرية الشخصية للفرد، حيث إن مشاركة واستقلالية المتعلم في اختيار أهدافه العملية التعليمية من أهم العوامل التي تساعد في تحقيق الهدف التربوي، كذلك جعل المتعلم قادراً على استيعاب الرابط بين المعرفة التي اكتسبها وموضوع التعليم.

النظرية التكنولوجية:

تسمى التكنو – نسقية، حيث إن رواد هذه النظرية أرادوا حل مشكلة وهي كيف ننجز وننظم العمليات التربوية حتى تصبح ذات فاعلية؟

وتناولت الدراسة العلاقات بين النظرية والتطبيق، وتعتبر أنها قابلة للتنفيذ في جميع مجالات الشعب والمواد الدراسية، ويظن روادها أنها قادرة على حل المشكلات التطبيقية، ووجدوا أن لتحسين العلم هناك طريقة واحدة عامة تعتمد بالضرورة على استخدام الوسائل أو الأدوات الديداكتيكية لتنمية العملية، وإدخالها في المنهج التعليمي، وتحقيق التواصل ومعالجة المعلومات وبناء المعرفة العلمية (هندسة التعليم) الكمبيوتر، الفيديو، التلفاز، الإنترنت، الأقراص المضغوطة، الصف التفاعلي، وغاية هذه النظرية بناء بيانات متعددة الوسائط تعتمد على مفاهيم وأدوات الذكاء الاصطناعي، حيث إن هذه النظرية أعطت دوراً رئيسياً لأجهزة الإعلام الآلي ومحركات البحث العملاقة ومراكز معالجة المعلومات. تناولت النظريات التكنولوجية

التربوية تنظيم الفعل التعليمي دون ترك أي عنصر من عناصره، سواء تعلق الموضوع بالمادة التعليمية أو الغايات التربوية أو التقويم أو التعليم أو المدرسة أو أي عنصر تحتوي عليه العملية التعليمية، وتطرح تكنولوجيا التعليم تجديد النماذج التي تعد لممارسة التعليم وفق ما تقدمه هذه النماذج من استراتيجيات حتى يتمكن المتعلم من إدراك المعارف الجديدة بأكبر قدر ممكن من الفعالية ـ رأي لاروك ستولوفيتش.

النظريات الاجتماعية المعرفية:

تنطلق هذه النظريات من السؤال التالي، ما هي الغاية التربوية في ظل هذه النظرية الاجتماعية المعرفية التربوية؟ وكيف يمكن تحقيقها؟

تعتمد هذه النظريات على العوامل الثقافية الاجتماعية في خلق المعرفة العلمية وتنتشر هذه النظريات في فرنسا وكندا والولايات المتحدة، حيث يتحكم التيار المعرفي في الأبحاث التربوية، وتهتم بوصف الشروط الاجتماعية للمتعلم والتعليم. من رواد هذا التيار ألبرت باندورا 1786 وغيره الكثير، حيث قال باندورا[158]: إن تسمية التعليم الاجتماعي، يعود سبب استخدام كلمة اجتماعية إلى أن التفكير وممارساته يعتبران أمر الاجتماعي من حيث الجوهر، وكلمة معرفة تستعمل لأن مسارات التفكير تؤثر في الدوافع والانفعال، كما أنها تهتم بالأبعاد الاجتماعية الثقافية والمعرفية للتعليم.

ومن هنا نرى أنه لا بد من التعرض لمقاربة من مقاربات التعليم التي يقترحها ألبرت 1977، لتحقيق غاية التربية أهم مراحل هذه المقاربة، عرض نماذج من السلوك على الطلبة من خلال ذلك لا يتم تعلم أفعال بسيطة فقط، بل يتم تعلم نماذج كلية من السلوك.

158 ألبرت باندورا هو نفساني، وأستاذ فخري في علم النفس الاجتماعي في جامعة ستانفورد.

تقويم وتبرير قيمة السلوكيات:

البحث ما وراء السلوك (النتيجة والأثر) أكد ألبرت على أن تحقيق الهدف يتوقف على القيمة التي نعطيها لنتيجة، لذلك يجب أن نوضح للمتعلم منافع كل هدف تعليمي، حيث إنهم سيتعلمون أفضل، إذا توضحت لهم فوائد التعليمية من هذا الهدف.

تعزيز سلوك الطالب والممارسة:

تكون قيمة هذا الأمر في التغذية التي يقدمها المعلم للتلميذ ويعطيه صورة واضحة عن ذاته من خلال العملية التعليمية، قد تكون إيجابية أو سلبية، وهذا يساعد في تغيير السلوك المحدد في الهدف التربوي أو تعزيزه، والممارسة عن طريق الجمع بين النظرية والتطبيق فلا يمكن التعليم بدون الممارسة التطبيقية للكتابة أو الألعاب الرياضية والمهن الحرة.

علماء الفلسفة المعاصرة:

جيروم برونر:

هو عالم نفس تربوي أمريكي من العلماء الذين أسهموا في الثورة المعرفية، بدأ عمله التربوي بكتاب اسمه (عملية التربية عام 1960). يرى أن نمو الفرد المعرفي يأتي نتيجة مؤثرات خارجية (البيئة) وداخلية (الوراثة)، ويرى أهمية الثقافة وأثرها في انفتاح واستعدادات الفرد الكاملة، يرى أيضاً أن نمو التعليم هو عبارة عن نمو عقلي وارتقائي وعمل المعلم هو جعل الطالب يدرك بنية أي موضوع تعليمي من خلال فهم الأسس التي يدور حولها الموضوع، وهذا يساهم في التذكر السريع، وقال برونر إن فاعلية وكفاية بنية المادة التعليمية تعتمد على ثلاثة مؤشرات أساسية متكاملة.

والمعلم هو دليل الطالب في البحث والاكتشاف، وتعرف بالجهد الشخصي للطالب.

أهم ما توصل إليه هو النقد الذاتي للمشروع المنتج في الستينيات والذي ركز على العلوم التجريبية والرياضيات وأهمل العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية، وبالتالي اكتشف عمق المأساة فلا يكفي التطور التكنولوجي والإعلامي، والمجتمع مليء بالطبقات الاجتماعية من فقراء ومجرمين ومنحرفين، وهذا ما تتكفل به التربية والنهوض بالعلوم الإنسانية والاجتماعية.

المراجع:

1- عبد الرحمن بدوي: أرسطو، دار القلم، بيروت، وكالة المطبوعات، الكويت، ط2. 1980.ص262.

2- فتح الله خليف: محاضرات في تاريخ الفلسفة اليونانية، أرسطو الجزء الثاني، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1979، ص90.

3- محمد ناصر: قراءات في الفكر التربوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ج1، ط2 ،1977، ص193.

4- أرسطو طاليس. الأخلاق. ترجمة إسحاق بن حنين. حققه وشرحه وقدم له د. عبد الرحمن بدوي وكالة المطبوعات. الكويت. ط1. 1979. ص84.

5- يوسف كرم. تاريخ الفلسفة اليونانية. ص246.

6- أحمد أمين. زكي نجيب محمود. قصة الفلسفة اليونانية. ص137.

7- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي من طاليس إلى أفلاطون، ج1، ط3، 1968، دار المعارف بمصر، ص104.

8- عبده فراج: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى، (فلسفة إسلامية ومسيحية). مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 1969، ص33.

9- محمد سلمان الخزاعلة وآخرون، تطور الفكر التربوي، دار صفاء للطباعة والنشر، ط 1، 2012، ص 9.

01- عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن، دراسات في فلسفة التربية المعاصرة، تقديم سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي، ط 1، 2002 م، ص 20.

11- إبراهيم نصار ومحمد سليم الزبون، الفكر التربوي المعاصر، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان/ الأردن، ط 1، 2015، ص 99.

21- عبد الله عبد الدايم، نحو فلسفة تربوية عربية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط 2، بيروت 2000، ص 79.

31- جون ديوي، الديمقراطية والتربية، ترجمة، متى عقراوي وزكريا ميخائيل، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946 م، ص 105).

41- ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، علق عليه محمد حسن شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1984، ج 6، ص 2680.

51- ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق محمد حسين ربيع، دار الكتب، القاهرة، 1977، ج 5، ص 38-39.


محمد خطاب